

تفسير الفخر الرازي

المبشر بالقيم الكبير ومطالع الفيل

لدينا محمد بن الرازي فخر الدين ابن العزيمه ضياء الدين عر
الشهر بخطيب الرقي نفع الله به المسلمين

٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

مطبع مطبعه مطبوعه المطبعه
الطبعة الأولى ١٢١٦ هـ - ١٩٨٩ م

نشر هذه الطبعة بمطبعه المطبعه

للجنة المطبوعه المطبوعه

دار الفكر

مطبعه المطبوعه المطبوعه

جميع الحقوق محفوظة للنشر
الطبعة الأولى ١٩٨١ م

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : لبنان - بيروت - حارة حريك شارع عبد الوار
هاتف ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣١٨٧ ص. ب ٧٠٦١ بيروت - لبنان

(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ بِكَيْفٍ
وَلَيْسَ بِهَا اِلَّا بَعْدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَسْأَلُونَ ﴾ عن النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ﴿ في مسائل ﴾ :
﴿ المسألة الأولى ﴾ عَمَّ : أصله حرف جر دخل ما الاستهامة ، قال حسان رحمه الله تعالى :
على ما قام يستثنى ليهم ككثير لمخرج في رداء
والاستهال الكثير على الحذف والأصل قليل . ذكروا في سبب الحذف وجوهاً (أحدها)
قال الزجاج لأن الهم تشرك الهمزة في الألف فصارتا كالحرفين المتماثلين (وثانيها) قال الجرجاني
لهم (إذا حذفوا ما في استهاتهم حذفوا ألهما فعرفة بينهما وبين أن تكون أسما كقولهم : فيهم ولم
ولم وعلام وحنام (وثالثها) قالوا حذفوا الألف لاقطاع ما يحرف الجر حتى حلت كزومه
ثاني . عن سدة الاتصال (ورابعها) السبب في هذا الحذف التضعيف في الكلام فإنه لفظ كبير
التداول على اللسان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (عَمَّ يَسْأَلُونَ) أي : سؤال . ونوله (عن النبأ العظيم) جواب
السؤال والمجيب هو الله تعالى . وذلك يدل على عظمه يا خبيب . بل جميع المعلومات . فإن قيل ما القائمة
في أن يذكر الجواب منه ؟ قلنا لأن إيراد الكلام في معرض سؤال والجواب أقرب إلى التفهم
والإيضاح ونظيره (لم يأتك البرقع إلا في يومه) (لم يأتك البرقع إلا في يومه) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قرأ عكرمة وعيسى بن عمر (عمن) وهو الأصل . وعن ابن كثير أنه
قرأ عنه ماء السكت ، ولا يجوز إلا أن يجري الموصل جرى الموقوف . وإذا أن يقف ويستثنى
منه (يسألون عن النبأ العظيم) على أن يضرر يسألون لأن ما بعده بضمه كشيء مهم ثم يفسره .
﴿ المسألة الرابعة ﴾ (ما) فعلة وحذف المفعول باعتبار الأضمار وحفاظها . تقول ما أملك ؟ وما
أروح ؟ وما ألهي ؟ وأمره طاب ما جابتهما وشرح حفاظها . وذلك بمعنى كون ذلك المطلوب مجعولا .
ثم إن التمر العظيم الذي يكون له طعمه ونهايته مرتبة وبعده العقل عراني بحيث يكتفه . حتى مجعولا .
لخص بين الشيء المطلوب لفظه . وبين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه والمشاكلة إحدى
أسباب المجاز . فهذا الطريق جمل (ما) دليلا على عظمة حال ذلك المطلوب وعلو رتبته

ومنه قوله تعالى (وما أدراك ما جين) ، (وما أدراك ما عفة) ونحوه زيد وما زيد .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ السؤال هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالغافل ، وقد يستعسر أيضاً أن يتحدوا به ، وإن لم يكن من بعضهم لبعض سؤال ، قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) ، قال قائل منهم إن كان في قرين يقول أنك لم تعدن (فهذا يدل على معنى التحدث فيكون معنى الكلام هم يتحدون ، وهذا قول القراء .

﴿ المسألة السادسة ﴾ أولئك الذين كانوا يتسألون من هم ، فيه احتمالات : (أحدها) أنهم هم الكفار ، والدليل عليه قوله تعالى (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) الضمير في يتسألون ، وهم فيه عطفون وسيعلمون ، راجع إلى شيء واحد وقوله (كلا سيعلمون) تهديد وتهديد لا يلحق إلا بالكفار ، ثبت أن الضمير في قوله (يتسألون) عائد إلى الكفار ، فإن قيل فما ضجع بقوله (هم) فيه مختلفون (مع أن الكفار كانوا متفقين في إنكار الحشر ؟ قلنا لا سلم أنهم كانوا متفقين في إنكار الحشر ، وذلك لأن منهم من كان يثبت المعاد الروحاني ، وهم جمهور الصابرين ، وأما المعاد الجسماني فهم من كان شاكاً فيه كقوله (وما أخس الساعة قائما وإن ددت إلى وفي إن لي عنده الحسنى) ومنهم من أصر على الإنكار . ويقول (إنه هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمعمرين) ومنهم من كان غفراً به ، لكنه كان منكراً لشدة عهده صلى الله عليه وسلم ، فقد حصل اختلافهم فيه ، وأيضاً هب أنهم كانوا متكررين له لكن نعيم اختصوا في كيفية إنكاره ، فمن من كان ينكره لأنه كان ينكر المصانع الخفاء ، ومنهم من كان ينكره لاعتقاده أن إعادة المعلوم بمنتهى ثباتها والقادر الخفاء إما يكون قادراً على ما يكون ممكناً في نفسه ، وهذا هو المراد بقوله (هم) فيه مختلفون .

(والاحتمال الثاني) أن الذين كانوا يتسألون هم الكفار والمؤمنون ، وكانوا جميعاً يتسألون عنه . أما السلم فليزداد بصيرة ويقباً في دينه ، وأما الإنكار فعلى سبيل السخرية ، أو على سبيل إيراد الفكرك والتفكير .

(والاحتمال الثالث) أنهم كانوا يبالغون الرسول ، ويقولون ما هذا الذي قدنا به من أمر الآخرة .

قوله تعالى : ﴿ عن أنبياء العظيم ﴾ فيه مسائل .

﴿ المسألة الأولى ﴾ ذكر المتصورون في تقرير النيا العظيم ثلاثة أوجه (أحدها) أنه هو القيامة وهذا هو الأقرب وبدل عليه وجوه (أحدها) قوله (سيعلمون) والمعنى أن المراد منه أنهم سيعلمون هذا الذي يتسألون عنه حين لا تنضمهم تلك المعرفة ، وسيلوم أن ذلك هو إعادة (وثانيها) أنه تعالى حين كونه قادراً على جميع التمكنات بقوله (أن يجعل الأرض هاداً) إلى قوله (يوم يفتح في الصور) وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادراً

على إقامة القيامة . لما كان الذي أتته الله تعالى بالنبى الفيل في هذه السورة هو هذه المسألة ثبت أن النبا العظيم الذى كانوا يتساءلون عنه مبرور القيامة (وثابتها) أن العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله (ألا ينظر أولئك أنهم بمعون يوم عظيم) يوم يقوم الناس لرب العالمين (وقوله (فمن هو نأ عظيم أنهم عنه مدحرون) ولأن هذا اليوم أعظم الأشياء لأن ذلك منتهى نوع الخلق وغرفهم منه فكان تخصيص اسم العظيم به لاختفاء (والقول الثانى) (إنه ثمران) واحتج القائلون بهذا الوجه بأمرين (الأول) أن النبا العظيم هو الذى كانوا يحتفون فيه وذلك هو القرآن لأن بعضهم جعله محرراً وبعضهم محرراً . وبعضهم قال إنه أسفير الأولين . فأما البحث ونسرة محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانوا متفقين على إنكارهما وهذا ضعيف ، لأننا بينا أن الاختلاف كان حاصلاً في البحث (الثانى) أن النبا اسم الجبر لا اسم الفخر عنه فتفسير النبا بالقرآن أولى من تفسيره بالبحث أو النبوة . لأن ذلك في نفسه ليس مأخوذاً من حيث ذاته . ويقرى ذلك أن القرآن سمي ذكرًا وذكراً وذكرى وهذا واحد شيئاً ، فكان اسم النبوة المبني منه بالبحث والنبوة (والجواب) عنه أنه إذا كان اسم النبا الذى بهذه اللفاظ عالم العظيم أيضاً بالقيامة والسورة لأنه لا غشوة في اللفاظ زبنا الغشوة في الثاني . ولأولئك أن يقولوا إنها غشوة أيضاً في القصص والاحتواء على العلوم الكثيرة . ويمكن أن يحجب اسم العظيم حقيقة في الأجسام بجزء في غيرها . وإذا ثبت اعتبارنا في ما ذكرنا من الدلائل سلمنا (القول الثالث) أن النبا العظيم هو سورة محمد صلى الله عليه وسلم . قالوا وذلك لأنه لما بعث الرسول عليه الصلوة والسلام جعلوا يتساءلون بينهم ماذا الذى حدث ؟ وأول الله تعالى (عمت يتساءلون) وذلك لأنهم عجبوا من إرسال الله محمداً عليه الصلوة والسلام إليهم كما قال تعالى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجب) وعجبوا أيضاً أن جاءهم بالوحد كما قال (أجعل الآفة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجيب) فليكن الله تعالى عنهم مسالمة بعضهم بعضاً على حبل المتحاب بقوله (عمت يتساءلون) .

في المسألة الثانية : في كفية اتصال هذه الآية بما قبلها رجوع (أحدها) وهو قوله المصيرين أن قوله (عمت يتساءلون) كلام تام . ثم قال (عن النبا العظيم) والتقدير (يتساءلون عن النبا العظيم) إلا أنه حذف يتساءلون في الآية الثانية . لأن حصوله في الآية الأولى يدل عليه (وثابتها) أن يكون قوله (عن النبا العظيم) استعمالاً متصلاً بما قبله . والتقدير : عمت يتساءلون عن النبا العظيم الذى هم فيه محملون . إلا أنه اقتصر على ما قبله من الاستعمال إذ هو متصل به . وكالدرجة والبيان كما قرئ في قوله (لنذمتنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون) بكسر الهمزة من غير استعمال لأن إنكارهم إنما كان للبحث . ولكنه لما ظهر الاستعمال في أول الكلام اقتصر عليه . فكلفنا هنا (وثابتها) وهو اختيار الكونيين أن الآية الثانية متصلة بالأول على تقدير : لا شيء . يتساءلون عن النبا العظيم . وعم كائناً في المعنى لاى شيء . وهذا قول الفراء .

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سيعلمون ﴾ ، ثم كَلَّا سيعلمون ﴿ ١ ﴾ قال انفعال : كَلَّا لفظه ومنعت لرد شيء . ثم تقدم ، هذا هو الظاهر منها في الكلام ، والمعنى ليس الأمر كما يقول هؤلاء ، في التبا العظيم إنه باطل أو إنه لا يكون ، وقال قائلون كَلَّا معناه حقا ، ثم إنه تعالى قرر ذلك الردع والتهديد : قال (كَلَّا سيعلمون) وهو وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يقصدون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له ، وافيح لا ريب فيه ، وأما تكرير الردع ، فيه وسهوان (الأول) أن العرض من التكرير التأكيد والتشديد ، ومعنى ثم الإشتغال بأن الوعد الذي أبلغ من الوعد الأول وأشد (والثاني) أن فلك ليس بتكرير ، ثم ذكروا وجوها (أحدها) قال الضحاك الآية الأولى للكفار والثانية للثومنين أي سيعلم الكفار غافه تنكدهم وسيعلم الثومنون عاقبة تصديهم (وثانيها) قال القاضي : ويجعل أن يريد بالأول سيعلمون نفس الحشر والمجاسية ، ويريد بالثاني سيعلمون نفس العذاب إذا شاهدوه (وثالثها) (كَلَّا سيعلمون) ما الله عامل بهم يوم القيامة (ثم كَلَّا سيعلمون) أن الأمر ليس كما كانوا يثومنون من أن الله غير باعث لهم (ورابعها) (كَلَّا سيعلمون) ما يصل إليهم من العذاب في الدنيا ، كما جرى على كفار قريش يوم بدر (ثم كَلَّا سيعلمون) بما ينالهم في الآخرة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ جمود القراء قراؤا بالياء للفتحة من تحت في (سيعلمون) وروى بالثاء المنقطة من فوق من ابن عامر . قال الواحدي : والأول أولى ، لأن ما تقدم من قوله (ثم فيه علقون) على لفظ الغيبة ، والثاء على قل لم : سيعلمون . وأقول : يمكن أن يكون ذلك على سبيل الالتفات ، وهو هنا متشكك حسن ، كما يقول : إن عبيد يقول كذا وكذا ، ثم يقول لعبيده : إنك ستعرف وبأن هذا الكلام .

قوله تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم إنكار البعث والحشر ، وأراد إقناع الدلالة على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع المسكنات عالمًا بجميع المعلومات ، وذلك لأنه بهذا ثبت هذان الاصلان ثبت ثبوت قول بصحة البعث ، وإنما أثبت هذين الأصلين بأن عدوا أوامعا من مخلوقاته الرافعة على وجه الإحكام والإتقان ، فإن تلك الأشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة ، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدل على العلم ، ومعنى ثبت هذان الاصلان وثبت أن الأجسام متساوية في قبول الصفات والأعراض ، ثبت لاحاطة كونه تعالى قادرا على تقريب الدنيا بدمراتها وكواكبها وأرضها ، وعلى إيجاد عالم الآخرة ، فهذا هو الإشارة إلى كيفية النظم .

واعلم أنه تعالى ذكر ههنا من عجائب مخلوقاته أموراً (فأولها) قوله (ألم نجعل الأرض مهادا) والمهاد مصدوع ههنا احتمالات (أحدها) المراد منه ههنا اليهود ، أي ألم نجعل الأرض مهددة

وَالْجِبَالِ أَرْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾

وهذا من باب تسمية المأمول بالمصدر ، كقولك هذا ضرب الأمير (وثالثها) أن تكون الأرض وصفت بهذا المصدر . كما تقول : زيد جود وكرم وفضل ، كأنه لكلمة في تلك الصفة صارعين تلك الصفة (وثالثها) أن تكون بمعنى ذات مهاد ، وقرى . مهداً ، ومهاد أن الأرض للخلق كالهد للنبي ، وهو الذي مهده له فينرم عليه .

واعلم أنا ذكرنا في تفسير سورة البقرة عند قوله (جعل لكم الأرض فراشاً) كل ما يتعلق من احقائق هذه الآية .

(وثالثها) قوله تعالى ﴿ والجبال أرتاداً ﴾ أي الأرض [كي] لا تبتد بأهلها ، فيسكل كون الأرض مهداً بسبب ذلك قد تقدم أيضاً .

(وثالثها) قوله تعالى ﴿ وخلقناكم أرواجاً ﴾ وفيه قولان (الأول) المراد الذكر والأنثى كما قال (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . (والثاني) أن المراد من كل زوجين و [كل] تخليطين من القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع التغايلات والأضداد . كما قال (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان ، فيجيب القاض بالشكر والفضل بالصبر ويعترف بحقيقته كل شيء بحسبه ، والإنسان إذا يعرف قدر الشباب عند الشيب ، وإذا يعرف قدر الأمن عند الخوف ، فيكون ذلك أبلغ في تعريف النعم .

(ورابعها) قوله تعالى : ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾ ضمن بعض اللاحقة في هذه الآية فضالوا نسبات هو النوم . والمعنى : وجعلنا نومكم نوماً . واعلم أن العلماء ذكروا في التأويل وجوهاً (أولها) قال الزجاج (سباتاً) مرناً والمبسوت الميت من السبت وهو القطع لأنه منقطع عن الحركة ودليله أمران (أحدهما) قوله تعالى (وهو الذي ينشأكم بالليل) أي قوله (نعيمكم) (والثاني) أنه لما حصل النوم مرناً جعل البقطة معاشاً ، أي حياة في قوله (وجعلنا النهار معاشاً) وهذا القول عندى حبيب لأن الأشياء المذكورة في هذه الآية حلائل النوم ، فلا يليق الموت بهذا السكان وإنما ليس المراد بكونه موتاً . أن الروح انقطع عن بدن . بل المراد منه انقطاع أثر الحواس الظاهرة ، وهذا هو النوم . ويصير حاصل الكلام إلى : إنا جعلنا نومكم نوماً (وثالثها) قال الميت السبات النوم شبه العشي يقال سبت المريض فهو مسبوت ، وقال أبو عبيدة السبات التشبه الذي تغشى الإنسان شبه الموت . وهذا القول أيضاً صحيح ، لأن العشي هنا إن كان النوم فيعود الإشكال . وإن كان المراد بالسبات شدة ذلك العشي فهو باطل ، لأنه ليس كل نوم كذلك ولأنه مرض فلا يمكن ذكره في أثناء قه شبه النوم (وثالثها) أن السبت في أصل اللغة هو انقطع يقال سبت الرجل رأسه بوجه ميتاً إذا حلق شعره . وقال ابن الأعرابي قوله (سباتاً) أي قطعاً

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٧﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا

شِدَادًا ﴿١٨﴾

ثم عند هذا يحتمل وجوهاً (الأول) أن يكون المعنى : وجعلنا نومكم نوماً متقطعاً لا دائماً ، فإن النوم مقدار الحاجة من أفع الأشياء . أما نومه قن أضر الأشياء . فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله تعالى في معرض الإنعام (الثاني) أن الإنسان إذا تعب ثم نام ، فذلك النوم يزيل عنه ذلك التعب ، فسميت تلك الإزالة سبباً وقطعاً . وهذا هو المراد من قول ابن قتية . (وجعلنا نومكم سبباً) أي راحة ، وليس غرضه منه أن السبات اسم للراحة ، بل المقصود أن النوم يقطع التعب ويزيله ، لما نمت تحصل الراحة (الثالث) قال أنبؤد (وجعلنا نومكم سبباً) أي جعلناه نوماً خفيفاً يمتكنكم منه وتقطع ، تقول العرب : رجل مسبوئ إذا كان النوم يخاله وهو يداخه ، كأنه قيل : وجعلنا نومكم نوماً لطيفاً يمتكنكم منه ، وما جعلناه غثياً مستوياً عليكم ، فإن ذلك من الأسراري اللطيفة ، وهذا الرجوع كلها صحيحة .

(رابعها) بقوله تعالى : ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ قال القفال : أصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الإنسان ويتغطى به ، فيكون ذلك متعباً له . فلما كان الليل يذهب الناس بظلمته فيغطون بجل لباساً لهم ، وهذا البيت سمى الليل لباساً على وجه المجاز ، والمراد كون الليل ستراً لهم . وأما وجه النعمة في ذلك . فهو أن ظلمة الليل تستر الإنسان عن العيون إذا أراد هرباً من عدو . أو يأنس به . أو يخاف ما لا يجب الإنسان إطلاع غيره عليه ، قال الهادي .

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المساوية تكذب

وأيضاً فبما أن الإنسان بسبب اللباس يزداد جماله وتكامل قوته ويندفع عنه أذى الحر والبرد ، فكذلك اللباس الليل بسبب ما يحصل فيه من قنوم يزيد في جمال الإنسان . وفي طراوة أعضائه وفي تكامل قواه الحسية والحركية . ويندفع عنه أذى التعب الجسدي ، وأذى الأفكار الموحشة النفسانية . فإن المريض إذا نام بالليل وجد الحفة العظيمة .

(وسادها) قوله تعالى ﴿ وجعلنا النهار معاشاً ﴾ في المنام وجوه (أحدها) أنه مصدر يقال : عاش يعيش معاشاً ومعاشاً ومعيشة ومعيشة . وعلى هذا التقدير فلا بد فيه من إضمار ، والمعنى وجعلنا نهار وقت معاش (والثاني) أن يكون معاشاً مفعلاً وطرماً للشعشع . وعلى هذا لا حاجة إلى الإضمار . ومعنى كون النهار معاشاً أن الخلق إنما يتمكنون التغلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل .

(وسادها) قوله تعالى ﴿ وبينا فوقكم سباً شداداً ﴾ أي سبع سموات شداداً جمع شديدة

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثْنَا مِنَ الْمُهْصِرَاتِ مَاءً تَهَّاجًا ﴿٦٧﴾

بمعنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ، لا يطور فيها ولا فوج ، وفظيره (وجعلنا السراج سراجاً مهلاً) فإن قيل أخطأ البناء يستعمل في أسافل البيت والاسف في إجماع فكيف قال (وبينا فوجكم تبعاً) ؟ قلنا السراج يكون أحد من الأمة والإعلال من اسف ، فذكر قوله (وبينا) إشارة إلى أنه وإن كان مدماً أنكبه في البعد عن الاعتلال كالبناء ، فالعرض من اختيار هذا اللفظ هذه الوثيقة .

(وثانها) قوله تعالى : وجعلنا سراجاً وهَّاجاً في كلام أهل اللغة مضطرب في تفسير الوهاج . فهم من قال الوهاج بجمع الدور والخرارة ، فيبين الله تعالى أن الشمس بالغة إلى أقصى العاليات في هذين الوصفين . وهو المراد بكونها وهَّاجاً ، وروى الكلبي عن ابن عباس أن الوهاج مبالغة في النور فقط . يقال فهوهر إذا تلاقى نوره ، وهذا يدل على أن الوهاج يفيد التكال في النور . ومنه قول الشاعر يصف النور :

وفي كتاب الخليل : الوهاج ، حر النار والشمس ، وهذا يقتضي أن الوهاج هو النابح في الحر واعلم أن أبي هذه الرسود إذا ثبت فالقصور : حاصل .

(وثالثها) قوله : وأورثنا من المهصرات ماء تهاجاً في أم المهصرات فيها قولان (الأول) وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ، ونقول بجمعه ، ومماثل وانكلى وفخادة إنما الرياح التي تثير السحاب ودله قوله تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً) فإن قيل على هذا التأويل كان ينبغي أن يقال وأورثنا بالمهصرات ، قلنا (الجواب) من وجهين (الأول) أن المطر إنما يزل من السحاب ، والسحاب إنما يثربه الرياح . فصح أن يقال هذا المطر إنما حصل من تلك الرياح ، كما يقال هذا من فلان ، أي من جهة وبسببه (الثاني) أن من هما بمعنى الباء والتقدير ، وأورثنا بالمهصرات أي بالرياح المثيرة للسحاب وروى عن عبدة بن عباس وعبدة بن الزبير وعكرمة أنهم قرأوا (وأورثنا بالمهصرات) وطلعت الأزمري في هذا القول . وقال الأعاصير من الرياح ليست من رياح المطر ، وقد وصف الله تعالى المهصرات بالماء الشجاج (وجوابه) أن الإعصار ليست من رياح المطر ، فلم لا يجوز أن تكون المهصرات من رياح المطر ؟ (القول الثاني) وهو الرواية الثانية عن ابن عباس واختيار أبي السائب والربيع والضحك إنما السحاب . وذكروا في تسمية السحاب بالمهصرات وجوهاً (أحدها) قال الثوري : المهصرات السحاب بلغة تريض (وثانها) قال الساذني يجوز أن تكون المهصرات هي السحاب ذوات الأعاصير فإن السحاب إذا عصرته الأعاصير لابد وأن يزل المطر منها (وثالثها) أن المهصرات هي السحاب التي شادفت أن تعصرها الرياح فتسقط كتفولك أجز الزرع إذا حان له أن يجر ،

لنُخْرِجَ بِهِ حَيًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا الْقَفَا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا

﴿١٧﴾

ومنه انحصرت المجازية إذا دلت أن تخرج ، وإنما التمازج فاعلم أن التمسك شدة الانصباب يقال طر
تحتاج ودم تحتاج أي شدة الانصباب .

واعلم أن التمسك قد يكون لازماً ، وهو بمعنى الانصباب كما ذكرنا ، وقد يكون متعدياً بمعنى
العصب وفي الحديث : أنفصل الخلع الحج والتمسك أي رفع الصوت بالثنية وصوب صماء الهدى ، وكان
ابن عباس متعدياً أي يمسك الكلام فجاء في خطبته وقد ذكر في التمسك في هذه الآية على الوجهين ، وقال
الكلبي ومقاتل وفائدة التمسك هذا المصدق المصعب ، وقال الزجاج هذه العصابة كأنه يمسك غصه
أي يمسك ، وبماثلة طمراد تنابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم المنفع .

قوله تعالى : ﴿ لنخرج به حياً ونباتاً ﴾ وحاشا لآفاد في الآية مسدداً :

﴿ المسألة الأولى ﴾ كل شيء نبت من الأرض فيما أن لا يكون له - أي وإنما أن يكون ، وإنما
يكن له - أي فيما أن يكون له أكمام وهو الحب وإنما أن لا يكون له أكمام وهو الخشيش وهو المراد
هنا بقوله (ونباتاً) وإلى هذين قسمين الإشارة بقوله تعالى (كما أراكم أفعالكم) ، وإنما الذي
له سابق فهو شجر فإذا اجمعت به أي كثير حيث جنة ، ثبت بالدليل الدامع المنصاع ما ثبتت
في الأرض في هذه الأمصار ثلاثة ، وإنما عدم الله تعالى الحب لأنه هو الأصل في القفا ، وإنما
في نباتات لا تحتاج سائر الحيوانات إلى . وإنما آخر الجينات في الذكر لأن الحاجة إلى القفا كما
ليست ضرورية .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا في آفاد ، فذكر صاحب الكشاف أنه لا واحد له كالأوزاع
والأخفاف ، والأوزاع الجماعات المتفرقة والأخفاف العائلات المتخلصة . وكثير من اللغويين اجتروا
له واحداً ، ثم اختلفوا فيه . فقال الأحمش والكسائي واحداً لف تكسر ، وزاد الكسائي
لف بالضم ، وأبو بكر المرد العزم ، وقال بل واحداً فعاد وجمع لف ، وجمع لف آفاد ، وقيل
يحتمل أن يكون جمع لعم كشراف وأشرف فله لفقال رحمه الله ، إذا عرفت هذا فنقول قوله
(وجنات آفاداً) أي مائة ، والمعنى أن كل جنة فإن ماها من الشجر تكون بمجموعة متقاربة ، ألا
ترام يقولون امرأة لعا ، إذا كانت غليظة الساق بمجموعة اللحم يبلغ من تقاربه أن يتلاصق .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ كان الكسائي من القائلين بالطباق ، فاحتج بقوله تعالى (لنخرج به حياً ونباتاً)
وقال إنه يدل على بطلان قول من قال إن الله تعالى لا يضمن شيئاً بواسطة شيء آخر ،
قوله تعالى : ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾ .

يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٠٦﴾

اعلم أن خمسة التي عدها الله تعالى نظراً إلى حدسها في ذواتها وصفاتها ، ونظراً إلى إمكانها في ذواتها وصفاتها تدل على الفناء المحض . ونظراً إلى ما فيها من الإحكام والاثبات تدل على أن فاعلها عالم . ثم إن ذلك الفاعل القديم يجب أن يكون عليه وقدرة واجبة ، إذ لو كانا حادثين لاختصرت إلى فاعل آخر ويلزم التماسك وهو محال ، وإذا كان المظهر والقدرة واجبين وجب تعلقهما بكل ما صح أن يكون مفعولاً ومعلوماً وإلا لا تنفرد إلى المخصص وهو محال ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون قادراً على جميع الممكنات عداً بجميع المعلومات . وقد ثبت الإمكان وثبت عموم القدرة في الجنسية فكل ما صح على واحد منها صح على الآخر ، كما يصح على الأجسام سبب الانشقاق والانتظار والخلقة وجب أن يصح ذلك على الأجسام ، وإذا ثبت الإمكان وثبت عموم القدرة والعلم ، ثبت أنه تعالى قادر على ضرب الدنيا . وقادر على إيجاد عالم آخر ، وبعد ذلك ثبت أن قول بقيام القيامة ممكن ، فعلا وإلى هنا يمكن إثباته بالمثل ، أما ما وراء ذلك من وقت حدوثها وكيفية حدوثها فلا دليل عليه إلا بالسمع ، ثم إنه تعالى بكل هذه الأشياء بقوله (إن يوم الفصل كان مبقاً) ثم إنه تعالى ذكر بعض أحوال القيامة (وأولها) قوله (إن يوم الفصل كان مبقاً) والمعنى أن هذا اليوم كان في تقدير الله ، وحكمه حداً توفت به الدنيا ، أو حداً لمخلوق ينهون إليه ، أو كان مبقاً لما وعد الله من التواب والعقاب ، أو كان ميلاً لا يمتنع كل الخلائق في غفل الحكومات وقطع المحسوسات .

(وثانيها) قوله تعالى : يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا .

اعلم أن (يوم ينفخ) يدل من يوم الفصل . أو عطف بيان . وهذا الفخ هو النفخة الأخيرة التي عدها يكون المحض ، والنفخ في الصور فيه قولان (أحدهما) أن الصور جمع الصور ، فالنفخ في الصور عبارة عن نفخ الأرواح في الأسماء (والثاني) أن الصور عبارة عن قرن ينفخ فيه . ونهاية الكلام في الصور وما قبل فيه قد تقدم في سورة الزمر . وقوله (فتأتون أفواجا) معناه أنهم يأتون ذلك المقام هرجاً مرجاً حتى يتكلموا اجتماعهم . قال عطاء كل نبي بأن مع أمته . ونظيره قوله تعالى (يوم تدعو كل أمة إلى ربهم) وقيل جماعات مختلفة . روى صاحب الكشف عن معاذ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فقال عنه السلام : يا معاذ سألت عن أمر تنظم من الأمور ، ثم أرسل عبيد وقال : يحشر عشرة أصناف من أمي بهم في صورة الفردة . وبعضهم على صورة الخنازير . وبعضهم متكئون أو حليم فوق وجوههم يسحبون عليها . وبعضهم على رؤسهم صيركم . وبعضهم بمنقرون ألسنتهم وهي دلالة على صدورهم يسيل الفخ من أفواههم ينفذهم أهل الجمع ، وبعضهم قطعة ألبهم وأرجلهم . وبعضهم يصلون على جذوع من نار . وبعضهم

إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٦١﴾

(إذا رجب الأرض رجاً ، وبست الجبال بساً ، فكانت فيها عبثاً) .

(و الحالة الرابعة) أن تنسف لأشياء مع الأحوال المغدرة فارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتتلف عنها يورسان الرياح عليها وهو المراد من قوله (غل ينسفها ربي نسفاً) .
(و الحالة الخامسة) أن الرياح ترتفع عن وجه الأرض فتطيرها شعا على المطر ، كما أنها تغار من نظر الإيما من بعد حجبها لشكاها أجساما جامدة وهي الحفوة المتارة (لأن مرورها بسبب مرور الرياح جا [صيرها] متحركة متفتنة ، وهي قوله (تمر السحاب) ثم بين أن تلك الحركة حصلت بجهنم وتغيره ، فقال (ويرى أديم الجبال ، ويرى الأرض بارزة) .

(و الحالة السادسة) أن تصير سرايا ، بمعنى لا شيء ، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً ، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجد شيئاً والله أعلم .
واعلم أن الأحوال المذكورة إلى هنا هي : أحوال عامة ، ومن هنا يصف أحوال جهنم وأحوالها .

فلما قوله تعالى ﴿ إن جهنم كانت مرصداً ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فرأى ابن جرير : أن جهنم يفتح المدونة على تليل قيام الساعة ، بأن جهنم كانت مرصداً للطافين ، كأنه قيل كان كذلك لإقامة الجواز .

﴿ المسألة الثانية ﴾ كانت مرصداً ، أي في علم الله تعالى ، وقيل صارت ، وهذا القولان نقلهما الفقهاء رحمه الله تعالى ، وفيه وجه ثالث ذكره القاضي ، فإذا قرأ المرصداً بالترقب ، أعاد ذلك أن جهنم كانت كالمنظرة لقدمهم من قديم الزمان ، وكالاستدعية والاطالة لهم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ في المرصداً قولان (أحدهما) أن المرصداً اسم المكان الذي يرصد فيه ، كالضمار اسم المكان الذي يضم فيه الخيل ، والمهاج اسم المكان الذي ينتج فيه ، وعلى هذا الوجه فيه احتمالان (أحدهما) أن خزنة جهنم يرصدون الكفار (والثاني) أن مجاز المؤمنين ومحرم كان على جهنم ، لقوله (ولست منكم إلا واردها) خزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند حسنهم ، ويرصدونهم عند ما .

(القول الثاني) أن المرصداً مفعول من الرصد ، وهو الترقب ، يعني أن ذلك يكثر منه ، والمفعول من أجنة الباطنة كالمطار والمطار والنظر ، قيل لها ترصد أعداء الله وتقتني عليهم ، كما قال تعالى (تكاد تميز من الغيظ) قيل ترصد كل كافر ومتنافي ، والقاتلون بالقول الأول . استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى (إن ربك ليأمرصداً) ولو كان المرصداً لغياً لوجب أن يقال : إن ربك لمرصداً .

لِلظَّالِمِينَ مَا مِنْ ﴿٦٦﴾ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٦٧﴾

﴿استسالة الرابعة﴾ : دللت الآية على أن جهنم كانت بحسوبة لقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصداً) أي مدعة ، وإذا كان كذلك كانت الجنة أيضاً كذلك ، لأنه لا قائل بالفرق .

(بوتنها) قوله ﴿لِلظَّالِمِينَ مَا مِنْ﴾ وفيه و مهملة . (إن فلتأبى مرصداً فكيف لا تقط كان قوله وللظالمين) من ثم ما قبله ، والقدير إن جهنم كانت مرصداً للظالمين ، ثم قوله (آية) بدل من قوله (مرصداً) وإن فلتأبى بها كانت مرصداً مطلقاً للكفار والمؤمنين ، كان قوله (إن جهنم كانت مرصداً) كلاماً تاماً ، وقوله (لِلظَّالِمِينَ مَا مِنْ) كلام مبتدأ كأنه قيل (إن جهنم مرصداً للكل ، وما لب للظالمين خاصة ، ومن ذهب إلى القول الأول لم ينف على قوله مرصداً أما من ذهب إلى القول الثاني وقف عليه ، ثم يقول المراد بالظالمين من تكبر على ربه وعلم في مخالفته ومعارضة ، وقوله (مَا مِنْ) أي مصيراً ومغراً .

(دلتها) قوله ﴿لَا يَتَنَبَّأُهَا أَحْقَابًا﴾ اعلم أنه تعالى لما بين أن جهنم مأب للظالمين ، وبين كية استقرارهم هناك ، فقال (لَا يَتَنَبَّأُهَا أَحْقَابًا) وهما مسائل :

﴿المسألة الأولى﴾ : قرأ الجمهور (لَا يَتَنَبَّأُ) وقرأ حمزة بفتح وفيه وجهان قال الفراء ما بمعنى واحد يقال لا يدونيت ، مثل طامع ، رطع ، وقاره ، وفره ، وهو كثير ، وقال صاحب الكشاش والقبض أفزى لأن اللابت من وجدته اللبت ، ولا يقال لك إلا لن شأه اللبت ، وهو ان يستقر في المكان ، ولا يكاد يتحرك عنه .

﴿المسألة الثانية﴾ : قال الفراء أصل الحطب من الترادف ، والتتابع يقال أحطب ، إذا اردف ومنه الحفية ومنه كل من حل ورداً ، فقد احتطب ، فيجوز على هذا المعنى (لَا يَتَنَبَّأُهَا أَحْقَابًا) أي دهوراً متتابعة يذبح بعضها بعضاً ، ويدل عليه قوله تعالى (لَا يُرْجَى خُلُقُ الْإِنْسَانِ) أي لا يرجى أن يتأبى إلى أن يتأبى أو أنس ، واعلم أن الأحقاب ، واحداً ما حطب وهو ثمانون سنة عند أهل اللغة ، والحطب السن واحدتها حقة وهي رطل من الذهب لا وقت له ثم نقل عن المفسرين فيه رجوه (أحضاها) قال عماد السكيت ومقاتل عن ابن عباس في قوله (أحقاباً) الحطب الواحد يضع وثمانون سنة ، والسنة ثمانون سنة ، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا ، وهذا روى أن عمر مرموعاً (وتأبىها) سأك هلال المجرى علياً عليه السلام ، فقال الحطب مائة سنة ، واللبنة اثنا عشر شهراً ، والشهر ثلاثون يوماً ، واليوم ألف سنة (ولأنها) قال الحسن الأحقاب لا يدرى أحد ما هي ، ولكن الحطب الواحد يسوق ألف سنة اليوم منها كالف سنة ، فاندون (ولأن قيل) قوله أحقاباً وإن طالت إلا أنها متناهية ، وعذاب لمن تناسر غير متناه ، بل لو قال لَا يَتَنَبَّأُهَا أَحْقَابًا لم يكن هذا السؤال وارداً ، ونظير هذا السؤال قوله

لَا يَدُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٥١﴾ إِلَّا حِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٥٢﴾ جَرَاءً وَفَاقًا ﴿٥٣﴾

في أصل القيلة (إلا ما شاء ، ذلك) هنا (الجواب) من وجوه (الأول) أن لفظ الأحقاب لا يدل على معنى حقب له نهاية وإنما الحقب الواحد مثله ، والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقاباً كلاً معنى حقب فيه حقب آخر ، وهكذا إلى الأبد (والثاني) قال الزجاج : المعنى أنهم يلبثون فيها أحقاباً لا يدقون في الأحقاب برداً ولا شراباً ، وهذه الأحقاب تراثت أربع من الدواب ، وهو أن لا يدقوا برداً ولا شراباً إلا حيماً وغساقاً ، ثم يدلون بعد الأحقاب على الجسم والغساق من جنس آخر من الدواب (وثالثها) يجب أن قوله (أحقاباً) يفيد التناهي ، لكن دلالة هذا على الخروج دلالة التدرج ، والمتعقبات دل على أنهم لا يخرجون ، قال تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولم عذاب مقبر) ولا شك أنه المطلق جامع ، وذكر صاحب الكشاف في الآية وجهاً آخر ، وهو أن يكون أحقاباً من حقب عابداً إذا قل مطر وخمير ، وحقب فلان إذا أخطأ الرزق فهو حقب وجهه أحقاب ، فبقية حقب حالاً عنهم بمعنى لا يبين فيها حقبين مجدين ، وقوله (لا يدقون فيها برداً ولا شراباً) تحذير له .

(ودأبها) قوله تعالى ﴿ لا يدقون فيها برداً ولا شراباً ، إلا حيماً وغساقاً ، جراً وفاقاً ﴾ وفيه ثلاث :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إن اخبرنا قول الزجاج بكسر قوله (لا يدقون فيها برداً ولا شراباً) متصلاً بما قبله ، والتحذير في قوله (فيها) عائد إلى الأحقاب ، وإن لم يخل به كان هذا كلاماً مستغافاً بهتاً ، بالصغير في قوله عائداً إلى جهنم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في قوله (برداً) وجهان (الأول) أنه المراد المعروف ، والمراد أنهم لا يدقون مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة ، أو طل ينعش من بار ، ولا يمددون شراباً يسكن عطشهم ، ويذيل الحرقه عن بواطنهم ، والحاصل أنهم لا يمددون حواء بارد ، ولا ماء بارداً (والثاني) المراد بها النوم ، وهو قول الأخفش والكشاف والفراء ونظرب والسي . قال الفراء : وإنما سمى النوم برداً لأنه يبرد صاحبه ، فإن العطشان يتم فغيره بالنوم ، وأنفسه أبو عبيدة والبيد في بيان أن المراد النوم قول الشاعر :

وردت مرادفها على نصدى عنها وعن رشقاتها البرد

يعني النوم ، قال البيد : من أشال العرب : منع البرد أي أصابني من البرد ما ندى من النوم ، وأعلم أن القول الأول لأنه إذا أمكن حل الموضع على الحقيقة المشهورة ، فلا معنى لخطه على الجهد النادر الغريب ، والقائلون بالقول الثاني أنكروا في إنبائه (وحسين (الأول) أنه لا يقال دقت البرد ويقال دقت النوم (الثاني) أنهم يدقون برد الزمهرير ، فلا يصح أن يقال إنهم ما ذاقوا

إِنْهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾

وجان : (الأول) أنه تعالى أنزل بهم عقوبة شديدة بسبب أهم أنهم أتوا بمعصية شديدة فيكون العقاب (وفاقاً) للذنب ، ونظيره قوله تعالى (وجزاء سينة سينة مغلظة) (والثاني) أنه (وفاقاً) من حيث لم يرد على قدر الاستحقاق ، ولم ينقص عنه وذكر التحريم فيه وسببها : (أحدها) أن يكون الوفاق والمزايا واحداً في القامه وتقدر جزاء موافقاً (وثانيها) أن يكون نصيباً على المصدر والتقدير جزاء ، وفاقاً لمعاملهم (وفاقاً) (وثالثها) أن يكون وصف بالمصدر كما يقال فلان يعقل وكرم لكونه كاملاً في ذلك المعنى ، كذلك فيها لما كان ذلك الجزاء كاملاً في كونه على وفق الاستحقاق وصف الجزاء بكونه (وفاقاً) (ورابعها) أن يكون يحذف المضارع والتقدير جزاء ذا وفاق وتراً أثر جوده (وفاقاً) فقال من الوفاق ، فإن قيل كيف يكون هذا العذاب النال في الشدة التقدير المنتهي بحسب المدة (وفاقاً) لإثبات الكفر لحظة واحدة ، وأيضاً هل في قول أهل السنة إذا كان الكفر رافعاً بخلق الله وإبعاده فكيف يكون هذا وفاقاً له ؟ وأما على من ذهب المعتزلة فكان علم الله بعدم إيمانهم ماصلاً ووجود إيمانهم مخالف بالذات لذلك العلم فعلم أنهم أقام أحد المتناقضين كان التكليف بإدخال المذنب في الوجود منتهاً لذاته وعينه ، ويكون تكليفاً بالجمع بين المتناقضين ، فكيف يكون مثل هذا العذاب الشديد الدائم وفاقاً لمثل هذا الجرم ؟ فلما يفعل الله ما يشاء وبحكم ما يريد .

واعلم أنه تعالى لما بين على الإجمال أن ذلك الجزاء كان على وفق جرمهم شرح أنواع جرائمهم ، وهي بعد ذلك موعان :

(أولها) قوله تعالى ﴿ إِنْهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ وفيه سؤالان :

(الأول) وهو أن الحساب شيء شاق على الإنسان ، وأنشئ الشاق لا يقال فيه إنه يرجى بل يجب أن يقال إنهم كانوا لا يحشرون حساباً (والجواب) من وجوه (أحدها) قال مقاتل وكثير من المفسرين قوله لا يرجون مثله لا يخافون ، ونظيره فوقهم في تفسير قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) (وثانيها) أن المؤمن لا بد وأن يرجو رحمة الله لأنه قاطع بأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر ، فقوله (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) إشارة إلى أنهم ما كانوا مؤمنين (وثالثها) أن الرجاء هنا بمعنى التوقع لأن الرامي للشيء متوقع له إلا أن أشرف أمم التوقع هو الرجاء فدعى المخبر باسم أشرف أنواعه (ورابعها) أن في هذه الآية تنبيهاً على أن الحساب مع الله جانب الرجاء فيه أغلب من جانب الخوف ، وذلك لأن الله سبحانه على الله تعالى بحكم الوعد في جانب الثواب والله تعالى حق على العبد في جانب العقاب ، والكريم قد يقطع حتى نفسه ، ولا يخطئ ما كان حقاً لغيره عليه ، فلا جرم كان جانب الرجاء أقوى في

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا عَظِيمًا

المحاسب . فلماذا السبب ذكر الرجا . ولم يذكر الخوف .

(في السؤال الثاني) أن الكفار كانوا قد أنابوا بأنواع من التوباع والتكبر . فذا السبب في أن حص الله تعالى هذا النوع من التكفر بالذكر في أول الأمر ؟ (الجواب) لأن رغبة الإنسان في فساد الخيرات . وفي ترك المحاولات . إنما تكون بسبب أن يجمع في الآخرة . من أنكر الآخرة . لم يدم على شيء من المشغولات . ولم يعبء عن شيء من المذكرات . فوله (زهم كانوا لا يرجون حساباً) غيبه على أنهم فعلوا كل شيء وتركوا كل شيء .

(والوع ٣) من فأنح أمهلم فوله (وكذبوا بآياتنا كذبا عظيماً) اعلم أن نصوص الطائفة الإنسانية اثنين بصرية ومحملة . وكان الإنسان في أن يعرف الحق لانه راحيل لأجل العمل به . ولهذا قال أولهم (وبعب على حكما) الخفى ماصالحين (لا على حكما) إشارة إلى كمال القوة الطارئة (وأغفى ماصالحين) إشارة إلى كمال القوة الدموية . فهذه من الله تعالى ودان حاله في الأمرين . أما في القوة الدموية فيه على فسادها بقوله (زهم كانوا لا يرجون حساباً) أي كانوا معتمدين على جميع القناخ والمذكرات . ويعبر راحيل في شيء من الطائعات والخيرات .

ولما في القوة النظرية منه على فسادها بقوله (وكذبوا بآياتنا كذبا عظيماً) أي كانوا متكونين بفهمهم الحق ومهمهم على الباطل . وإذا عرفوا ذلك لم يبق لهم طريق ليعتدوا به تعالى . فزهم أنهم كانوا قد أنابوا في الرداءة وتعدا إلى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو أربده . فلهذا كانت أمهلم كذلك كان اللائق به هو القوة الطارئة . فلهذا قد فسد زفه في جرائدها . فلهذا كانت فسادها عظيمة الطرافة مع أن الآوار النظرية قد استعدت . ولم يبق لها أحد . فاعلم أنه هذا يبين بطلان شأنه ورجاله على ما حص هذا الضرب بحمد الله هذا الأمر .

واعلم أن قوله تعالى (وكذبوا بآياتنا كذبا عظيماً) يدل على أنهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والرسالة والمعاد والشرائع والقرآن . وذلك يدل على كمال ما في القوة النظرية في الرداءة والفساد والعد عن حلال الدليل وقوله (كذبا عظيماً) أي تكذيباً وعاد من مصادر التمثيل وأشد الزجاج .

فقد طال ما روي عن صحابي . وعن حجاج هذا قوله من شافنا

من قضيت قضاء قال الله (وهي أمة ضيعة بآياتنا) فشره خربت نعيمه خرقا . وقال في أمران مهم على المروءة يستعين : الخلو أحب إليك أم العصار ؟ وقال صاحب الكشاف كذب أسرية فقال بعضهم لقد مرنا أسراراً أصحبه . وفري . بالخفيف وفيه جود : (أحدها) أنه صدر كذب بدليل قوله

وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٦٩﴾

فصنفتها أو كذبها . والمر ، بضمه كذبا

وهو مثل قوله تعالى (أنبئكم الأرض زائناً) بمعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذاباً (وأنهبها) أن ينصبه يكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب يخلق كاذب (ووالله أن يجعل المكذاب بعض المكاذبة ، فعداء وكذبوا بآياتنا فكذبوا ، مكاذبة . أو كذبوا بها مكاذبين . لأنهم إذا كذبوا عند المسلمين كاذبين . وكان المسلمون عندهم كاذبين فيقيم مكاذبة وقرى . أيضاً كذلك وهو جمع كاذب ، أي كذبوا بآياتنا كاذبين . وقد يكون المكذاب بمعنى الواحد اللبغ في المكذب ، يقال رجل كذاب كقولك حسن وجمال ، فيجعل صفة المصدر كذباً أي شكدياً كذاباً بفتح كـ ، واعلم أنه تعالى لما بين أن فساد حالهم في القوة العقلية وفي القوة النظرية بلغ إلى أقصى درجات العظم الهابات بين أن تفاصيل تلك الأحوال في كينها وقيمتها معروفة له . وقد يستحق عليه من العقاب ما هو له . فقال ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً ﴾ وجه مسألتي :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الزجاج (كل) منصوب بفعل مضارع غيره (أحصيناه) والمفعول : وأحصينا كل شيء . وغر المر أحصاه . وكل يرفع على الإبهام .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (وكل شيئاً أحصيناه) أي علمنا كل شيء . كما هو علماً لا يزول ولا يتبدل . ونفخه . قوله تعالى (أحصاه الله ونسوه) واعلم أن هذه الآية تدل على كونه تعالى عالماً بالجزئيات ، واعلم أن مثل هذه الآية لا تدل التأويل : وذلك لأنه تعالى ذكر هذا خبراً لما ادعاه من قول (جزأها وقفاً) كأنه تعالى يقول : أنا عالم بجميع ما فعلوه . وعلمنا بجهات تلك الأفعال وأحوالها واعتباراتها التي لا يعلمها يحصل استحقاق الثواب والعقاب ، فلا جرم لا أوصل إليهم من العذاب إلا قدر ما يكون وقفاً لأعمالهم . ومعلوم أن هذا القدر إنما يتم لو ثبت كونه تعالى عالماً بالجزئيات . وإذا ثبت هذا ظهر أن كل من أنكركه كاذراً كاذراً .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (أحصيناه كتاباً) فيه وجهان (أحدهما) تخديره أحصيناه إحصاءه ، وإنما عدل من تلك اللفظة إلى هذه اللفظة . لأن الكتابة هي النهاية في قوة العلم ، ولهذا قال عليه السلام ، فبدوا العلم بالكتابة . فكتابه تعالى قال : وكل شيء أحصيناه إحصاء مسطوراً في القوة والنيات . وأما كذا المكتوب ، فالمراد من قوله كتاباً أنا كبد ذلك الإحصاء والعلم . واعلم أن هذا التأكيد إنما ورد على حسب ما يليق بأفهام أهل الظاهر . فإن المكتوب بقل الزوال . وعلم الله بالأشياء لا يقبل الزوال لأنه واجب لذاته (القول الثاني) أن يكون قوله كتاباً محلاً في معنى مكتوباً والمفعول وكل شيء أحصيناه حال كونه مكتوباً في الموح المحفوظ . كقوله (وكل شيء أحصيناه في إمام بين) أو في مصحف الحافظة .

فَذُوقُوا ظَنَنَ يُزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾

ثم قال تعالى : ﴿ فذوقوا ظنن يزيدكم إلا عذاباً ﴾ .

واعلم أنه تعالى لما شرح أحوال العقاب أولاً ، ثم أوصى كونه (جزاء وفاقاً) ثم بين تفاصيل أفعاله الفبيحة ، وظهر صحة ما ادعاه أولاً من أن ذلك العقاب كان (جزاء وفاقاً) لا جرم أعاد ذكر العقاب ، وقرنه (فذوقوا) والفاء للجزاء ، فبـه على أن الأمر بالذوق سئل عما تقدم شرحه من قبائح أفعاله ، فهذا أعاد عين واحدة قوله (جزاء وفاقاً) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ هذه الآية دالة على المبالغة في التعذيب من وجوه (أحدها) قوله (فذوقوا) وكلفه أن لنا كيد في الشيء (و ثانيه) أنه في قوله (كانوا لا يرجون حساباً) ذكرهم بالمعاقبة وفي قوله (فذوقوا) ذكرهم على سبيل المشاققة وهذا يدل على كمال التعذيب (وثالثها) أنه تعالى حدد وجوه العقاب ثم حكم بأنه جزاء موافق لأفعاله ثم حدد فضائهم ، ثم قال (فذوقوا) فكانه تعالى أثنى وأقام الدلائل ، ثم أعاد تلك الفتوى بعضها ، وذلك يدل على المبالغة في التعذيب قال عليه الصلاة والسلام : هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار ، كلما استغفروا من نوع من العذاب أغفبوا بأشد منه ، حتى في الآية سزا لان :

(السؤال الأول) أليس أنه تعالى قال في صفة الكفار (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) فهذا لما قال لهم (فذوقوا) فذكرهم ؟ (الجواب) قال أكثر المفسرين بتقدير الآية هم فذوقوا ، وقالوا أن يقول على هذا الوجه لا يليق بذلك العاقل أن يقول (ظنن يزيدكم إلا عذاباً) بل هنا الكلام لا يليق إلا بـه . والأقرب في الجواب أن يقال قوله (ولا يكلمهم) أي ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع ، فإن تخصيص العموم غير بعيد لاسيما عند حصول التقرينة ، فإن قوله (ولا يكلمهم) إنما ذكره ليبان أنه تعالى لا ينفهمهم ولا يعين لهم وزناً ، وذلك لا يحصل إلا من الكلام الطيب .

(السؤال الثاني) دلت هذه الآية على أنه تعالى يزيد في عذاب الكافر أبداً ، ذلك الزيادة إما أن يقال إنها كانت مستحقة لهم أو غير مستحقة ، فإن كانت مستحقة لهم كان تركهم في أول الأمر إحساناً ، والكريم إذا أسقط حق نفسه ، فإنه لا يليق به أن يسترجعه بعد ذلك ، وأما إن كانت تلك الزيادة غير مستحقة كان إيسالاً إليهم ظليلاً وإنه لا يجوز على الله (الجواب) كما أن الشيء يؤثر بحسب خاصية ذاته ، فكذا إذا دام ازداد تأثيره بحسب تلك الدوام ، فلا جرم كلما كان الدوام أكثر كان الأيلاء أكثر ، وأيضاً فذلك الزيادة مستحقة ، وتركها في بعض الأوقات لا يوجب الإبراء والإسقاط ، والله علم بما أراد .

واعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعيد الأخبار وهو أمور :

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا ﴿٦٨﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٦٩﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٧٠﴾ وَكَأْسًا
دِهَانًا ﴿٧١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ﴿٧٢﴾

(أولها) قوله تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا﴾ أما لما في فقد تقدم تفسيره في مواضع كثيرة (ومقاراً) يحصل أن يكون مصيداً يعني فوزاً وطفراً بالجنة . وبحتمل أن يكون موضع فوز والفوز يحصل أن يكون المراءى فوزاً بالمطلوب ، وأن يكون المراءى فوزاً بالنجاة من العقاب ، وأن يكون المراءى مجموع الأمرين ، ويحتمل أن تفسيره بالفوز بالمطلوب أولى من تفسيره بالفوز بالنجاة من العقاب ، ومن تفسيره بالفوز بمجموع الأمرين أعني النجاة من الهلاك والوصول إلى المطلوب . وذلك لأنه تعالى قدر المقار بما بعده وهو قوله (حدائق وأعناناً) فوجب أن يكون المراءى من المقار هذا القدر . فإن قيل الخلاص من الهلاك أهم من حصول الجنة ، فلم أحمل الآم وذكر غير الآم ؟ قلنا لأن الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالجنة والخير . أما الفوز بالجنة والخير فيستلزم الخلاص من الهلاك ، فكان ذكر هذا أولى .

(وثانيها) قوله تعالى ﴿حدائق وأعناناً﴾ والحدائق جمع حديقة ، وهي بستان محوط عليه . من قولهم أحفر بابه أي أسماطه ، والتشكير في قوله (وأعناناً) يدل على تعظيم حال تلك الأعنان . (وثالثها) قوله تعالى ﴿وأكواعب أتراباً﴾ كواعب جمع كاعب وهي التواجد التي تكسب تدبير وتلك أي يكون الشيء في الشدة كالكمب والفتك .

(رابعها) قوله تعالى ﴿وكأساً دهاناً﴾ وفي الدهاق أنوال (الأول) وهو قول أكثر أهل اللغة كافي عبدة والزجاج والكسائي والمجيد ، و(دهاناً) أي منقطة ، دعا ابن عباس غلاماً له فقال : استنأ دهاناً ، فجاء الغلام بها ملى ، فقال ابن عباس هذا هو الدهاق قال عكرمة ، ربما سمعت ابن عباس يقول استنأ وأدهق لنا (القول الثاني) دهاناً أي متتابعة وهو قول أبي هريرة وسعيد ابن جبير وبجاءه ، قال الواحدي وأصل هذا القول من قول العرب أدهقت الحجارة (دهاناً) وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ، ذكرها البحت والمتابع كاللنداخل (القول الثالث) بروي عن عكرمة أنه قال (دهاناً) أي صافية ، والدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع داهق ، وهو خشبان يصير بهما ، والمراد بالكأس الخمر ، قال الضحاك : كل كأس في القرآن فهو خمر ، التفسير . وغراً ذات دهاق ، أي عصرت وصفت بالدهاق .

(وحاشا) قوله ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾ في الآية سؤالان :

(الأول) الضمير في قوله (فيها) إلى ماذا يعود ؟ (الجواب) فيه قولان (الأول) أنها ترجع إلى الكأس ، أي لا يجرى بينهم لغو في الكأس التي يشربونها ، وذلك لأن أهل الشرب

حُرِّمَ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءُ حَسَبًا ﴿١٠٠﴾

في الدنيا يتكلمون بالباطل ، وأهل الجنة إذا شربوا لم يتغير عقولهم ، ولم يتكلموا بالحق (والثاني) أن الكتابة : جمع إلى الجنة ، أي لا يسمعون في الجنة شيئاً بكفرهم .

(السؤال الثالث) كمال الكذب ، فيجب المبالغة ، فزوده في قوله تعالى (وكذبوا بآياتنا كذاباً) منازب لأنه فيجب المبالغة في وصفهم بالكذب ، أي ورودها فيها غير لائق ، لأن قوله لا يسمعون فيها تنوياً ولا كذاباً ، فيجب أنهم لا يسمعون ، فكذب العظيم وهذا لا يليق ، فهم يسمعون الكذب القليل ، وليس مقصود الآية ذلك لي المقصود المبالغة في أنهم لا يسمعون الكذب البتة ، والحاصل أن هذا المبالغة فيجب من المسامحة واللائق بالآية المبالغة في التي (وأجواب) أن الكذب في ترا الأول بالتشديد ، والثاني بالتخفيف ، ولعل غرضه من قوله في هذا السؤال ، لأن قراءة التخفيف فيها تنبيه أنهم لا يسمعون للكذب أصلاً ، لأن الكذاب بالتخفيف والكذب واحد لأن أبغلي القاصي قال كذاب ، مصدر كذب ككذاب مصدر كذب إذا كان كذاً كانت القراءة بالتخفيف فيجب المبالغة في التي . وقراءة التشديد في الأول تنبيه المبالغة في الثبوت فيحصل المقصود من هذه القراءة في الموصفين على أكل الإجماع ، فأخذنا بقراءة تكذيب في هذا السؤال ، وإن أخذنا بقراءة التشديد في الموصفين وهي قراءة الثقلين ، فأنذر عنه أن قوله (لا يسمعون بها نحواً ولا كذاباً) إشارة إلى ما تقدم من قوله (وكذبوا بآياتنا كذاباً) والمعنى أن هؤلاء البهلاء لا يسمعون كلامهم المشوش النازل القليل . والحاصل أن عدم الواحدة إليهم تكون حالة عن زعمه أخذ ثم وعن سماع كلامهم الفساد ونحوهم الكاذبة الباطلة .

ثم إنه تعالى لما عدد أقسام نعم أهل الجنة قال ﴿ حُرِّمَ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءُ حَسَبًا ﴾ وفيه مسائل :
 ﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الزجاج المعنى حُرِّمَ حُرْمٌ حُرْمٌ ، وكذلك عطاء لأن معنى جازاها وعطاها واحد .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في الآية : مؤنل وهو أنه تعالى جعل الفعل المسمى الواحد حُرْمًا وعطاء ، وذلك حال لأن كونه جرماً يستلزم ثبوت الاستحقاق ، وكونه عطاء يستلزم عدم الاستحقاق والجمع بينهما متناقض (وأجواب عنه) لا يصح إلا على قولين وهو أن ذلك الاستحقاق إما ثبت بحكم الوعد ، لا من حيث إن الفعل يوجب الثواب على الله ، فذلك الثواب نفاً إلى الوعد المترتب على ذلك الفعل يكون حُرْمًا ، ونظراً إلى أنه لا يجب على الله لأحد شيء ، يكون عطاء .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (حَسَبًا) فيه وجوه (الأول) أن يكون بمعنى كثيراً مأخوذاً من قولهم : أعطاني ما أحسن أي ما كثيراً . ومنه قوله سبحانه من سألني عنه فجزى ، أي كثيراً من سؤالي ، ومنه قوله :

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٣﴾

قلنا حلت به ضمنى . فلولي جهلا وأعطى حسابا

أى أعطى ما كفى (والوجه الثانى) أن قوله حساباً مأخوذ من حديث تميم ، إذا أعدته وغبرته فقولته (عطا حساباً) أى عطا ما وجب . فهما رعد من الإخفاف ، لأنه أملى قدر الخواء على ثلاثة أوجه ، وجه منها على عشرة أضعاف ، ووجه على سبعة أضعاف ، ووجه على مائة أضعاف . (كما قال) إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . (الوجه الثالث) وهو قول ابن قتية (عطا حساباً) أى كثير أو أحديث فلا يملئ أكثر له . قال الشاعر .

ونفى وبه نفي إن كان حاداً . ونسبه إن كان ليس بحد

(الوجه الرابع) أنه سبحانه يرسل الرياح التى هو الجزاء لهم ويرسل الغضل الذى يكون زائداً على الجزاء لهم . ثم قال (حساباً) ثم يشير الجراء عن العطاء حال الحساب (الوجه الخامس) أنه تعالى لما ذكر في ربيع أهل النار (جزاء) وقام ذكر في وعد أهل الجنة جزاء عطا حساباً أى رابعت في نواب أعمالكم الحساب . فلا يقع في نواب أعمالكم خمس ونقصان وتقصير . والله أعلم بمراده .

المسألة الرابعة ﴿ فَرَأَى ابْنُ فُطَيْمٍ ﴾ (حساباً) بالتنوين على أن الحساب بمعنى المحاسب كالمذكر بمعنى المذكر . هكذا ذكره صاحب الكشف

وأظهر أنه تعالى لما بالغ في وصف وعيد التكفار ووجد المتعجبين ، ختم الكلام في ذلك بقوله ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ وفيه مسائل :

المسألة الأولى ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ﴾ فيه ثلاثة أوجه من القراءة الرفع فهما وهو قراءة ابن كثير وناهم وابن عمرو ، والجر فهما وهو قراءة عاصم وعبد الله بن عامر . والجر فى الأول مع الرفع فى الثانى ، وهو قراءة حمزة والكسائى . وفى الرفع وجوه (أحدها) أن يكون رب السموات مبتدأ ، والرحمن خبره . ثم استوفى لا يملكون منه خطاباً (وثانيها) رب السموات مبتدأ ، والرحمن صفة ولا يملكون خبره (وثالثها) أن يعبر المبتدأ والتقدير (هو رب السموات هو الرحمن ثم استوفى لا يملكون) (ورابعها) أن يكون الرحمن ولا يملكون خبرين وأما وجه الجر فعلى البدل من ربك ، وأما وجه جر الأول ، ورفع الثانى على الأول بالبدل من ربك ، والثانى مرفوع بكونه مبتدأ وخبره لا يملكون .

المسألة الثانية ﴿ عَصِمَ ﴾ فى قوله (ولا يملكون) إلى من يرجع ؟ فيه ثلاثة أقوال (الأول) نقل عطا عن ابن عباس أنه راجع إلى المشر كين يريد لا يتخطى المشر كين أما المؤمنون فيعصمون بحبل الله ذلك منهم (وثانى) قال الفاضل إنه راجع إلى المؤمنين ، والمعنى أن المؤمنين لا يملكون

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

صَوَابًا ﴿٢٨﴾

أن يخاطبوا الله في أمر من الأمور ، لأنه لما ثبت أنه عدل لا يجرؤ ، ثبت أن المقلب الذي أوصله إلى
إلى الكفارة عدل ، وأن الثواب الذي أوصله المؤمنين عدل ، وأنه ما ينجر حضم . فأمر سبب
بخاطبونه . وهذا القول أقرب من الأول لأن الذي جرى قبل هذه الآية ذكر المؤمنين لا ذكر
الكفار (والتالي) أنه ضمير لأهل السموات والأرض . وهذا هو الصواب ، فإن أحداً من المخلوقين
لا يمكن مخاطبة الله ومكالمته . وأما الصفات الواقعة بأذهانهم ولرد على هذا الكلام لأنه نفي الملك
والذي يحصل بفضل وإحسانه ، فهو غير ملوك ، فثبت أن هذا السؤال غير لازم ، والذي يدل من
جهة الفعل على أن أحداً من المخلوقين لا يمكن مخاطبة الله وجوده (الأول) وهو أن كل ما سواه فهو
ملوك والملوك لا يصح على مالك شيئاً (وثانيها) أن معنى الاستحقاق عليه ، هو أنه لو لم يفعل
لاستحق القدم . ولو فعله لاستحق المدح ، وكل من كان كذلك كان ناقصاً في ذاته ، مستكلاً بغيره
ولسأل الله عنه (وثالثها) أنه عالم بفتح القيس ، عالم بكونه غيباً عنه ، وكل من كان كذلك لم يفعل
القبيح ، وكل من استع كونه فاعلاً للقبيح ، فليس لأحد أن يطالبه بشيء . وأن يقول له لم فعلت .
والوجهان الأولان مفرعان على قول أهل السنة ، والوجه الثالث ينزع على قول المتوهمين أن
أحداً من المخلوقات لا يمكن أن يخاطب ربه ويطلب إليه .

واعلم أنه تعالى لما ذكر أن أحداً من المخلوق لا يمكن أن يخاطب الله في شيء أو يطالبه بشيء
قرر هذا المعنى ، وأكده فقال تعالى ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن
له الرحمن وقال صواباً ﴾ .

وذلك لأن الملائكة أعظم المخلوقات قدراً ورتبة ، وأكثر قدرة ومكانة ، فبين أنهم
لا يتكلمون في موقف القيامة إلا لجلال لربهم وخوفاً منه وعضواً له . فكيف يكون حال غيرهم .
وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ لمن يقول بتفضيل الملك على البشر أن يتمسك بهذه الآية ، وذلك لأن
المقصود من الآية أن الملائكة لما بقوا عاتقين خاضعين ولين متعبرين في موقف جلال الله ،
وظهور عزته وكبريائه . فكيف يكون حال غيرهم . ومعلوم أن هذا الاستدلال لا يتم إلا إذا
كأمر أشرف المخلوقات .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا في الروح في هذه الآية ، فمن ابن مسعود أنه ملك أعظم من
السموات والجبال . ومن ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً ، ومن مجاهد : خلق على

صورة نبي آدم يأكلون ويشربون ، وليسوا بالناس ، وعن الحسن وقادة هم بنو آدم ، وعمل هذا معناه ذو الروح ، وعن أن عيسى أرواح الناس ، وعن الضحاك والشعبي هو جبريل عليه السلام ، وهذا القول هو المختار عند القاضي . قال لأن القرآن دل على أن هذا الاسم اسم جبريل عليه السلام ، وثبت أن القيان صحيح من جبريل والكلام صحيح منه ، ويصح أن يؤخذ له فكيف يصرف هذا الاسم عنه إلى خلق لا تعرفه ، أو إلى القرآن الذي لا يصح وصفه بالقيام ، أما قوله (صفاً) فيحتمل أن يكون المعنى أن الروح على الاختلاف الذي ذكرناه ، وجميع الملائكة يقومون صفاً واحداً ، ويجوز أن يكون المعنى يقومون صفين ، ويجوز صفواً ، ونصف في الأصل مصدر جهني ، عن الواحد والجمع ، وخالف قول القسرين أنهم يقومون صفين ، فيقوم الروح وحده صفاً ، ويقوم الملائكة كلهم صفاً واحداً ، فيكون نظام خلقه مثل صفوفهم ، وقال بعضهم بل يقومون صفواً لقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الاحتياط من يعود آية قولان :

(أحدهما) أن الروح والملائكة ، وعلى هذا التقدير : الآية دللت على أن الروح والملائكة لا يتكلمون إلا عند حصول شراطين (أحدهما) حصول الإذن من الله تعالى . ونظيره قوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده ، إلا بإذنه) والمعنى أنهم لا يتكلمون إلا بإذن الله .

(والشراطين) أن يقول صواباً ، وإن قيل فاذن له عرض في ذلك القول ، علم أن ذلك القول صواب لا علة ، فالقائمه في قوله (وقال صواباً) ؟ والجواب من وجهين (الأول) أن الرحمن أذن له في مطلق القول ثم بهم عند حصول ذلك الإذن لا يتكلمون إلا بالصواب ، فكأنه قيل لهم لا يتكلمون إلا بعد ورود الإذن في الكلام ، ثم بعد ورود ذلك الإذن يجتهدون ، ولا يتكلمون إلا بالكلام الذي يبدون أنه صدق وصواب ، وهذا مبالغة في وصفهم بالطاعة والمجردة (المرجه الثاني) أن تقديره : لا يتكلمون إلا في حق (من أذن له الرحمن وقال صواباً) والمعنى لا يشعرون إلا في حق شخص أثبت له الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان من قال صواباً ، واحتج صاحب هذا التأويل بهذه الآية على أنهم يشعرون بعدلين لأنهم قالوا صواباً وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، لأن قوله (وقال صواباً) يكفي في صدقه أن يكون قد قال صواباً واحداً ، فكيف بالشخص الذي قال القول الذي هو أصوب الأقوال وتكلم بالكلام الذي هو أشرف الكلمات (القول الثاني) أن الاستثناء غير عائد إلى الملائكة فقط بل إلى جميع أهل السموات والأرض ، والقول الأول أولى لأن عود التفسير إلى الأقرب أولى .

واعلم أنه تعالى لما قرر أصول المكلفين في درجات الثواب والنقاب ، وقرر لحظة يوم

القيامة قال بعده :

ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ **﴿١﴾** قُلْ شَاءَ أَخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَقَابِلًا **﴿٢﴾** إِنَّا أَنْذَرْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْعُرَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

(ذلك اليوم الحق) ذلك إشارة إلى تقدم ذكره ، وفي وصف اليوم بأنه حق وجوده (أحدهما) أنه يعصلي فيه كل الحق ، ويندفع كل باطل ، فلذلك كالأل في هذا المعنى قيل إنه حق ، كما يقال فلان حركة ، وما وصف بأن فيه غيراً كثيراً ، وقوله (ذلك اليوم الحق) يريد أنه هو اليوم الحق وما عداه باطل ، لأن أيام الدنيا باطلة أكثر من حقها (وأيها) لأن الحق هو الثابت الكائن ، وبهذا المعنى يقول يا الله حق ، أنت هو ثابت لا يغير عليه الغدار ، يوم القابضة كذلك فيكون حقاً (وأيها) أن ذلك اليوم هو اليوم الذي يستحق أن يقال له يوم ، لأن فيه تبيان المراتم وتكشف الظهار ، وأما أيام الدنيا فأحوال الخلق فيها مكنونة ، والأحوال فيها غير معلومة .

قوله تعالى : **﴿٣﴾** شَاءَ أَخَذَ الْعَذِبَ مَقَابِلًا **﴿٤﴾** أي مرجعاً ، والدمية احتجوا به على الاختيار والامتناع ، ويصح ما رووه عن ابن عباس أنه قال : المراد من شاء الله به خير أو شر حتى يتخذ إلى ربه **﴿٥﴾** ، ثم إنه تعالى راد في تعقيب تكفير فقال **﴿٦﴾** إِنَّا أَنْذَرْنَا كَمْ عَذَابًا قَرِيبًا **﴿٧﴾** يعني العذاب في الآخرة ، وكل ما هو آت قريب ، **﴿٨﴾** أي كقولهم تعالى (كأنهم يوم يروها لم يلحوا) لأنظمة أو مخصص وإنما ساء بذاراً ، لأنه تعالى هذا الوصف قد خوف به بهيمة التعجب وهو معنى الإخبار .

قوله تعالى : **﴿٩﴾** يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ **﴿١٠﴾** وهذه مسائل :

﴿١﴾ مسألة الأولى **﴿٢﴾** ما قال قوله (ما قدمت يداه) فيه وجهان (الأول) أنه استفهامية منصوبة قدمت ، أي ينظر أي شيء قدمت يداه (الثاني) أن تكون بمعنى الذي وتكون منصوبة بنظر ، والتقدير : ينظر إلى الذي قدمت يداه ، (لأن على هذا التقدير حصل فيه حذقان (أحدهما) أنه لم يقل قدمت ، بل قال (قدمت) حذف الضمير الزايع (الثاني) أنه لم يقل ينظر إلى ما قدمت ، بل قال : ينظر ما قدمت ، بقام مضرة بمعنى نظرت إليه .

﴿٣﴾ المسألة الثانية **﴿٤﴾** في الآية ثلاثة أقوال (الأول) وهو الأخير أن المرء عام في كل أحد ، لأن المكلف إن كان آدم عمل الخائف ، فليس له إلا التواب العفيف ، وإن كان آدم عمل الكافر ، فليس له إلا العذاب الذي وصفه الله تعالى ، فلا رجا ، لأن ورد القابضة عن المكلفين في أمر سوى عيسى ، وهذا هو المراد بقوله (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أي يقول له إن آدم عمل الأبرار ، وويل له إن آدم عمل الكفار (وقول الثاني) وهو قول عطية أن المرء ههنا هو الكافر ، لأن المؤمن كما ينظر إلى ما قدمت يداه ، فكذلك ينظر إلى عقوبات الله ورحمته ،

وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿١٠١﴾

وأما الكافر الذي لا يرى إلا العذاب . فهو لا يرى إلا ما قدمت بده . لأن ما وصل إليه من العقاب ليس إلا من شزم معاملته (والقول الثالث) وهو قول الحسن . وغداة أن المرء هنا هو المؤمن . واحتجوا عليه بوجهين (الأول) أنه تعالى قال بعد هذه الآية . (ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً) فلو كان هذا بناءً لحال الكافر . وجب أن يكون الأول بناءً لحال المؤمن (وثاني) وهو أن المؤمن لما قدم الخير وأشر فهو من الله تعالى على غفران ورحمة . فينظر كيف يحدث له الحال . أما الكافر فإنه قاطع بالعقاب . فلا يكون له انتظار أنه كيف يحدث الأمر . فإن مع القاطع لا يحصل الانتظار .

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ : فالقول بأن الخير يوجب الثواب والشر يوجب العقاب تمسكوا بهذه الآية . فقالوا لو لا أن الأمر كذلك . ولما لم يكن نظر الرجل في الثواب والعقاب على عمله بل على شيء آخر (والجواب عنه) أن العمل يوجب الثواب والعقاب . لكن بحكم الوعد والجميل لأحكام الذات . أما قوله تعالى (ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً) فيه وجه . (أحده) أن يوم القيامة ينظر المرء أمره . فمست بده . أما المؤمن فإنه يجد الإيمان والعفو عن سائر المعاصي على ما قال (وينظر مادون ذلك لمن يشاء) وأما الكافر فلا يتوقع العفو على ما قال . (إن الله لا يفرق أن يفرقه) فبعد ذلك يقول الكافر (ياليتني كنت تراباً) أي لم يكن حياً مكشاً (وثانيها) أنه كان قبل البعث تراباً . فالحق على هذا . ياليتني لم أبعث فحسابي . وبقي كما كنت تراباً . كقوله تعالى (ياليتني كانت القاضية) وقوله (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا أولئذ يقولوا لدنيهم الأرض) (وما لنا) أنه الهائم تحشر فيخص لنجا . مرتب ألفراً . ثم يقابل لها بعد المحاسبة (كوفي تراباً) فيسمى كافرًا عند ذلك أن يكون هو مثل تلك الهائم أن يصير تراباً . وينخلص من عذاب الله وأنكر بعض المفسرة ذلك . وقال إنه تعالى إذا أعادنا فمن بين معرض وبين منفضل عليه . وإذا كان كذلك لم يجوز أن يشهدوا مع الناس . لأن ذلك كالإضرار بها . ولا يجوز ذلك في الآخرة . ثم إن هؤلاء قالوا . إن هذا الحيوان إذا انتهت مدة أحوالها عمل الله كل ما كان منها حشر العوددة لوأبأ لأهل الجنة . وما كان تبع بصورة عقاب لأهل النار . فالأقضى . ولا يمنع إرباً إذا وفر الله أحوالها وهي غير كرامة العيش أن يزيل الله حبائلها على وجه لا يحصل لها شعور بالألم فلا يكون ذلك ضرراً (ودوايها) ما ذكره بعض المفسرة فقال قوله (ياليتني كنت تراباً) معناه ياليتني كنت متراخياً في طاعة الله ولم أكن مشكراً مشرداً (وخامسها) الكافر ليس يرى آدم وولده وأولادهم . فينتهي أن يكون الشيء الذي انصرف عنه قال (غفاني من نار وعفني من طين) والله أعلم بمراده . وأما رأي كتابه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

(٧٩) سُوْرَةُ التَّٰزِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تَبَيَّنَتْ طَرِيقُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①
وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ②
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③
فَالسَّيِّدَاتِ سَبًّا ④
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ⑤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ والتازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً ، والسابحات سبحاً ، فالسيدات سباً ، فالمدبرات أمراً ، فيه مسائلان : ﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن هذه الكلمات الخمس ، يحتمل أن تكون صفات لشيء واحد ، ويحتمل أن لا تكون كذلك ، أما هل الاحتمال الأول قد ذكرنا في الآية وجوهاً (أحدها) أنها بأسرها صفات للملائكة ، فقوله (والتازعات غرقاً) هي الملائكة الذين يذبحون نفوس بني آدم فأنازعوا نفس الكفار نزوحاً بشدة ، وهو ، أخو ذم من قولهم تزعج في الفرس فأغرق يقال أغرقى التازع في النفوس إذا بلغ غاية الذي حتى يقضى إلى النسل ، فتقدير الآية : والتازعات إغراقاً ، والفرق والإغراق في الأمة بمعنى واحد ، وقوله (والناشطات نشطاً) النشط هو الجذب يقال نشطت المملو أنشطها وأنشطتها نشطاً زعمتها برقى ، والمراد هي الملائكة التي تنشط روح المؤمنين فتنهبها ، وإنما خصصنا هذا بالمؤمن والأول بالكافر لما بين النزوع والنشط من الفرق فالنزوع جذب بشدة ، والنشط جذب برقى ولين فالملائكة ، تنشط أرواح المؤمنين كما تنشط الدلو من البئر فالمراد أن قوله (والتازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً) قسم تلك المموت وأمراته إلا أن الأول إشارة إلى كيفية قبض أرواح الكفار ، والثاني إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين ، أما قوله (والسابحات سبحاً) فهم من خصصه أيضاً بملائكة قبض الأرواح ، ومنهم من حمله على سائر حوائج الملائكة ، أما (الوجه الأول) فنقل عن علي عليه السلام ، وابن عباس ومسروق ، أن الملائكة يسلمون أرواح المؤمنين سلا وقفاً ، فهذا هو المراد من قوله (والناشطات نشطاً) ثم يتركونها حتى تستريح رويداً ، ثم يستخرجونها بعد ذلك برقى ولطافة كالذي يسبح في الماء فإنه يتحرك برقى ولطافة لا يفرق ، فكذلك هنا برقى قوله في ذلك الاستخراج ، إلا يصل إلى ألم وشدة

فذلك هو المراد من قوله (وإنبأ بطول نشاط) وأما الذين حملوه على سائر طوائف الملائكة فقالوا إن الملائكة يقولون من السماء صرعين ، فجوز زرهم من السماء كالساحة ، والعرب تقول للمرس الجواد ، إن السامح ، وأما قوله (فالساعات سبقا) فهم من غيره ، لأنك قبض الأرواح يسبقون بأرواح الكفار إلى النار ، وأرواح المؤمنين إلى الجنة ، ومنهم من خسر بسائر طوائف الملائكة ، ثم ذكروا في هذا المبنى وجوها (أحدها) قال مجاهد وأمر روي إن الملائكة سبقت ابن آدم بالإيمان والعبادة ، ولا شك أن السابقة في الخيرات درجة عظيمة قال تعالى (والسايقون السابقون أوتيتكم المرفون) وثانيها (قال) قرأ والإجماع إن الملائكة تسبق الساطعين بالروح إلى الأنبياء لأن الساطعين كانت قسرة السمع (وثالثها) ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى وصفهم فقال (لا يسبقون) بالقول ، يعني قبل الإنسان لا يتحركون ولا يتفكرون تعظيما لجلال الله تعالى وخوفاً من عيبه ، وهذا وصفهم السابق يعني إذا جاءهم الأمر ، فإنهم يسارعون إلى أمثاله ويتبادرون إلى إظهار طاعته ، ثم هذا هو المراد من قوله (فالساعات سبقا) ، وأما قوله (فالخيرات أمتراً) فأجمعوا على أنهم هم الملائكة : قال مقاتل يعني جبريل وميكائيل ، وإسرافيل وهزائيل عليهم السلام يدرون أمر الله تعالى في أفعال الأرض ، وهم المقدمات أمتراً ، أما جبريل موكل بالرياح والجنود ، وأما ميكائيل فموكل بالظفر والنبات ، وأما ملك الموت فموكل بقض الأنفس ، وأما إسرئيل فهو يقول بالأمر عليهم ، وقوم منهم موكلون بحفظ آدم ، وقوم آخرون بكتابة أعمالهم وهم آخرون بالحشف والمسخ والرياح والسحاب والأعطار ، بنى على الآية سؤالان :

(السؤال الأول) : قال فالخيرات أمتراً ، ولم يقل أموراً فإنهم يدرون أموراً كثيرة لا أمتراً واحداً (والجواب) أن المراد به الجنس ، وإذا كان كذلك قام مقام الجمع .

(السؤال الثاني) قال تعالى إن الأمر كله لله فكيف أتيت لهم مهنة تدبر الأمر . (والجواب) لما كان ذلك الإنبان به كان الأمر كله لله ، وهذا تنجيص ما قاله المفسرون في هذا الملب ، وعندي فيه (وجه آخر) وهو أن الملائكة لها صفات سلبية وصفات إضافية ، أما الصفات السلبية فهي أنها مبرأة من الشهوة والتعصب والأخلاق المذمومة ، وأزوت والغرم والسقم والتركيب من الأعضاء والأخلاق والأركان ، بل هي جواهر دوحانية مبرأة عن هذه الأحوال . فقوله (وإنزاعات غرقا) إشارة إلى كونها منزوعة عن هذه الأحوال أو عاكبات جميع الوجود وعلى هذا الضمير (إنزاعات) هي ذوات الأربع كاللأن والبار . وأما قوله (إن النشاطات نشاطا) إشارة إلى أن خروجها عن هذه الأحوال ليس على سبيل التشكيف والتشفة كما في حق البشر ، بل هي مقتصرة ما بها لهم خروجها عن هذه الأحوال ونزوها عن هذه الصفات ، فهذان الشككتان إشارتان إلى تعريف أحوالهم السلبية ، وأما صفاتهم الإيجابية فهي نسيان (أحدهما) خروج قوتهم العاقلة أي كيف حالهم ومعرفة مشاقه والذكورة والاطلاع على نور جلالة قوتهم في هذا المقام وصدقين

(أحدها) قوله (والسابع سبعا) فهم يسبحون من أول فطرهم في بحار جلال الله ثم لا ينتهي لسبحاتهم ، لأنه لا منتهى لصفاته وعلو مرتبته ونور جلالة وكبريائه ، فهم أبدان تلك السبعة (وثانيها) قوله (عاشقات سبعا) وهو إشارة إلى مراتب الملائكة في تلك السبعة فإنه كما أن مراتب معارف البهائم بالنسبة إلى مراتب معارف البشر ناقصة ، ومرتب معارف البشر بالنسبة إلى مراتب معارف الملائكة ناقصة ، فكذلك معارف بعض تلك الملائكة بالنسبة إلى مراتب معارف الباقين معلومة ، وكأن الحاشية بين موج انفس ونوع الإنسان بالمعية لا بالمعارض فكذلك الحاشية بين شخص كل واحد من الملائكة وبين شخص الآخر بالمعية فإذا كانت أعضاها متعارفة بالمعية لا بالمعارض كانت لا محالة متعارفة في درجات المعرفة وفي مراتب التجلي فهذا هو المراد من قوله (عاشقات سبعا) فهاتان السكتان المراد منهما نرح أحوال قوتهم ثمانية .

وأما قوله (فانذرنا أمرا) فهو إشارة إلى شرح حال قوتهم العامة ، وذلك لأن كل حال من أحوال العالم للخلق مفروض إلى تدين واحد من الملائكة الذين هم حواري العالم العلوي وسكان بقاع السموات ، ولما كان التدبير لا يتم إلا بعد العلم ، لا جرم قدم شرح القوة العاقلة التي لهم على شرح القوة البدنية التي فيه ، فهذا الذي ذكرناه احتياجا ظاهر والله أعلم بمراده من كلامه .

واعلم أن أبا مسلم بن بحر الأصفهاني ضمن في حاشية الكلمات على الألف ، وقال واحد النازعات نازعة وهو من لفظ الإثبات ، وقد نزه الله تعالى الملائكة عن التأنيث ، وعاب قول الكشاف حيث قال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) .

واعلم أن هذا ضمن لا يتوجه على تفسيرنا ، لأن المراد الأشياء ذات التزعم ، وهذا التقدير لا يقتضي ما ذكر من التأنيث .

(الوجه الثاني في تأويل هذه الكلمات) أنها هي النجوم وهو قول الحسن البصري ووصف النجوم بالنازعات بمنزل وجوها : (أحدها) كأنها تزعم من تحت الأرض فتعذب إلى ما فوق الأرض ، فإذا كانت موزعة كانت قوات تزعم ، فيصح أن يقال إنها نازعة على قياس اللان وشامر (وثانيها) أن النازعات من قولهم نزع إليه أي ذهب نزوحا ، هكذا قاله الواحدى فكأنها تطلع وتغرب بالنزع والسوق (وثالث) أن يكون ذلك من قولهم نزع الحبل إذا جرت ، بمعنى (والنازعات) أي والجاريات على السير المقدر والحد اثنين وقوله (غرة) بمنزل وجهين : (أحدهما) أن يكون سالما من النازعات أي هذه الكواكب كالغرة في ذلك الزرع والإرادة وهو إشارة إلى كمال حالها في تلك الإرادة ، فإن قيل إذا لم تكن الأفلاك والكواكب أحياء باعثة ، فما معنى وصفها بذلك فتأخذا يكون على سبيل التشبيه كقوله تعالى (وكل في ذلك يسبحون) فإن الجمع بالولو والظنون يكون للفلا ، ثم إنه ذكر في الكواكب على سبيل التشبيه (والثاني) أن يكون معنى غرتها

غيبوها في أمم الغرب ، فلما زعمت إشارة إلى مظلوعها وغرفاً إشارة إلى غروبها إلى نزع . ثم تغربوا
إغراقاً ، وهذا الوجه ذكره قوم من المصريين .

أما قوله (والنبوءات نشطاً) فقال صاحب التفسير : سمنا أنها تخرج من برج إلى برج من
قوتك : تورد النشط إذا خرج من بلد إلى بلد . وأقول يرجع حاصل هذا الكلام إلى أن قوله
(والنبوءات غرفاً) إشارة إلى حركتها اليومية (والنبوءات نشطاً) إشارة إلى انتقالها من برج
إلى برج وهو حركتها المخصوصة بها في أملاكها الخاصة . والمحب أن حركتها اليومية قسرية ،
وحركتها من برج إلى برج ليست قسرية ، بل ملائمة لذواتها . فلا يجرم بحر من الأول بالبرج
وعن الثاني بالنشط ، فتأمل أيها المسكين في هذه الآراء .

وأما قوله (والنبوءات سبح) فقال المحسن ولو عبدة رحمة الله : هي النجوم تسبح في
العلك ، لأن مرودها في الجو كالسبح ، ولهذا قال (كل في ملك يسبحون) .

وأما قوله (فاستأجنت سبحاً) فقال المحسن وأمر عبدة : هي النجوم يسبح بعضها بعضاً في
الصبر بسبب كون بعضها أرفع حركة من البعض ، أو بسبب وجوبها أو استفادتها .

وأما قوله تعالى (فلما زعمت أمراً) فذهب وسبأ (أحدهما) أن بسبب سيرها وحركتها
بميز بعض الأوقات عن بعض ، فظهر أوقات العبادات على ما قال تعالى (فذبحناه لله حين
نموتون وحين تصبحون وله الحمد) وقال (يدأونك عن الإجملة قل هي موافقة لأمس والجمع)
وقال (لعدد السنين والحساب) ولأن بسبب حركة الشمس تختلف الفصول الأربعة ،
وتختلف أسباب الخلق أحوال الناس في المعاش ، فلا يجرم أخلفت إليها هذه الدورات (والذوق)
أنه لما ثبت بالدليل أن كل جسم حدثت تحت أن الكواكب محدثة مقتضاة إلى مرجع بوجودها ،
ولم يصالح بخلقها ، ثم بعد هذا لو قدرنا أن صانعها أودع فيها قوى . وثورة في أحوال هذا العالم ،
مدا يطمس في الدين الله ، وإن لم غل بقيت هذه القوى أيضاً ، لكنها غل الله سبحانه وتعالى
أعزى عاداته بأن كل واحد من أحوالها المخصوصة مبدأ لحدث سمات مخصوص في هذا
العالم ، كما جعل لكل مبدأ للشع والنبوءات . فلو : ومما انتار مبدأ لا حترافي . فاقول
هذا المذهب لا يعبر الإسلام أنه يرجع من الوجوه . والله أعلم بحقيقة الحال .

(في التوجه الثالث) في تفسير هذه كلمات الحمدة أنها هي الأرواح ، وذلك لأن نفس الميت
تخرج ، يقال غلب في الزرع ، وغلبان يزرع إذا كاد في سائر المات ، والانس أربعاء عند السائق ،
ومعنى (غرفاً) أي زرعاً شديداً أربع ما يكون وأشد من [غرفاً] الزرع في أقوس وكذلك نشط
لأن النشط معناه الخروج ، ثم الأرواح البشرية الحايية عن " ملائكة الجنانية المشتاقة إلى الاتصال
بالقوى بعد خروجها من غلة الأجساد تذهب إلى عالم الغلافة ، وملايك القدس على أسرع
الوجوه في روح وريحان ، فبعد عن ذهابها على هذه الحالة بالباحة ، ثم لا شك أن مراتب الأرواح

في الغرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بالعالم العلوي مختلفة كلها كانت أهم في هذه الأحوال كان سيرها إلى هناك أسبق . وكلما كانت أضعف كان سيرها إلى هناك أقل ، ولا شك أن الأرواح السابعة إلى هذه الأحوال أشرف فلا جرم وقع القسم بها . ثم إن هذه الأرواح الشريفة العالية لا يبد أن يكون فيها ما يكون لقوتها وشرعها يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم فهي (فالمدرجات أسراً) أليس أن الإنسان قد يرى أستاذة في المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده إليها ؟ أليس أن الابن قد يرى أباه في المنام فيذهب إلى كنز مدفون ؟ أليس أن جاليزوس قال كنت مريضاً فصجرت عن علاج نفسي فزيت في المنام واحداً أرشدني إلى كيفية العلاج ؟ أليس أن النزال قال إن الأرواح الشريفة إذا طرقت أذانها ، ثم اتفق إنسان مشابه للإنسان الأول في الروح والبدن ، فإنه لا يبد أن يحصل للنفس المدبرة تعلق بهذا البدن حتى يصير كالمملوكة لنفس المملوكة بذلك البدن على أعمال الخير ففسي تلك المماثلة لهاماً ؟ ونظيره في جانب النفوس الشريرة وسوسة ، وهذه المعاني وإن لم تكن منقولة عن المفسرين إلا أن اللفظ عمل لها جداً .

(الوجه الرابع) في تفسير هذه الكلمات الخمس أنها صفات غيب النزاعات فهي نزاعات لأنها تنزع في أعضائها نزاعاً تفرق فيه الأعنة أطول أعضائها لأنها عراب وهي (ناشطات) لأنها تخرج من دار السلام إلى دار الحرب . من قولهم تور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد . وهي ساجعات لأنها تسبح في جرجها وهي ساجقات ، لأنها تسبق إلى العاية ، وهي مدرجات لأسر الغلبة والظفر ، وإستاده لتدوير إليها مماز لأنها من أسباجه .

(الوجه الخامس) وهو اختيار أبي مسلم رحمه الله أن هذه صفات النزاعات أي النزاعات يقال للرامي زرع في قوره ، ويقال أفرق في الزرع إذا استوفى مد القوس . والناشطات أيها وهي خروجها عن أبدى الرماة وخودها ، وكل شيء سلطه قد نشطه . ومنه نشاط الرجل وهو انبساطه وخفته ، والناشطات في هذا الموضع الخيل وسببها العدو ، ويجوز أن يبنى به الإبل أيضاً ، والمدرجات مثل المدرجات . والمراد أنه يأتي في أدبار هذا الفعل الذي هو زرع السموم وسحب الخيل وسببها الأمر الذي هو النصر . وافظ فتأيت إذا كان لأن هؤلاء جماعات ، كما قيل المدرجات . ويحتمل أن يكون المراد الآلة من القوس والآلة هي ، على معنى المنزوع فيها والمنشوط بها .

(الوجه السادس) أنه يمكن تفسير هذه الكلمات بالمراتب الواقعة في رجوع القلب من غير الله تعالى إلى الله (فالنازعات فرقاً) هي الأرواح التي تنزع إلى اعتلاق العروة الوثقى ، أو المنزوعة عن محبة غير الله تعالى (والناشطات نشطاً) هي أنها بعد الرجوع عن الجمانيات تأخذ في المجاهدة ، وتخلق بأحلاقه سبحانه وتعالى بنشاط تام . وقوة قوية (والساجعات سبجاً) ثم إنها بعد المجاهدة تخرج في أمر المذكرات فنقطع في ذلك الجدار فتسبح فيها (فالساجعات سيقاً) إشارة إلى تفاوت الأرواح في درجات سيرها إلى الله تعالى (المدرجات أمراً) إشارة إلى أن آخر مراتب

البشرة منتصبة بأول درجات الملكية ، فلما انتهت الأرواح البشرية إلى أقصى غاياتها وهي مرتبة السبق انصقلت بفيلم اللاتسكة وهو المراد من قوله (فانسجنت منقرا) فالاربعة الأول هي المراد من قوله (يكاد زيتها يضيء) ، و (الحامسة) هي النار في قوله (ولو لم يمسسه زار) .

واعلم أن الوجه المثبوت عن المفسرين غير منقول عن رسول الله ﷺ نصاً ، حتى لا يمكن الزيادة عليها ، بل إنما ذكروها لتكون اللفظ محتملاً لها ، فإذا كان احتمال اللفظ لما ذكرناه ليس دون احتماله لشيء آخر الذي ذكروها لم يكن هذا كروياً ، بل هو كما ذكرناه ، إلا أنه لابد منها من دقة ، وهو أن اللفظ محتمل للكل ، فإن وجدنا بين هذه المعاني مفهوم واحد مشتركاً حلالاً للفظ على ذلك المشترك ، وحيثما يندرج تحته جميع هذه الوجودات ، أما إذا لم يمكن بين هذه المفاهيم غير مشترك فلفظ من اللفظ على الكل ، لأن اللفظ المشترك لا يحوز استقامته لإفادة مفهومه معاً ، بحيث لا نقول مراد الله تعالى هذا ، بل نقول محتمل أن يكون هذا هو المراد ، أما الجرم فلا دليل عليه هنا .

(الاحتمال الثاني) وهو أن تكون الألفاظ الخمسة صفات لشيء واحد ، أو لأشياء مختلفة ، فيه أيضاً وجه (الأول) الساعات عرقاً ، هي : النفس ، والاشغالات نشاطاً هي الإدراك ، والساعات المنقرا ، والاشغالات الخبيث . والمراد باللاتسكة : زناه واصل بين السائق : عن عطش (الثاني) نقل عن مجاهد : في الداعات ، والاشغالات ، والساعات أمسا الموت ، وفي الساعات ، والمراد بها اللاتسكة ، وإضافة الزرع ، والاشغالات ، والاشغالات إلى الموت مجازاً يمدى أنها حصلت عند حصوله (الثالث) قال قتادة : الجميع هي أجرام إلا الداعات ، فإنها هي اللاتسكة .

(المسئلة الثانية) ذكر جلالته بآلاء ، والتي فيها شواهد ، وفي علته وجهان (الأول) قال صاحب الكشاف : إن هذه مكية عن التي قبلها ، كأنه قيل : واللاق سبحانه ، فسبحن كما تقول قام فذهب أوجب العباد أن القيام كان سبباً للذهاب ولو قال : قام وذهب لم تحصل أقيام سبباً للذهاب ، قال الرازي : قول صاحب العظم غير مطرد في قوله (فانسجنت منقرا) لأنه بعد أن يعمل السبق سبباً للتدبير ، وأقول يمكن الجواب عن اعتراض الواحدى رحمه الله من وجهين : (الأول) لا يبعد أن يقال : إنها لما أمرت سببت فعبثت ففوت أمرت بتدبيرها وإصلاحها ، فتكون هذه أفعالا يتصل بهما بعض ، كقولك قام زيد ، فذهب ، فذهب عمر ، (الثاني) لا يبعد أن يقال : إنهم لما كانوا سائقين في أداء الطاعات متسارعين إليها ظهرت أمانتهم ، فهذا السبب فوض الله إليهم تدبير بعض العالم (الوجه الثاني) أن اللاتسكة قسيان ، الرزسا ، واللاتسكة ، والدليل عليه أنه سبحانه وأمره قال : (قل يتوكل الموت) ثم قال : (حتى إذا جاء أحدكم الموت تراه رسلاً) مثلاً في التوفيق بين الآيتين : أن ذلك الموت هو الرأس ، والرئيس وسائر اللاتسكة هي التلافة ، إذا عرفنا هذا فنقول : الداعات ، والاشغالات

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ① تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ② قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ③ أَبْصَارُهَا

خَائِفَةٌ ④

والباحات ، محمولة على الثلاثة الذين هم يباشرون العمل بأنفسهم ، ثم قوله تعالى (فالساجدات ..
فالمدبرات) إشارة إلى الرؤساء الذين هم السائقون ، في الدرجة والشرف ، وهم المدبرون لتلك
الأحوال والأعمال .

قوله تعالى : يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها
خائفة في حائل :

في المسألة الأولى : جواب القسم المتقدم مخوف أو مخدع كونه وجهي (الأول) أنه
مخوف ، ثم على هذا الوجه في الآية احتمالات :

(الأول) حال القراءة والتقدير : لتبين ، والدليل عليه ما حكى الله تعالى عنهم ، أنهم قالوا :
(أننا كنا عظاما نخرة) أي أثبت إذا صرنا عظاما نخرة (الثاني) قال الاخفش والزجاج :
لتضيق في الصور فختين يدل على هذا المخوف ذكر الراجفة والرادفة وهما التفتختان (الثالث)
قال الكسائي الجواب المفسر هو أن القيامة واقعة وذلك لأنه سبحانه وتعالى قال (والذاريات
فروا) ثم قال (إنما تعدون لحادث) وقال قتاد (والمرسلات عرفا .) إنما تعدون لواقع
فكذلك هنا فإن القرآن كالسورة الواحدة (القول الثاني) أن الجواب مذ كور وعلى هذا القول
احتمالات (الأول) القسم عليه هو قوله (قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خائفة) والتقدير
والنازعات عرفاً أن يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وأبصارها خائفة (الثاني) جواب
القسم هو قوله (هل أنالك حديث موسى) فإن هل هنا بمعنى قد ، كما في قوله (هل أنالك حديث
النشأة) أي قد أنالك حديث النشأة (الثالث) جواب القسم هو قوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) .

في المسألة الثانية : ذكروا في نصب يوم بوجهين (أحدهما) أنه منصوب بالجواب المفسر
والتقدير لتبين يوم ترجف الراجفة ، فإن قيل كيف يصح هذا مع أنهم لا يبتغون عند النفخة الأول
والراجفة هي النفخة الأولى ؟ قلنا المعنى لتبين في الوقت الواح الذي يحصل فيه التفتختان ، ولا
شك أنهم يبتغون في بعض تلك الوقت الرابع وهو وقت النفخة الأخيرة ، ويدل على ما قلناه
أن قوله (تتبعها الرادفة) جعل حالا عن الراجفة (والثاني) أن نصب يوم ترجف بما دل عليه
(قلوب يومئذ واجفة) أي يوم ترجف ورجفت القلوب .

في المسألة الثالثة : الراجفة في اللغة تحتل وجهين (أحدهما) الحركة فتقوله (يوم ترجف

(الأرض والجبال) . (ثاني) الحدة المتكررة والصوت الحائل من قولهم رجف الرجف رجفاً رجفاً ورجباً ، وذلك تردد أصواته المتكررة وبعده في السحاب ، ومنه قوله تعالى (فأخذهم الرجفة) فلي هذا الرجفة صيغة عظيمة فيها هول وشدة كالرجف ، وأما الرادفة فكل شيء جاء بعده شيء آخر يقال : دعه ، ألى حال بعده ، وأما القلوب الواقعة في المعنوية الخائفة ، يقال وجف قلبه يخف وخافاً إذا اضطرب ، ومنه إزعاج الدابة ، وحملها على السير الشديد ، والمفرد من عبارات كثيرة في تفسير الواقعة ومنها واحد ، قالوا خائفة وحلة زائدة عن أنها كانت مفعولة مرتكفة شديدة الاضطراب غير ساكنة ، أبصار أمهاتها خائفة ، وهو كقوله (عاشقين من الذين ينظرون من طرف خفي) إذا عرفنا هذا فنقول ، اتفق جمهور المفسرين على أن هذه الأمور أحوال يوم القيامة ، وزعم أبو مسلم الأصماني أنه ليس كذلك ونحن نذكر تفاسير المفسرين ، ثم نشرح قول أبي مسلم .

(أما القول الأول) وهو المشهور بين الجمهور ، أن هذه الأحوال أحوال يوم القيامة هؤلاء ذكروا وجوهاً (أحدها) أن الواقعة هي النفخة الأولى ، وسبقت به إما لأن الدنيا تنزلزل وتضطرب عنددها ، وإما لأن صوت تلك النفخة هي الواقعة ، كما يثبت القول فيه ، والواقعة رجفة أخرى تنبع الأولى فاضطرب الأرض لإحدى المراتب كما اضطربت في الأولى لموت الأحياء على ما ذكر ، نسأل في سورة الزمر ، ثم يروي عن الرسول ﷺ أنه بين النفختين أربعين عاماً ، ويروي في هذه الأربعين يطمر الله الأرض ويصير ذلك الماد عليها كالطيف ، وأن ذلك كالذب الأحياء ، وهذا إما لا حاجة إليه في الإعادة ، والله أن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد (وثانيها) الواقعة هي النفخة الأولى والرادفة هي قيام الساعة من قوله (عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) أي القيامة التي يستعجلها الكفار استبعاداً لها من رادفة لهم لا قرايها (وثالثها) الواقعة الأرض والجبال من قوله (يوم ترجف الأرض والجبال) والرادفة السماء ، وتكونا كب لأنها تنشق وتنتثر كما كتبها على أمر ذلك (ورابعها) الواقعة هي الأرض تتحرك وتزلزل والرادفة زلزلة ثانية تنبع الأولى حتى تنقطع الأرض وتنفى (القول الثاني) وهو قول أبي مسلم أن هذه الأحوال ليست أحوال يوم القيامة ، وذلك لأنها يقالا عنه أنه فسر النارعات بفرغ القوس والانشطات بخروج النهم ، والامحات بحدود الفرس ، والسباغات بسبقها ، والمدرات بالأمور التي تحصل أدمار ذلك الرمي والحدو ، ثم نرى على ذلك فقال الواقعة هي غيل المشركين ، وكذلك الرادفة وبراد بذلك ماخذان من المشركين غرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبغت إحداهما الأخرى ، والقلوب الواقعة هي النفقة ، والأبصار الخائفة هي أبصار المناهقين كقوله (الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر الكرماني عليه من الموت) كأنه قيل لما ساء غيل العدو رجف ، وورثها أنها اضطرب قلوب المناهقين خوفاً ، وغضمت أبصارهم جأ وضغفاً ، ثم قلوا

يَقُولُونَ أَوْنَا لَعَرْدُودُونَ فِي الْحَاظِرَةِ ﴿١١﴾ أَوْدَا كُنَّا عِظَمًا نَحْرَةً ﴿١٢﴾

(أننا مردودون في الحاضرة) أي ترجع إلى الدنيا حتى تتحمل هذا الخوف لأجل ما قالوا أيضاً (تلك إداة خاسرة) فأول هذا الكلام حكاية لحال من غرار رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وأوسطه حكاية لحال المنافقين وآخره حكاية لكلام المنافقين في إنكار الحشر ، ثم إنه سبحانه ونمائي أجاب عن كلامهم بقوله (إنا ما هي زحرة واحدة ، فإذا هم بالناخرة) وهذا كلام أي مسلم واللفظ محتمل له وإن كان على خلاف قول الجمهور .

قوله تعالى : ﴿فلوب يومئذ واجفة أبصارها غاشمة﴾ اعلم أنه تعالى لم يقل القلوب يومئذ واجفة ، بل ثبت بالدليل أن أهل الإيمان لا يخافون بل المراد منه قلوب الكفار ، وما يؤكد ذلك أنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون (أننا مردودون في الحاضرة) وهذا كلام الكفار لا كلام المؤمنين ، وقوله (أبصارها غاشمة) لأن المدحوم من حال المضطرب الخائف أن يكون نظره فظرفاً شمع دليل خاطئ يترقب ما يزيله به من الأمر العظيم ، وفي الآية مؤالان :

(الذي في الأول) كيف جاز الابتداء بالتمكة ؟ (الجواب) غرابة مرفوعة بالابتداء ، واجفة صفتها وأبصارها غاشمة غير هاقية كقوله (لعبه مؤمن غير من مشرك) .

(الذي في الثاني) كيف صحت إضافة الأبيصار إلى القلوب ؟ (الجواب) . مداه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون ، ثم اعلم أنه تعالى حكى ههنا عن منكري البعث أقوالاً ثلاثة :

(أولها) قوله تعالى : ﴿يقولون أننا مردودون في الحاضرة﴾ فقال رجع فلان في حاضره أي في طريقه التي جاء فيها فحضرها أي أثر فيها يشبه فيها جعل أثر قدسه حفرأثري في الحقيقة محفورة إلا أنها ميتة حارة . كما قيل (في عيشة راضية) و (ماء دافق) أي مضمونة إلى الحفرة والرضا والقدسي أو كفرهم بهارك صميم . ثم قيل لمن كان في أمر يخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حاضره ، أي إلى طريقته وفر الحديث ، إن هذا الأمر لا يترك على حال حتى يرد على حاضره ، أي على أول تأسيه وحالته الأولى وقرأ أبو حيوة في الحفرة . والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه ، وحفرت حفراً ، وعن حفرة . هذه القراءة دليل على أن الحاضرة في أصل الكلمة بمعنى المحفور ، فإذا عرفت هذا ظهر أن معنى الآية تأخر إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا .

(وثانيها) قوله تعالى : ﴿إننا كنا عظاماً نحرة﴾ وفيه مسائل :

﴿المسألة الأولى﴾ قرأ حمزة وعاصم ناعرة بألف . وقرأ الباقون نحرة بغير ألف ، وانخاضت الرواية عن التسكين فقبل له كان لا يقال كيف قرأها . وقبل أنه كان يقرؤها بغير ألف . ثم رجع إلى الألف ، واعلم أن أبا عبيدة اختار نحرة ، وقال نظرنا في الأثر التي فيها ذكر العظام التي قد نخرت ، فوجدناها كلها بالعظام النخرة ، ولم نسمع في شيء منها الناعرة ، وأما من سواه ، فقد انخرأ

على أن النافرة لغة صحيحة . ثم اختلف هؤلاء على قولين (الأول) أن النافرة هي النخرة بمعنى واحد قال الأنغش هما جبراً لثنت أهما قرأت حسن . وقال القراء النافرة والنخر سراج في المعنى بمنزلة الطامع والطمع ، والباعل والبخل . وفي كتاب الحنبل نخرت الخبث إذا بليت فاستخرجت حتى تمذت إذا مبت ، وكذلك النظم النافر . ثم هؤلاء الذين قالوا هما العنان والمعنى واحد اختلفوا فقال الزجاج والقراء النافرة أشبه الوجهين بالإية لأنها نفيه أو آخر سائر الآي نحو المجاهرة والساهرة . وقال آخرون ، النافرة والنخر كالطامع والمطمع ، واللايت والليت . وأبلغ من فاعل (القول الثاني) أن النخرة غير والنافرة غير ، أما النخرة فهو من نخر النظم بنخر فهو نخر مثل حفن بعض فهو حفن ، وذلك إذا بلى وصار بحيث لو نشت لغنت ، وأما النافرة فهي العظام المخرجة التي يحصل من هرب النجس فيها صوت كالبحر . وعلى هذا النافرة من النخر بمعنى الصوت كخبر النائم والمخزوق لأن نخر الذي هو البلى .

﴿ المسألة الأولى ﴾ إذا منصوب محذوف خبر إذا كنا عظاماً نرد ونبعث .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اعلم أن حاصل هذه الشبهة أن الذي يشير إليه كل أحد إلى نفسه بقوله أنا هو هذا الجسم الملقى بهذه النية المحصورة ، وإذا مات الإنسان فقد بطل مزاجه ونفسه تركبه فتنتع إعادة لوجوه (أحدها) أنه لا يكون الإنسان القائم هو الإنسان الأول إلا إذا دخل التركيب الأول في الوجود مرة أخرى . وذلك قول بإعادة عين ما عدم أولاً ، وهذا محال لأن الذي عدم لم يبق له عين ولا ذات ولا خصصة . فإذا دخل شيء آخر في الوجود استحال أبقال بأن القائم هو عين ما قى أولاً (وثانيها) أن تلك الأجزاء تنصير زراً وتنفق وتختلط بأجزاء كل الأرض وكل المياه وكل الهواء فتصير تلك الأجزاء بأعيانها عن كل هذه الأشياء محال (وثالثها) أن الأجزاء تتوابع باردة باردة فتنفد قوله الإنسان الذي لابد وأن يكون حاراً أرضياً في مزاجه عنها محال ، هذا تمام تحرير كلام هؤلاء الذين استوجوا على إنكار العدد بقرهم (أننا كنا عظاماً نخره) (والجواب) عن هذه الشبهة من وجوه (أولها) وهو الأقوى : لا بد أن انتشار إليه لكل أحد بقوله أنا هو هذا الجبكل . ثم إن الذي يدل على فساده وجوهان (الأول) أن أجزاء هذا الجبكل في الزوابع والتبدل ، والذي يشير إليه كل أحد إلى نفسه بقوله أنا ليس في التبدل والتبدل بخلاف لنا هو غير متبدل (والثاني) أن الإنسان قد يعرف أنه هو حال كونه غائلاً عن أعضائه المظاهرة والباطنة ، والمشعور به مغاير لما هو غير مشعور به وإلا لا يمنع الشيء والنيات على الشيء الواحد وهو محال ، ثبت أن انتشاره لكل أحد بقوله أنا ليس هو هذا الجبكل ، ثم ههنا ثلاث استدلالات (أحدها) أن يكون ذلك الشيء موجوداً قائماً بنفسه ليس يحسم ولا يدمى على ما هو مذهب طائفة من الفلاسفة ومن المسلمين (وثانيها) أن يكون جسمه عاكفاً بالمادة لهذه الأجسام الغائبة للتحلل والفساد سارية فيها سريان النار في القمع وسريان الذهب في المصمم وسريان ماء الورد

قَالُوا تِلْكَ إِذْ كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١١﴾ فَلَمَّا هَمَّ زُجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا هَمَّ بِالسَّاهِرَةِ

﴿١٣﴾

في جرم الرد فإذا أسد هذا الهيكل فخلصت تلك الأجزاء وبقيت حبة مدركة طاقلة ، إما في الشقارة أو في العمادة (وة لها) أن يقال إنه جسم مسلو هذه الأجسام في المادية إلا أن الله تعالى خصها بالبقاء والاستمرار من أول حال تكون شخص في الوجود إلى آخر عمره ، وأما سائر الأجزاء المتبدلة تارة بالزيادة وأخرى بالقصان فهي غير داخلة في المشار إليه بقوله أنا ضد الموت تنفصل تلك الأجزاء ، وتبقى حبة ، إما في العمادة أو في الشقارة ، وإذا ظهرت هذه الاحتمالات ثبت أنه لا يلزم من فساد البدن وتغير أجزائه فساد ماهو الإنسان حقيقته ، وهذا مقام حسن متين تقطع به جميع شبهات منكري البعث ، وعلى هذا التقدير لا يكون لصبرورة العظام نخرة بالية متفرقة تأثير في دفع الحشر والنشر البتة ، سلباً على سبيل المسامحة أن الإنسان هو مجموع هذا الهيكل ، فلم يلزم إن الإعادة عنفة ، قوله [أولا] للمسلم لا يباد : قلنا ليس أن حال عدمه لم ينتج عندهم صحة الحكم عليه بأنه ينتج عوده ، ولم لا يجوز أن لا ينتج على قولنا أيضاً صحة الحكم عليه بالعود ، قول (ثانياً) الأجزاء القليلة مختلطة بأجزاء الناصر الأخرى ، قلنا لكن ثبت أن خالق العالم عالم بصحيح الجزئيات ، وقادر على كل الممكنات فيصير منه جميعاً بأجزائها ، وإعادة الحياة إليها ، قوله (ثالثاً) الأجسام الفسفة البائسة لا تقبل الحياة ، فلما نرى السمكة ، يعيش في النار ، والنعامة تبطل الحفيدة الممياء ، والحبات الكبار العظام متولدة في التلوج ، فبطل الاعتقاد على الاستقراء ، والله الهادي إلى صديق والصراف .

(النوع الثالث) من الكلمات التي حكها الله تعالى من منكري البعث (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) والمعنى كرة مضمومة إلى الخسران ، كقولك تارة وأجرة ، أو خاسر أصحابها ، والمعنى أنها إن هضمت ضمن إذا خاسرون للتكفينية ، وهذا منهم اشتراء .

واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات قال (فلما هَمَّ زُجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فإذا هم بالساهرة) وفيه مسائل :

في المسألة الأولى في الفاء في قوله (فإذا هم) متعلق بحذف منناه لا تصعبها وإغما هي زجرة واحدة ، يعني لا تحسروا تلك الكرة صعبة على الله فإنها مبهمة حجة في قدرته .

في المسألة الثانية في بيان زجر البعير إذا صاح عليه ، والمراد من هذه الصيغة اللفظة الثانية وهي صيحة إسرائيل ، قال المفسرون : يحجمهم الله في بطون الأرض فيسدها عنها فيقومون ، وتظير هذه الآية قوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ، فما من لواء) .

في المسألة الثالثة في الساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لوجهين (الأول) أن

هَلْ أَتَيْتَكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿١٦﴾ إِذْ نَادَتْ رَبَّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٧﴾

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾

ما لكم لا تبالون خوفاً منها : (ثاني) أن السراب يجري فيها من قوهم عين ساهرة جارية الماء ، وعندى فيه وجه (ثالث) : وهى أن الأرض (عسا نسمى ساهرة لأن من شدة الخوف فيها يطير النعم عن الإنسان) . تلك الأرض التى يجمع الكفار فيها ق موقف القباغة يكفون فيها في أشد الخوف ، فسميت تلك الأرض ساهرة لهذا السبب ، ثم اختلفوا من وجه آخر فقال بعضهم هى أرض الدنيا ، وقال آخرون هى أرض الآخرة لأنهم عند الزجرة والصبغة ينقلون أفواجاً إلى أرض الآخرة ونزل هذا الوجه أقرب .

قوله تعالى : ﴿ هل أتيتك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى . اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ فيه مسائل .

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن وجه المناسبة بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين : (الأول) أنه تعالى سكى عن التكفل إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء في قوهم (ثاني) إذاكرة خاسرة) وكان ذلك بشئ على محمد صلى الله عليه وسلم إذ ذكر قصة موسى عليه السلام ، ونحن أنه نحمل النصفة الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كاتبة لرسول الله ﷺ (الثاني) أن فرعون كان أقوى من كفار قريش وأكثر جماعاً وأشد شوكة ، فلما نزل على موسى أخذه الله نكال الآخرة والأولى . فكذلك هؤلاء المشركون في قردم عليك إن أصرروا أخذهم الله وجعلهم نكالا .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (هل أتيتك) بمحمل أن يكون معناه ليس قم (أنتك حديث موسى) هنا أن كان قد أتاه ذلك قبل هذا الكلام ، أما إن لم يكن قد أتاه فقد يجوز أن يقال (هل أتيتك) كذا . أم أنا أخبرك به فإن فيه عبرة لمن يغلثى .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الراوى المقدس المبارك المظهر . وفى قوله (طوى) وجوه : (أحدها) أنه اسم وادى بالشام وهو عند الطور الذى أنعم الله به فى قوله (والطور وكتاب مبدور) وقوله (وبارئنا من جانب الطور الأيمن) (والثاني) أنه بمعنى يارجل بالهجرانية ، فكأنه قال يارجل (اذهب إلى فرعون) . وهو قول ابن عباس (والثالث) أن يكون قوله (طوى) أى ناداه (طوى) من الالة (اذهب إلى فرعون) لأنك تقول جئتكم بد (طوى) أى بعد ساعة من الليل (والرابع) أن يكون المعنى بالوادي المقدس الذى طوى أى يورك فيه مرتين .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (طوى) بعين الطاء غير ممنون . وقرأ

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْصُدَ ﴿٥٦﴾

الباغون بضم الباء مثوئاً ، ورعى أى عمرو . طوى بكسر الطاء ، وطوى مثلاً أى : وحمل
أصحابه لشيء أسمى ، والعلل بمعنى شئ ، أى ثبت في البركة والتفديس ، طوى أمراً (طوى) واد
بين المدينة ومصر ، فمن صرعه قال هو ذا كرسينا به ذكرأ ، ومن لم يصرفه : له مدلولاً عنهم
كصرو زفر ، ثم قال : والصرف أحب إلى إذ لم أجد في المصدول نظيراً . أى لم أجد أصابيح
الواو والياء عدل عن عادة إلى فعل غير (طوى) .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ تقدير الآية : إذ ناداه به وقال اذهب إلى فرعون . وفي قوله اذهب الله
أن اذهب ، لأن في النداء معنى القول . وأما أن ذلك النداء كان خيالياً فكلام القديم ، أو إسماع
المحرف والصوت . وإن كان على هذا الوجه فكيف عرف موسى أنه كلام الله . فمحل ذلك أنه
تقدم في الحورقة (طه)

﴿ المسألة السادسة ﴾ أن سائر الآيات تدل على أنه تعالى في أول ما نادى موسى عليه السلام
ذكر له أشياء كثيرة . كقوله في سورة طه (نادى يا موسى إلى أبارك) إلى قوله (فترى بك من
آياتنا الكثير) اذهب إلى فرعون إنه طوى (فدل ذلك على أن قوله هت (اذهب إلى فرعون) أنه
طوى) من جملة ما ناداه به . لا أنه كل ما ناداه به . وأيضاً ليس المرعى أنه عليه السلام كان
مبعوثاً إلى فرعون فقط ، بل إنه كل من كان في ذلك العلم . إلا أنه صرح بالذكر . لأن دعوته
جارية بحرى دعوة كل ذلك الغوم .

﴿ المسألة السابعة ﴾ الظاهر مجازة الحد . ثم إنه تعالى لم يبين أنه نادى في أى شيء ، فلهذا
قال بعض المفسرين : معناه أنه شكى على الله وكفر به . وقال آخرون : إنه ضعى على بني إسرائيل .
والأول عندى المجمع بين الأمرين . فالتدنى أنه ضعى على الخلق بأن كفر به . وطمع على الخلق بأن
شكركم عليهم واستبد بهم . وكذا أن كان المودية ليس إلا مدنى المفضل مع الخلق ومع الخلق .
فكذلك كان الظاهر ليس إلا الجمع بين سوء المعاملة مع الخلق ومع الخلق .

واعلم أنه تعالى لما أتى إلى فرعون فصره كلامين لإحاطة بهما :

(الأول) قوله تعالى ﴿ هل لك أن ترعى ﴾ وقبه سائر :

﴿ المسألة الأولى ﴾ يقال هل لك في كذا . وهل لك إلى كذا . كما تقول : هل ترغب فيه .
وهل ترغب إليه . قال الواحدي : المبتدأ مخوف في اللفظ مراد في الشئ . والتقدير : هل لك إلى
ترعى حاجة أو إذبه . قال الشاعر :

فهل ليكم فيها إلى طاعة بصيرنا أعباء الظلم حتى بنا

ويجتمل أن يكون التقدير : هل لك سبيل إلى أن ترعى .

وَأَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٥﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ : اذكر الطاهر من غير كل شيء ، قال : (أنشئت نفسك ذكياً) وقال : قد أصبح من ذكاهم وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه إليه ، لأن المراد هل لك إلى أن تفعل ما نصير ه ذاكياً عن كل مالا ينبغي . وذلك يجمع كل ما يتصل بالترحم والشرائع .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ : فيه فرائض : التشديد على إتمام تارة الفعل في الزمان لتقريبهما والتخفيف .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ : المعقولة تسكوا به في إظهار كون الله تعالى خالقاً فعمل العبد بهذه الآية ، فإن هذا استغنى عن سائر التقرير ، أي لك دليل إلى أن ترى ، ولو كان ذلك بفعل الله تعالى لأغلب الكلام على موسى ، والجواب عن أمثاله تقدم .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ : أنه لما قال : فاعملوا (فقولوا لبياً) فكانت تعلى رتب لهما ذلك الكلام المين الرقي . وهذا يدل على أنه لا بد في الدعوة إلى الله من اللين والرفق وترك العظامة ، ولهذا قال محمد ﷺ (وكونت ظلاً غليظاً فقلب لانهضوا من حولك) ويدل على أن الذين يخاشون الناس ويهابون في النصب ، كأنهم على حد ما أمر الله به أميائه ورسله .

قوله تعالى : ﴿ وأهديك إلى صراط مستقيم ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ : الثابتون بأن معرفة الله لا تستغنى إلا من الهدى تسكوا بهذه الآية ، وقالوا إنما صريحة في أنه يهدي إلى معرفة الله ، ثم قالوا : وبما يدل على أن هذا هو المقصود الأعظم من هذه الرسل ، أمران (الأول) أي قوله (هل لك إلى أن ترى) يتناول جميع الأمور التي لا بد للبعوث إليه منها ، فدخل فيه هذه الهداية فبدأ بأمره بعد ذلك علم أنه هو المقصود الأعظم من البعث (والثاني) أن موسى ختم كلامه عليه ، وذلك يبين أيضاً على أنه أشرف المقاصد من البعث (والجواب) أن لا يمنع أن يكون للهدى والإشارة معرفة في تكشف عن الحق إنما النزاع في أنكم تقولون بتسجيل حصوله (إلا من العلم وعن لا تفعل ذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : ذلك الآية على أن معرفة الله مقدمة على طاعته ، لأنه ذكر الهداية وجعل الحشية مؤخره عنها ومفرعة عنها ، ونظيره قوله تعالى في أول النحل (أن أهدواك الله لا إله إلا أنا فنقول) وفي طه (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ : ذلك الآية على أن الحشية لا تكون إلا بالمعرفة ، قال تعالى (إنا نبغى الله من عباده الهدى) أي الهدى به ، ودلت الآية على أن الحشية ملاك الخيرات ، لأن من غشى الله أي منه كل خير ، ومن آمن اجترأ على كل شر ، ومنه قوله عليه السلام : من غشى أدباً ، ومن أدباً بلغ الخلق .

فَإِیَّةُ الْآیَةِ الْكُبْرَى ﴿٥٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ﴿ فإية الـآية الكبرى ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ تعني (وأرسله) يعطى على محذوف معلوم ، يعني فذهب قراءه ، كقوله (ففعلنا أصرب بعدك المحرقة فنجبرت) أي مضرب فاعجرت .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختصراً في الـآية الكبرى على ثلاثة أقوال (الأول) قال مقاتل والكلبي : هي اليد . لقوله في هذه (وأرسل يدك في جبلك) تخرج يضاف من غير جوابه أية أخرى ، ليريد من أيأتان الكبرى (يقول الثاني) قال عطاء : هي العصا ، لأنه ليس في اليد إلا انقلاب لونه إلى لون آخر ، وهذا الذي كان حاصله في العصا . لأنها لما أقيمت حية فلا بد وأن يكون قد تغير لونها الأول . وإذا أكل ما في اليد فهو حاصل في العصا . ثم حصل في العصا أمور أخرى أزيد من ذلك ، مما حصل الحقة في الخمر الجوزي ، ورمها زائد أجزائه وأقسامه ، ومنها حصول القدرة الكبرى والقدرة الشديدة ، ومنها أنها كانت ابتليت ، أشياء كثيرة وكأنها اجت ، ومنها زوال الحياة والقدرة عنها ، وهذا تلك الأجزاء التي حصل عظمتها . وزوال ذلك القوت والتكامل الذي بها صارت العصا حية ، وكل واحد من هذه الأمور كان معجزاً مستغلاً في نفسه ، ولما إن الـآية الكبرى هي العصا (وتقول الثالثة) في هذه المسئلة قول بولس ، وهو أن المعجز من الـآية الكبرى مجموع اليد والعصا . وذلك لأن مسائر الآيات ذلك ، على أن أول ما أنفهر وهو عليه السلام لمعجزان هو العصا ، ثم أتت اليد . فوجب أن يكون المراد من الـآية الكبرى مجموعهما .

(أحدهما) قوله تعالى ﴿ فكذب وعصى ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ معني قوله (فكذب) أنه كذب بـدلالة ذلك المعجز على صدقه . وأعطى أن الفتح في دلالة المعجز على التصديق إنما لا اعتقاده أنه يمكن معارضة ، أو لأنه وإن استمت معارضة لكنه ليس بـدلالة بل لعبره . إما فعل جازي أو فعل مطلق ، أو إن كان فلا لله تعالى تكفه ما قبله لمعجز التصديق ، أو إن كان صدقه لمعجز التصديق لكنه لا يلزم صدق المعجز : بل لا يفتيح من الله شيء . فمعه يخالع الظن في دلالة المعجز على التصديق . وإحدى الـآية يدل على أن معجزاً إنما منع من دلالة عن الصدق لا اعتقاده أنه يمكن معارضة بدليل قوله (فأنذر قناني) وهو كقوله (فأرسل فرعون في قنانه حاشرين) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في الـآية زوال وهو أن كل أحد يعلم أن كل من كذب الله فقد عصى . فما القائمة في قوله فكذب وعصى ؟ (والجواب) كذب بالقلب واللسان ، وعصى بأن أظهر الفجور والتعصير .

ثُمَّ ادْبَرَ يَسَّى ﴿٤٦﴾ فَخَشَرَ فَنَادَى ﴿٤٧﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٤٨﴾
فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَوْدَةِ وَالْأُورَى ﴿٤٩﴾

﴿ المسألة الثالثة ﴾ هذا الذى وحى به من التكذيب والمصية منابر لما كان حاصله قبل ذلك ، لأن تكذيب موسى عليه السلام وقد دعاه وأظهر عليه المعجزة . يوفى على ما تقدم من التكذيب ومصيته بترك القبول منه ، والحال هذه مخالفة لمصيته من قبل ذلك .

(وثانيها) قوله ﴿ ثم ادبر يسى ﴾ وفيه وجوه (أحدها) أنه لما رأى الثبان ادبر مرعوباً يسى يسرع في مشيه ، قال الحسن كان رجلاً طليئلاً خفيفاً (وثانيها) تولى عن موسى يسى وبجته في مكابذته (وثالثها) أن يكون المعنى ، ثم أقبل يسى ، كما يقال ، فلان أقبل بضل كذا ، بمعنى أنفأ يضل ، أو ضاع أدبر فوضع أقبل فلا يوصف بالإقبال ،

(وثالثها) قوله ﴿ فخشر فنادى ﴾ يقال تاربكم الأعلى ﴿ فخشر جمع المجرى كقوله ﴾ فأرسل فرعون في الغدائر حاشرين ﴿ نادى في المقام الذى اجتمعوا فيه معه ، أو أمر متلوياً نادى في الناس بذلك ، وقيل قام فيهم خطيباً فقال تلك الكلمة ، وعن ابن عباس كلمته الأولى (ما علمت لكم من إله غيري) والآخرة (أنا ربكم الأعلى) .

واعلم أنا بيانا في سورة (طه) أنه لا يجوز أن يعتقد الإنسان في نفسه كونه خافضاً للسموات والأرض والجلال والجلال والجلال والإنسان ، فإن العلم فساد ذلك ضرورى ، فمن تشكك فيه كان مجنوناً ، ولو كان مجنوناً لما جاز من الله بعينه الأتية والرجل إليه ، بل الرجل كان هرباً منكراً فصانع والخير والنشر ، وكان يقول انس واحد عليكم أمر ولا تنهى إلا لى ، وأما ربكم عنى مريبكم والمحضر لئيبكم ، وأمس للعالم له منى يكون نه عليكم أمر ونهى ، أو بعث إليكم رسولا ، قال القاضي وأما يكون الأتية بعد ظهور غيوبه عند انقلاب الدهر حية ، أن لا يقول هذا القول ، لأن عند ظهور الفلك والمعجز ، كيف يليق أن يقول (أنا ربكم الأعلى) فقلت هذه الآية على أنه في ذلك الوقت صار كالمعصوم الذى لا يدري ما يقول ،

واعلم أنه تعالى لما حكى عنه أقواله وأقواله أتية بما عادله به وهو قوله تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وفيه مسائلان .

﴿ المسألة الأولى ﴾ ذكروا في نصب نكال وجهين (الأول) قال الزجاج إنه مصدر مؤنك لأن معنى أخذه الله ، نكل به الله به ، نكال الآخرة والأولى . لأن أخذه ونكله متعارفان ، وهو كما يقال أخذه نكاً شديداً لأن أخذه وأتركه سوا ، ونظيره قوله (إن أخذه أليم شديد) . (الثاني) قال الفراء يريد أخذه أخذاً نكالا للآخرة والأولى ، والنكال بمعنى التشكيل كالسلام بمعنى التسليم

إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَعْتَنِي ﴿٦٦﴾ ؕ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ

﴿ المسئلة الثانية ﴾ ذكر المفسرون في هذه الآية وجوهاً (أحدها) أن الآية والأولى صلة لكلمتي فرعون (أحدهما) قوله (ما علمت لكم من إله غيري) والآخرى قوله (أما ربكم الأعلى) فقرأوا وكان بينهما أربعون سنة ، وهذا قول جماعة الشيعي وسعيد بن جبير ومقاتل ، ورواية عطال والسكاكي عن ابن عباس ، والمقصود الثاني على أنه ما أخذ به بكلمته الأولى في الحساب ، بل أمهله أربعين سنة ، فلما ذكر الثانية أخذ بهما ، وهذا فيه على أنه تعالى بهل ولا جعل (الثاني) وهو قول الحسن وجماعة (نكال الآخرة والأولى) أي عذبه في الآخرة ، وأغفر له في الدنيا (الثالث) الآية هي قوله (أما ربكم الأعلى) والأولى هي تكذيب موسى حين أولاه الآية ، قال الفقهاء ، وهذا كونه هو الظهور ، لأنه تعالى قال (فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر بعصى ، فحفر نقار ، قال أما ربكم الأعلى) فذكر المصنفين ، ثم قال (فأعده الله نكال الآخرة والأولى) فظهر أن المراد أنه عاقبه على عذبه الأربعين .

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ قال البيهقي (الكامل) اسم من جعل نكالا لغيره ، وهو الذي إذا واه أو بلغه عاقب أن يعمل عمله ، وأصل الكلمة من الاختناع ، ومنه النكول عن الجين ، وقيل لانيه بكل لأنه يمنع ، فالنكال من العبرة هو أعظم حتى يمنع من جميع به عن ارتكاب مثل ذلك الذنب الذي وقع التشكيل به ، وهو في العرف يقع على ما يقتضيه صاحبه ، ويعتبر به غيره ، والله أعلم . ثم إنه تعالى ختم هذه القصة بقوله تعالى ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَعْتَنِي ﴾ والمعنى أن فيها اقتصاصاً من أمر موسى وفرعون ، وما أحله الله لفرعون من العقوبة ، ورتق موسى من العلو والصبر عبرة لمن يعتني وذلك أن يدع الخرد على الله تعالى ، والتكذيب لأنبيائه حرماً من أن يزول به ما زله جبريل ، وهذا بأن الله تعالى ينصر أنبياء ورسله ، فابتدروا ما بشر المكذبين محمد بما ذكرناه ، أي اعلموا أنكم إن شاركتموه في المعنى الجالب للعقاب ، شاركتموه في حصول العقاب بكم .

ثم اعلم أنه تعالى ما ختم هذه القصة ورجع إلى عاقلة منكراً أبعد ، فقال ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾ ومنه ما قلناه :

﴿ المسئلة الأولى ﴾ في المقصود من هذا الاستدلال وجهان (الأول) أنه استدلال على منكري البعث فقال (أأنتم أشد خلقاً أم السماء) فبهم على أمر يعلم بالمشاهدة ، وذلك لأن خلقه الإنسان على صفته وخصته ، إذا أضيف إلى خلق الدنيا ، على عظامها وعظم أجسامها كبير ، فين قال أن خلق الدنيا أعظم ، وإفلاكن كذلك فلفظهم على وجه الإعادة أولى أي يكون مقدراً أنه تعالى فكيف ينكرون ذلك ؟ وسنبره قوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على

بشئها ﴿٣٣﴾

أن يخلق منهم) وقوله (الخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) والمعنى أخذتكم بعد الموت أشد أم خلق السماء أي عذبتكم ، وفي تقديركم ، فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد (والثاني) أن المقصود من هذا الاستدلال جاز أنهم مخلوقين ، وهذا القول ضعيف لوجهين (أحدهما) أن من أنكر كون الإنسان مخلوقاً فإن يشكر [هـ] في السماء كان أول (وثانيهما) أن أول أسورة كان في بيان مسألة الخسر والنشر ، فمن هذا الكلام عليه أول .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الكسائي والقراء والإجماع ، هذا الكلام تم عند قوله (أم السماء) .

ثم قوله تعالى ﴿ ابتلعوا ﴾ ابتلع كلام آخر ، وعند أبي حاتم الوقت على قوله (ابتلعوا) قال لا يمتنع من صلة السماء ، والتقدير : أم السماء إلى ابتلعوا . حذف أي . وحشي هذا الخذف جائز ، قال الفراء : يقال : الرجل جال جال عاف ، أي الرجل الذي جال جال إذا ثبت أن هذا جائز في الخاصة فعقول الدليل على أن قوله (ابتلعوا) صلة لما قبله أنه لو لم يكن صلة لكان صفة ، فعوله (ابتلعوا) صفة . ثم قوله (دفع سمكتها) صفة ، فقد نزلت صفتان لا تعلق لإحداهما بالأخرى ، فكان يجب إدخال التعاضات فيما بينهما ، كما في قوله (وأغشش ليلها) فذا لم يكن كذلك علمنا أن قوله (ابتلعوا) صلة للسماء ، ثم قال (دفع سمكتها) بتبدل ذكر صفة ، والفراء أن يمتنع على قوله بأنه لو كان قوله (ابتلعوا) صلة للسماء لكان التقدير : أم السماء التي ابتلعها . وهذا يقتضي وجود سمكة ما ابتلعها الله ، وذلك باطل .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الذي يدل على أنه تعالى هو الذي نزل السماء وجوه (أحدها) أن السماء جسم ، وكل جسم محدث ، لأن الجسم لو كان أزلياً لمكان في الأول إما أن يكون متحركاً أو ساكناً ، والفسان باطلان ، فالقول بكون الجسم أزلياً باطل . أما المحصر ثلاثة إما أن يكون مستغراً حيث هو فيكون ساكناً ، أو لا يكون مستغراً حيث هو فيكون متحركاً ، وإما قلنا إنه يستحيل أن يكون متحركاً ، لأن ما به الحركة تقتضي المسبوقية بالغير ، وما به الأول تتنافى المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال ، وإما قلنا إنه يستحيل أن يكون ساكناً ، لأن السكون وصف ثبوتي وهو ممكن الزوال ، وكل ممكن الزوال مفتقر إلى الفاعل المتخار ، وكل ما كان كذلك فهو محدث ، فكل سكون محدث فيمتنع أن يكون أزلياً ، وإما قلنا إن السكون وصف ثبوتي ، لأنه لا بد أن يكون الجسم متحركاً تارة ساكناً مع بقاء ذاته ، فأحدهما لابد وأن يكون أمراً ثبوئياً ، فإن كان الثبوت هو السكون فقد حصل المتعذر ، وأن كان الثبوت هو الحركة وجب أيضاً أن يكون سكون ثبوئياً ، لأن الحركة عبارة عن الحصول في المكان بعد أن كان في غيره ، والسكون عبارة عن الحصول في المكان بعد أن كان فيه بيه ، فالغاوت بين الحركة والسكون ليس في

المسألة . بل في المسبوقية بالنفي وعدم المسبوقية بالنفي . وذلك وحسب عارضتي خارجي من المسألة . وإذا كان كذلك فإذا ثبت أن تلك الماهية أمر وجودي في إحدى العورتين وجب أن تكون كذلك في سورة أخرى . وإنما قلنا إن سكون السبا . جائز الزوال . لأنه لو كان واجبا لذاته لامتنع زواله . فكان يجب أن لا تتحرك السبا . لكنها ماها الآن متحركة . فقلنا أنها لو كانت ما كنه في الأزل . لكان ذلك السكون جائز الزوال . وإنما قلنا إن ذلك السكون لما كان نكثا لذاته . انقضى إل الفاعل المختار لأنه لما كان نكثا لذاته . فلا بد له من مؤثر . وذلك المؤثر لا يجوز أن يكون موجبا . لأن ذلك الموجب إن كان واجبا . وكان غيبا في إيجابه لذلك المسلول عن شرط لازم من دوامه . فذلك الأثر . فكان يجب أن لا يؤول للسكون وإن كان واجبا ومقتضا في إيجابه لذلك المدلول إلى شرط واجب لذاته . لازم من دوام الية ودوام الشرط دوام المدلول . أما إن كان الموجب غير واجب لذاته . لكان شرط إيجابه غير واجب لذاته كان الكلام فيه كالإكلام في الأول . فليزم التاميل . وهو محال أو الإلتها . إلى وجوب واجب لذاته . وإلى شرط واجب لذاته . ويجوز بهود الإلزام الأول . ثبت أن ذلك المؤثر لا بد وأن يكون فاعلا مختارا . فإذا كل ممكن . فهو فعل فاعل مختار . وكل ما كان كذلك فهو محدث . لأن المختار إنما يضل بواسطة القصد . والقصه إلى تكوين السكان . وتحويل الحاصل محال . ثبت أن كل سكون فهو محدث . ثبت أنه لا يمتنع أن يكون الجسم في الأزل لا متحركا ولا ساكنا . فهو إذا غير موجود في الأزل . فهو محدث . وإذا كان محدثا انقضى في ذاته . وفي تركيب أجزائه إلى وجود . وذلك هو الله تعالى . ثبت بالنقل أن باني السماء هو الله تعالى .

(المجموعة الثانية) كل ماسوي الواجب فهو ممكن وكل ممكن محدث وكل محدث لله صانع . إنما قلنا كل ماسوي الواجب ممكن . لأننا لو فرضنا موجودين واثنتين لاثنتهما لا اشتراكا في الوجود والباقي بالثنتين . فذلك كل منهما مركبا بانه اشتراك . وعاءه المايعة . وكل مركب مقتضى إلى جزئه وجزؤه غيره . فكل مركب فهو مقتضى إلى غيره . وكل مقتضى إلى غيره ممكن لذاته . فكل واحد من الواجبين بالذات ممكن بالذات هذا خلف . ثم ينقل الكلام إلى ذلك الجواب . فإن كانا واجبين . كان كل واحد من الملك الأجزاء مركبا . وليزم التسلسل . وإن لم يكونا واجبين كان المقتضى إليهما أولى بعدم الوجود ثبت أن ما عدا الواجب ممكن وكل ممكن لله مؤثر وكل ما اقتضى إلى المؤثر محدث . لأن الافتقار إلى المؤثر لا يمكن أن يتحقق حال البقاء لا تحالة لإيجاد الموجد . فلا بد وأن يكون إما حال الحدوث أو حال العدم . وعلى التقديرين فالحدوث لازم ثبت أن ماسوي الواجب محدث وكل محدث فلا بد له من محدث . فلا بد للسماء من باني .

(المجموعة الثالثة) صريح الدليل يشهد بأن جرم السماء لا يمتنع أن يكون أكبر مما هو الآن بفقدان خردة . ولا يمتنع أن يكون أصغر بمقدار خردة . فاختصاص هذا المقدار بالفروع دون

رَفَعَ سَمَكُهَا فَرَسَهَا ﴿١﴾

الأزيد والأفصح ، لابد وأن يكون تخصص ، فثبت أنه لابد للسماك بأن (فإن قيل) لم لا يجوز أن يقال إنه تعالى خلق شيئاً وأعطاه قدرة يشكرك ذلك الخلق بملك القدرة من خلق الأحياء فيكون خالق سمكاً وابتدأ هو ذلك الشيء ؟ (الطواب) من الدلائل من قال المعلوم بالفعل أنه لابد للسمك من محدث وأنه لابد من الابتداء آخر الأمر إلى قديم ، وإلا له فديم واحب التوحيد لله أنه واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فثبتني الرافضة فابسا : نعم بالمعنى فقوله في هذه الآية (فإنما) يدل على أن ما في السمك هو الله لا غيره ، ومنهم من قال بل الفعل يدل على طلاق لأنه لما ثبت أن كل ما عدا محدث ثبت أنه قادر لا مرعب ، وأدى كمال مقدور أنه إما صرح كونه مقدوراً له بشكره ، فكأن ، فذلك لو رُفِعَ الإمكان في الوجوب أو الإمتناع وما يجلبان انتفاءه ، وإذا كان ما لا جله صرح في البعض أن يكون مقدوراً لله وهو الإمكان والإمكان عام في الممكنات ويجب أن يحصل في كل الممكنات صحة أن تكون مقدورة لله تعالى ، وإذا ثبت ذلك ونسبة قدرته إلى الكل على أسوية وجب أن يكون قادراً على الكل ، وإذا ثبت أن الله قادر على هذه الكمالات قلنا قدرنا قادراً آخر قدر على بعض الممكنات ، لازم وقوع مقدور واحد بين قادرين من جهة واحدة ، وذلك محال ، لأنه إما أن يقع أحدهما دون الآخر وهو محال ، لا سيما لما كانا مستقلين بالاختصاص فليس وقوعه هذا الأول من وقوعه ذلك أو هما معاً ، وهو أيضاً محال لأنه يستلزم بكل واحد منهما عن كل واحد منهما ، فيكون محتاجاً إليهما معاً وغنياً عنهما معاً وهو محال ، فثبت بهذا أنه لا يمكن وقوع ذلك آخر بسبب آخر سوى قدرة الله تعالى ، وهذا الكلام جيد ، ليكن على أول من لا يثبت في الوجود موقراً سوى الواحد ، فهذا جملة ما في هذا الباب .

واعلم أنه تعالى لما بين السمك أنه نادا ، بين بعد ذلك أنه كيف ناداه ، وشرح تلك الكيفية من وجوده :

(أو لها) ما يتعلق بملكها ، فقال تعالى ﴿ رَفَعَ سَمَكُهَا ﴾ .

واعلم أن ابتداء الشيء إنما أحد من ابتداءه إلى أقبله من عتاه ، وإن أخذ من نفسه إلى ابتداء سمي سمكاً ، فالمراد برفع سمكاً شدة علوها حتى ذكرنا أن ما بين الأرض وبينها مسيرة مسيرة عام ، وقد بين أصحاب المرحمة مقايير الأسماء العالكية وأعداد ما بين كل واحد منها وبين الأرض ، وقال آخرون : بل المراد برفع سمكاً من غير عدد ، وذلك ما لا يصح إلا من الله تعالى

(الصفة الثانية) قوله تعالى ﴿ فَرَسَهَا ﴾ رفعاً ﴿ رفعه ﴾ وسواء (الأول) المراد قدس أو تأكدها ، وبما بين المراد في الصفوق منها ، كقوله (سبحان) في خلق الرحمن من تدابره وتوابعه ، بالرفع الأول قالوا (صدراًها) عام فلا يخرج تخصصه بالتدويرية في بعض الأنشاء ، ثم قالوا هذا يدل على كون

وَأَغْطِشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿٢٧﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٨﴾

السيارة كره . لأنه لو لم يكن كره لكان بعض جوانبه مغطياً ، والبعض زاوية ، والبعض خطاً ، ولكان بعض أجزائه أقرب إليها ، والبعض أبعد ، فلا تكون التصوية الحقيقية حاصلة ، فوجب أن يكون كره حتى تكون التصوية الحقيقية حاصلة . ثم قالوا : لما ثبت أنها حدثت منفردة إلى فاعل محذوف ، فأي ضرر في الدين ينشأ من كونها كرهية ؟

(الصفة الثالثة) قوله تعالى ﴿ وَأَغْطِشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أغطش قد يحى . لازماً ، يقال أغطش الليل إذا صار مظلاً وبجي . متعدياً يقال أغطشه أنه إذا جعله مظلاً . والتجاش الغلظة . والأغطش شبه الإغمش ، ثم هذا سؤال وهو أن الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس . فقوله ﴿ وَأَغْطِشَ لَيْلَهَا ﴾ يرجع معناه إلى أنه جعل المظلم مظلاً ، وهو بريد (والجواب) معناه أن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره : وحديث لا يفي الإشكال .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ﴿ وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴾ أي أخرجها آراء . وإنما عبر عن النهار بالضحى ، لأن الضحى أكل أجزاء النهار في النور والحرارة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إنما أضاف الليل والنهار إلى السماء . لأن الليل والنهار إنما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها ، ثم غروبها وطلوعها إنما يحدثان بسبب حركة الأرض ، فهذا السبب أضاف الليل والنهار إلى السماء . ثم إنه تعالى لما وصف كيفية خلق السماء أتبعه بكيفية خلق الأرض وذلك من وجوه :

(في الصفة الأولى) قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ دحاهما بسطها ، قال زيد بن عمرو بن نفيل :

دحاهما فلما رأها استوت على الماء أرمى عليها الجبالا

وقال أمية بن أبي الصلت :

دحوت البلاد فدويتها وأت عل حايها غادر

قال أهل اللغة فهدم الهمزة لفتن دحوت أدحو ، ودحوت أدحى . وحمله صفوت وصفيت وحرمت العود وحيته وسأوت الرجل وصأته وبأوت عليه وبأيت . وفي حديث علي عليه السلام « اللهم داحي المدحيات » أي بابطل الأرضين السبع وهو المدحوات أيضاً ، و قيل أصل المدحو الإزالة انتهى . من مكان إلى مكان . ومنه يقال : إن الصبي يدحو بالكرة أي يفسدها على وجه الأرض . وأدحى العناية بوضع الشيء يكون فيه أي بسطه وأدلت ما فيه من حمى ، حتى يشهد له ، وهذا يدل على أن أرمى المدحو يرجع إلى الإزالة والتمهيد .

أُخْرِجَ مِنْهَا مَآئُهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢٦﴾

﴿ المسئلة الثانية ﴾ ظاهر الآية يفضي كون الأرض بعد السماء . وقوله في حم السجدة ، (ثم استوى إلى السماء) يفضي كون السماء بعد الأرض . وقد ذكرنا هذه المسألة في سورة البقرة في تفسير قوله (ثم استوى إلى السماء) ولا بأس بأن نعيد بعض نكت الوجوه (أحدها) أن الله تعالى خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء ثانياً ثم دحى الأرض إلى سطحها ثالثاً . وذلك لأنها كانت أولاً كالكرة المنحسرة ، ثم إن الله تعالى مدحا وبسطها ، فإن قيل الدلائل الاعتبارية دلت على أن الأرض الآن كرة أيضاً ، وإنشكال آخر وهو أن الجسم العظم يكون ظاهره كالسطح المستوي ، فيستحيل أن يكون هذا الجسم مخلوقاً ولا يكون ظاهره مدحواً مبسوطاً (وثانيها) أن لا يكون معنى قوله (دحها) مجرد البسط ، بل يكون المراد أنه بسطها بسطاً مهيأً لنشأت الأقوات وهذا هو الذي ينه بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها) وذلك لأن مدحها الاستعداد لا يحصل للأرض إلا بعد وجود السماء فإن الأرض كالأم والسما كالآب ، وسام بعد لام تنونه أولاً المعصود والنباتات والحيوانات (وثالثها) أن يكون قوله (والأرض بعد ذلك) أي مع ذلك كقوله (مثل بعد ذلك ذنوب) أي مع ذلك ، وقوله لرجل أنت كذا وكذا ثم أنت بعدها كذا لا يزيد به الترتيب . وقال تعالى (فك رقية ، أو اعلمن في يوم ذي مسغبة) إلى قوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى كان مع هذا من أهل الإيمان باقة ، فهذا تقرير ما نقل عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن جرير أنهم قالوا في قوله (والأرض بعد ذلك دحها) أي مع ذلك دحها .

﴿ المسئلة الثالثة ﴾ لما ثبت أن الله تعالى خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء ثانياً ، ثم دحى الأرض بعد ذلك ثالثاً ، ذكرنا في تفسير تلك الآزمة وجوهاً ، روى عن عبد الله بن عمر وخلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة ، ومنه دحيت الأرض ، واعلم أن الرجوع في أمثال هذه الأشياء إلى كتب الحديث أولى .

﴿ الصفة الثانية ﴾ قوله تعالى ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ ونحو ماثلين :

﴿ المسئلة الأولى ﴾ ماؤها غير أنها المنضجرة بالماء ، ومرعاها رعيها ، وهو في الأصل موضع الرعي ، ونسب الأرض والجبال إحصار دحا وأرسي على شريطة التفسير ، ونقرأهما الحسن سرفوعين على الابتداء . فإن قيل فلا أدخل حرف تنطق على أخرج فلنا لوجهين : (الأول) أن يكون معنى دحها بسطها وبسطها للمعنى ، ثم فسر التهود بما لا بد منه في تأني مكانها من نسوة أمر المشارب والمأكل وإمكان الفرار عليها بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال وإنباتها أو نأادها حتى تنضجر وينضجر عليها (والثاني) أن يكون (أخرج) حالاً ، والتقدير والأرض بعد ذلك دحها حال ما أخرج منها ماء ومرعاها .

وَيَحْيَاكَ أَرْضَهَا ﴿٣٣﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآتَعْمِيَكُمْ ﴿٣٤﴾ فَإِذَا جَاءَتْ الظُّلُمَةُ
الْكُبْرَى ﴿٣٥﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ أراد بمرعاها ما يأكل الناس والبهائم ، ونظيره قوله في النحل (أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) وقال في سورة أخرى (أننا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً) إلى قوله (متاعاً لكم ولأنعامكم) فكذلك في هذه الآية واستعير الرعي (لأنسان كما استعير الرعي في قوله (زرع وناب) وغري زرع من الرعي ، نحو قال ابن تينبة قال تغفل (و جملة من الماء كل شيء حي) فغفل كيف يدل بقوله (ماء هاو مرعاها) على جرح ما أخرجه من الأرض قوياً ومتاعاً للأنام من العشب ، والشجر ، والحلب ، والفقر ، والعصف ، والحطب ، واليابس ، والحوا ، حتى الثمار والفلح ، أما القار فلا شك أنها من البهائم قال تعالى (أنزلنا النار التي توردون) ، ألتهم أنعام شجرها أم نحن المنتقمون) وأما الملح فلا شك أنه منوله من الماء ، وأنت إذا تأملت علمت أن جميع ما ينبت به الناس في الدنيا وينتفون به ، فأصله الماء وثبات ، ولهذا السبب تردد في وصف الجنة ذكرهما ، فقال (جنت تجري من تحتها الأنهار) ثم الذي يدل على أنه تعالى أراد بالمرعى كل ما يأكله الناس والبهائم قوله في آخر هذه الآية (متاعاً لكم ولأنعامكم) .

(المصنف الثالثة) قوله تعالى ﴿ والحيات لرساها ﴾ والكلام في شرح منافع الجمال قد تقدم . ثم إنه تعالى لما بين كيفية خلقه الأرض وكيفية متاعها قال ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ والمعنى أننا إنما خلقنا هذه الأشياء متعة ومصلحة لكم ولأنعامكم ، واحتج به من قال إن أنعام الله وأحكامه متعة بالأغراض والمصالح ، والكلام فيه قد مر غير مرة ، واعلم أننا بينا أنه تعالى إنما ذكر كيفية خلقه السماء والأرض ليستدل بها على كونه قادراً على الخلق والنشر ، لما قرر ذلك وبين إمكان الخلق عقلاً أخيراً بعد ذلك عن وقوعه .

قوله تعالى : ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ وفيه مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الطامة عند تعرب الندية التي لا انتفاع وفي اشتقاقها وجوه ، قال المبرد أخذت فيها أحسب من قولهم : طم القرم طمياً ، إذا استفرغ جوفه في الجري ، وطم الماء إذا طم القرم كله ، وقال التبت الطم طم البئر بالتراب ، وهو السكيس ، ويقال طم البئر لو كبة إذا دفنها حتى يسورها ، ويقال تشى الذي يكبر حتى يملأ قد طم ، والطامة الخادعة التي تطم على ما سواها ومن ثم قيل : فوق كل طامة طامة ، قال الفصيح : أصل طم المدين والدنو ، وكل ما غاب شيئاً وتهمر وأخفا ، فقد طمه ، ومنه الماء الطامس وهو الكثير الزائد ، والطامغي والباقي والعاذي سواء وهو الخارج عن أمر الله تعالى المتكبر ، فالطامة اسم لكل داحية عظيمة ينس ما قبلها في جذبها

يَوْمَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَمَى ۚ وَبُرِزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ رِئى ۚ فَأَمَّا
مَنْ طَغَى ۚ وَآثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ۚ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَى ۚ

المسألة الثانية : قد ظهر بما ذكرنا أن معنى الطامة الكبرى الداهية الكبرى ، ثم اختلفوا في أنها أى شيء ، فقال قوم إنها يوم القيامة لأنه يشاهد فيه من النار ، ومن الموهب الحائل ، ومن الآيات الباهرة الخارجة عن المادة ما يضى معه كل حال ، وقال الحسن إنها هى القصة الثانية التى عندها تحشر الخلائق إلى موت القيامة ، وقال آخرون إنه تعالى ذكر الطامة الكبرى بقوله تعالى (يوم يذكّر الإنسان ما سعى ، وبرزت الجحيم لمن يرى) فالطامة تكون اسماً لذلك الوقت ، فيعتمد أن يكون ذلك الوقت وقت قراءة الكتاب على ما قال تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) ويعتمد أن تكون تلك الساعة هى الساعة التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، ثم إنه تعالى وصف ذلك اليوم بوصفين .

(الأول) قوله تعالى : يوم يذكّر الإنسان ما سعى : يعنى إذا رأى أعماله سرية فى كتابه تذكّرها ، وكان قد نسها . كقوله (أحصاه الله ونسوه) .

(الصفحة الثانية) قوله تعالى : وبرزت الجحيم لمن يرى : وفيه مسائل :

المسألة الأولى : قوله تعالى (لمن يرى) أى أنها تظهر إظهاراً مكشوحاً لكل ناظر ذى بصير ثم فيه وجهان (أحدهما) أنه استعاره فى كونه مذكّناً ظاهراً كقولهم : تبين الصبح لمدى عينين . وعلى هذا التأويل لا يجب أن يراه كل أحد (والثانى) أن يكون المراد أنها حرّضت ليرأها كل من له عين وبصر ، وهذا يفيد أن كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار ، إلا أنها مكان الكفار وماوهم والمؤمنون يبرون عليها ، وهذا التأويل متأكد بقوله تعالى (وبين منكم إلا واردة) إلى قوله (ثم نحي الذين اتقوا) فإن قيل إنه تعالى قال فى سورة النمر : (وأدلف الجنة للذين ، وبرزت الجحيم للفاوين) فخص الفاوين ببررها لهم ، قلنا إنها برزت للفاوين ، والفاوون يرونها أيضاً فى النمر ، ولا منافاة بين الأمرين .

المسألة الثانية : قرأ أبو نوح (وبرزت) وقرأ ابن مسعود : لمن رأى ، وقرأ عكرمة : لمن ترى ، والضمير للجحيم . كقوله (إذا رأتهم من مكان بعيد) وقيل لمن ترى يا محمد من الكفار الذين يؤذونك . واعلم أنه تعالى لما وصف حال القيامة فى الجنة قسم المكلفين قسمين : الإلتفات ، والاعتدال ، قد ذكر حال الإلتفات .

قوله تعالى : فأما من طغى . وآثره الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى : وفيه مسائل :

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿١٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

(١٠)

﴿المسألة الأولى﴾ في جواب قوله (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وجهان (الأول) قال الواحدى : إنه محذوف على تقدير إذا جاءت الطامة دخل أهل النار ، وأهل الجنة الجنة ، ودل على هذا المحذوف ، ما ذكر في بيان ، أوى الفريقين ، ولما كان يقول مالك بن معمر في تفسير الطامة الكبرى ، قال إنها إذا سبق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار (والثاني) أن جزمه قوله (فإن الجحيم هو المأوى) وكأنه جزء مركب على شرطين نظيره إذا جاء الفرد ، فن جاني ، ما لا يحيط به ، كذا هنا أى إذا جاءت الطامة الكبرى فن جيا ، طائفاً فإن الجحيم مأواه .

﴿المسألة الثانية﴾ منهم من قال : المراد بقوله (طمى) ، وآثر الحيازة الدنيا (النظر وأثر الحارات فإن كان المراد أن هذه الآية زلت عند صدور ، من المنكرات منه لجزم وإن كان المراد تخصيصاً به ، بعيد لأن العبرة بعدم اللفظ لا بخصوص السبب ، لا سيما إذا عرف بصورته فاعلم أن الموجب لذلك الحكم هو الوصف المذكور

﴿المسألة الثالثة﴾ قوله طمى ، إشارة إلى عداد حال القوة النظرية ، لأن كل من عرف الله عرف صفاته نفسه ، وعرف الدنيا قسرة الله عليه ، فلا يكون له طغيان وشكبر ، وقوله (وآثر الحيازة الدنيا) إشارة إلى عداد حال القوة العملية ، وإما ذكر ذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ومنى كان الإنسان واحياد بالله ، وصرفاً بين الأمرين ، كان سالماً في عداد إلى أقصى الغايات ، وهو الكافر الذى يكون عفاً مخلداً ، وتخصيصه بهذه الحالة يذلل على أن الفاسق الذى لا يكون كذلك ، لا تنكرن الجحيم مأوى له .

﴿المسألة الرابعة﴾ تقدير الآية : فإن الجحيم هو المأوى له ، ثم حذف الله له لوصوح المبنى كقولك للرجل غرض العارف أى غرض عز ذلك ، وعنى فيه وجه آخر ، وهو أن يكون تدبير : وإن الجحيم هو المأوى ، الاتق من كان موصوفاً بهذه الصفات والأخلاق ،

ثم ذكر تعالى حال السعداء فقال تعالى ﴿ وما من خائف مقام ربه ﴾ ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴿ واعلم أن هذين الوصفين مضافات للوصفين الذين وصف الله أهل النار بها فترى (ولما من خائف مقام ربه) ضد قوله (فأنما من طمى) وقوله (ونهى النفس عن الهوى) ضد قوله (وآثر الحيازة الدنيا) واعلم أن الخريف من الله ، لا بد أن يكون مسبباً ، العلم بالله على ما قال (إنما يخشى الله من عباده الأولياء) ولما كان الخوف من الله هو السبب لعدم دفع الهوى ، لا جرم قدم الله على الهوى ، وكما دخل في ذلك الصفتين جميع القابح دس

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿١٧﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿١٨﴾ إِنَّ
وَبِكَ مُنْتَهَاهَا ﴿١٩﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخِفُّهَا ﴿٢٠﴾

في هذين الوصفين جميع الطاعات والمخافات ، وقيل الإتيان نزلاً في أي عزرب بن عمير ومصعب
ابن عمير ، وقد قيل مصعب جاء أباه عزرب يوم أحد ، ووفى رسول الله بنفسه حتى نفذت
المشاة في جوفه .

واعلم أنه تعالى لما بين بالمرحان الخفي إمكان القيامة ، ثم أخبر عن وفورها ، ثم ذكر أحوالها
العامّة ، ثم ذكر أحوال الاستعداد والتمهيد فيها ، قال تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ ،
واعلم أن المشرّكين كانوا يسمعون آيات القيامة ، وروصفها بالأوصاف المأثلة ، مثل أنها
طامة وصاعقة وطارقة ، فقالوا هل سبيل الاحتمار . (أيان مرساها) فيحتمل أن يكون ذلك على
سبيل الإيهام لا باعتبار أنه لا أصل لذلك ، ويحتمل أنهم كانوا يسألون الرسول عن وقت القيامة
استعداداً ، كقولهم (يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها) ثم في قوله (مرساها) قولان (أحدهما)
من إرسائها ، أي إقامتها أراد أن يقيمها الله ويرجعها ويكرّمها (والثاني) (أيان) منهاها
وصفها ، كما أن مرعى السفينة مستقرها حيث تنهى إليه .

ثم إن الله تعالى أجاب عن قوله تعالى ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴾ وفيه وجهان (الأول)
سئل في أي شيء أنت عن ذكر وقتها لهم ، وتبين ذلك الزمان الموعود فيهم ، وأظن قول
القاتل : إذا سأله رجل عن شيء لا يليق به ما أنت وهذا ، رأى شيء لك في هذا ، وعن عائشة دلم
يؤد رسول الله ﷺ بذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية ، خرج على هذا فتعجب من
كثرة ذكرها ، كما أنه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها ، والمعنى أنهم
يسألونك عنها ، لحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتساأل عنها .

ثم قال تعالى ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْهَا مَرَسَةٌ ﴾ أي منتهى طلبها لم يؤته أحد من خلفه (الوجه الثاني) قال
بعضهم (فيم) إنكار لسؤالهم ، أي فيم هذا السؤال ، ثم قيل (أنت من ذكرها) أي أرسلك
وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل ذكر من أنواع علاماتها ، وواحد من أقسام أسرارها ، فكيف
يذلك دليلاً على دنوها ووجوب الاستعداد لها ، ولا فائدة في سؤالهم عنها .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخِفُّهَا ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ معنى الآية أنك إنما بدت للأذار وهذا المعنى لا ينزه على علك

كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاى (١)

بوقت قيام القيامة . بل لو أضفنا لفظاً بأن الإنذار والتخويف إنما يثابن إذا لم يكن العلم بوقت قيام القيامة حاصلًا .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أنه عليه الصلاة والسلام منذر لكل إلا أنه خص بمن يختار ، لأنه الذى يذفع بذلك الإنذار .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فرى منذر بالتورين وهو الإصم ، قال الزجاج معمل وفاعل إذا كان كل واحد منهما لما يستقبل أو التحل ينون ، لأنه يكون بدلًا من الفعل ، ومعمل لا يكون إلا نكرة ويجوز حذف التورين لأجل التخويف ، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال ، فإذا أريد الماضى فلا يجوز إلا الإضافة كقوله هو مختار زيد أس .

ثم قال تعالى ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاى ﴾ وتفسير هذه الآية قد مضى ذكره في قوله ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ ، والمعنى أن ما أنكره سيرونها حتى كأنهم بدأ فيه ركائهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار ثم مضت (فان قيل) قوله (أو ضحاى) معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لأنه ليس العشية ضحى (قلنا) الجواب عنه من وجوه (أحدها) قال عطاف عن ابن عباس هذا والآلف صلة للكلام يريد لم يلبثوا إلا عشية أو ضحى (وثانيها) قال الرماد والزجاج المراد بإضافة الضحى إلى العشية إضاعتها لأن يوم العشية كأنه قبل إلا عشية أو ضحى يومها ، والعرب تقول آنك العشية أو غدائها على ما ذكرنا (وثالثها) أن البحرين قالوا يكفى في حسن الإضافة أدنى سبب ، فانضم المتقدم على محضه يصح أن يقال إنه ضحى تلك العشية ، وزمان المحنة قد يبر عنه بإعشية ورمضان الراحة قد يبر عنه بالضحى ، فالذين يحضرون في مواعيد القيامة يسرون عن زمان محنتهم بالضحى وعن زمان راحتهم بضحى تلك العشية فيقولون كأن عمرنا في الدنيا ما كان إلا عاتين الساعيتين ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وحصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(۱) بطوریکه ممکن است
و اینها استعدادهای وزیر جوان

طیسی و نون ۱۰۰۰ ل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ غَسَّ وَغَرَّلَ أَنْ جَاءَهُ الْأُخْبَى ﴾ وَفِي آيَةِ ذِكْرٍ :

المسألة الأولى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أم يكتوبكم، ولم يكتوبكم أم أبيه
وأوصاه عبد الله بن مريح بن مالك بن زيدة القهري من بني عامر بن لؤي - وعنده صاحب فرس
عاجية وشيبة ابن أبيه وأبو جهل بن هشام - وخالد بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والنويرة
ابن المغيرة بن عمرو بن الإسلام - وجد أن يسميهم بأسماءهم غيبرهم، فقال صلى الله عليه وسلم: أفروني وعلني
وأعليك الله، وأكر ذلك، ففكر رسول الله ﷺ فنهى الكلام، ووعس وأمرض عنه فزالت
عنه الآية، وكان رسول الله ﷺ يكرهه، ويقول: إذا آو أم رجلاً غيبرني فيه وفيه، ويقول هل
لك من حاجة، وإن تخافه على أئنته مرتين، وفي الموضع من ذلك.

(الأول) حج أن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والجرم ، فكيف عاتب الله رسوله على أن أدب ابن أم مكتوم وزجره لأننا قلنا إنه كان يستحق التأديب لوجوه (أحدها) أنه وإن كان نقدر بعصره لا يرى القوم ، لكنه أصفى صفة كان يسمع غلظة الرسول صلى الله عليه وسلم لأتاك الكفار ، وكان يسمع أصواتهم أيضاً ، وكان يروى بواسطة استماع تلك السمكات شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم ، فكان إقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والحد غرض منه ، ليبين هل قام غرض النبي بإزالة الذي عليه الصلاة والسلام ، وذلك مصححاً عظيمة (وثانيها) أن الأهم مقدم على المهم ، وهو كان قد أسلم وتلقا ، ما كان يحتاج إليه من أمر الدين ، أما أداتك الكفار فما كانوا قد أسلموا ، وهو إسلامهم من الإسلام جمع غلظة ، فقلنا إن لم يكن مكرم ، ذلك الكلام في الدين كالسب في منع ذلك الجرم العظيم ، نعرض قليلاً وذلك عدم (وثانيها) أنه بعد قال : إن الدين يبارك من وراء الطغرات أكثر مما لا يدعون ، معام عن مجرد التبادر إلى الوقت ، مع هذا هذا الزمان الذي صار كالأصناف المتكافئة عن قبول الإيمان وكما غلظهم

على الرسول اعظم مهانة ، اولى أن يكون ذنباً ومصيبة ، فثبت بهذا أن الذي قبله ان أم مكنوم كان ذنباً ومصيبة ، وأن الذي قبله الرسول كان هو الواجب ، وعند هذا يتوجه السؤال في أنه كيف يأتي الله تعالى على ذلك الفعل ؟ .

(السؤال الثاني) أنه تعالى لما جاءه على مجرد أنه عبس في وجهه ، كان تعظيماً عظيماً من الله سبحانه لا ين أم مكنوم ، وإذا كان كذلك فكيف يليق ، بل هذا العظيم أن يذكره اسم الأعمى مع أن ذكر الإتيان بهذا الوصف يقتضي تحقير شأنه جداً ؟ .

(السؤال الثالث) الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام كان مأذوناً في أن يبادل أصحابه على حسب ما يراه مصلحة ، وأنه عليه الصلاة والسلام كثيراً ما كان يؤدب أصحابه ويرجمهم عن أشياء ، وكيف لا يكون كذلك وهو عليه الصلاة والسلام إنما يبت ليؤدبهم وإسلامهم بحسن الآداب ، وإذا كان كذلك كان ذلك التوبيخ داخل في إيماء في تأديب أصحابه ، وإذا كان ذلك مأذوناً به ، فكيف وقعت المعالجة عليه ؟ فهذا مما يتعلق بهذا الموضوع من الإشكالات (والجواب) عن السؤال الأول من وجهين (الأول) أن الأمر وإن كان على ما ذكرتم إلا أن ظاهر الواقعة يرمي بتقديم الانقياد على الفقر ، واتكسب قلوب الفقراء ، فلهذا سبب حصلت المعالجة ، وظهوره قوله تعالى (ولا تفرد الذين يدعون ربهم بالغنى والعشى) ، (والوجه الثاني) لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه الصلاة والسلام من التadel الظاهر ، بل على ما كان منه في قلبه ، وهو أن قلبه عليه الصلاة والسلام كان قد مال إليهم بسبب قربانهم وشرقتهم ورفو مناصبهم ، وكان يتفرع عليه عن الأعمى بسبب محام وعدم قرابة وقلة شرفه ، فلما وقع التوبيخ والتولى لنفسه لدعاة وقت المعالجة ، لا على التأديب بل على التأديب لأجل هذه الدعاة (والجواب) عن السؤال الثاني أنه ذكره بلفظ الأعمى ليس لتحقير شأنه ، بل كأنه قيل إنه بسبب محام استحق مزيد الرفق والراقة ، فكيف يليق بك يا محمد أن تخصه بالمعظة (والجواب) عن السؤال الثالث أنه كان مأذوناً في تأديب أصحابه لكن هنا لما أومر بتقديم الانقياد على الفقراء ، وكان ذلك عما يرمي ترجيح الدنيا على الدين ، فلهذا السبب جاءت هذه المعالجة .

(المسألة الثانية) القائمون بصدد الذنب عن الأنبياء عليهم السلام تسكوا بهذه الآية وقالوا لما جاءته آفة في ذلك الفعل ، دل على أن ذلك الفعل كان مصيبة ، وهذا جيد فإننا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب المتعين لاعتساب هذا الاعتبار الواحد ، وهو أنه يوم تقديم الانقياد على الفقراء ، وذلك غير لائق بصلاية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان كذلك ، فكان ذلك جادياً مجرى ترك الاحتياط ، وترك الأفضل ، فلم يكن ذلك ذنباً لئلا .

(المسألة الثالثة) أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى ، هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأجمعوا [على] أن الأعمى هو ابن أم مكنوم ، وفي عبس بالتشديد للبلغة ونحوه كلف في

وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ⑤ ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى ⑥ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى

⑦ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑧ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ⑨

كلمه ، أن جاءه متصرب بقول أو يعيب على اختلاف المذهبن في إعمال الأقرب أو الإيسر ومعناه عبس ، لأن جاءه الأعمى . وواضح لذلك ، وقرئ أن جاءه جهنمى ، وألف بياهم وألف على (عبس ونزل) ثم ابتدا على معنى لأن جاءه الأعمى ، والمراد منه الإنكار عليه ، وادخل أن في الأخبار عما فرط من رسول الله ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار . كمن يشكو إلى الناس جانياً من عليه ، ثم يقبل على الجاني إذا سمى في الشكابة مودعياً بالتوبخ وإلزام الخيبة قوله تعالى : ⑤ وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتفقه الذكري ⑥ فيه قولان (الاول) أى شئ . به ملك ذكراً بحال هذا الأعمى لعله ينظر بما ينقل منك ، من الجهل أو الإثم ، أو ينشط فتفقه ذكراك أى موعظتك ، فتكفر له لطفاً في بعض انطانات ، وبالجملة لعل ذلك العلم الذى يتفقه عنك يظهره عن بعض حالاً ينفى ، وهو الجهل والمغصبة ، أو يشده بعض ما ينفى وهو الطاعة (الثانى) أن الضمير في لعله للكافر . بمعنى أنت طمعت في أن يزكى الكافر بالإسلام أو يذكر خبره الذكري إلى قول الحق (وما يدريك) أن ما طمعت فيه كثر ، وقرئ . فتفقه بالرفع عطفاً على يذكر . وبالنصب جواباً لقال ، كقوله (فأطلع إلى إله موسى) وقد مر .

ثم قال ⑦ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ⑧ قال عطاف يريد عن الإيمان ، وقال الكلبي استفتى عن الله ، وقال بعضهم استفتى أئمة وهو فاسد ههنا ، لأن إقبال الله على الصلاة والسلام لم يكن أئمة وهم والمهم منى يقال له أدامن أئمة ، فأنت تغفل عليه ، ولأنه قال (وأما من جلدك يمينه) وهو يحشى [ولم يقل وهو أئمة عديم ، ومن قال : أما من استفتى بماه فهو صحيح . لأن المعنى أنه استفتى عن الإيمان والفرقان ، بماه من المسأل .

قوله تعالى : ⑨ فأنت له تصدى ⑩ قال الزجاج : أى أنت تحمل عليه وتعرض له وتقبل إليه . يقال تصدى فلان فلان ، تصدى إذا تعرض له . والأصل فيه تصدى تصدى من الصدد ، وهو ما استقبلك وصار قبالك ، وقد ذكرنا مثل هذا في قوله (إلا مكلاً وتصدية) وقرئ (تصدى) بالتشديد بإدغام التاء في الصاد ، وقرأ أبو جعفر : تصدى . يضم التاء أى تعرض . ومعناه يدعوك داع إلى التصدى له من الحرم ، والله لك على إسلامه

ثم قال تعالى ⑪ وما عليك ألا يذكى ⑫ المعنى لا شئ عليك في أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام . فإن ليس عليك إلا البلاغ ، أى لا ييلز بك الحرم على إسلامهم إلى أن تعرض عن أسلم للاشتغال بدعوتهم .

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ كَلَّا إِنَّهَا

تَذَكَّرَةٌ ۝

ثم قال ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ أن يسرع في طلب الخير . كقوله ﴿ فاعبروا إلى ذكر الله ﴾ .
وقوله ﴿ وهو يخشى ﴾ فيه ثلاثة أوجه يخشى الله ويخافه في أن لا يهمل أداء تكليفه ، أو
يخشى الكفار وأعدائهم في إتيانك ، أو يخشى العكوبة فإنه كان أعشى ، وما كان له قائد .

ثم قال ﴿ فأنت عنه تلهي ﴾ أي تتشاغل من شيء عن الشيء والشيء وتلهي ، وقرأ طلحة
ابن مصرف ، تلهي ، وقرأ أبو جعفر (تلهي) أي يلهيكم شأن الصدايد ، فإن قيل قوله ﴿ فأنت
له تصدى .. فأنت عنه تلهي ﴾ كان فيه اختصاصاً ، قلنا نعم ، ومعناه إنكار التصدى والتلهي عنه .
أي مثلك ، خصصاً لا يلهي أن يصدى لاني ، ويشغلي عن التفكر .

ثم قال ﴿ كلاً ﴾ وهو ودع عن العتاب عليه وعن مداومة ذلك . قال الحسن : لما تلا جبريل
عن النبي ﷺ هذه الآيات عاد وجهه ، كأنما أصف الرماد فيه يشغل ماذا يحكم الله عليه ، فلما قال
(كلاً) سرى منه ، أي لا تفعل مثل ذلك ، وقد بينا نحن أن ذلك محمول على ترك الأولى .

ثم قال ﴿ إنها تذكرة ﴾ وفيه سؤالان :

(الأول) قوله ﴿ إنها ﴾ ضمير المؤنث ، وقوله ﴿ فنشأ ذكره ﴾ ضمير المذكر ، والضميران
عائدان إلى تبي ، واحد ، فكيف القول به ؟ (الجواب) وفيه وجهان (الأول) أن
قوله ﴿ إنها ﴾ ضمير المؤنث . قال مقاتل : يعني آيات القرآن ، وقال السكلي : يعني هذه
السورة وهو قول الإحفش والضمير في قوله ﴿ فنشأ ذكره ﴾ عائد إلى التذكرة أيضاً ، لأن
التذكرة في معنى التذكروا الوعظ (الثاني) قال صاحب النظم إنها تذكرة يعني به القرآن والقرآن مدكر
إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة أخرجه على لفظ التذكرة ، ولو ذكره لجاز كما قال في موضع آخر
(كلاً له تذكرة) (والدليل على أن قوله ﴿ إنها تذكرة ﴾ لمفراد به القرآن قوله ﴿ فنشأ ذكره ﴾) .

(السؤال الثاني) كيف اتصال هذه الآية بما قبلها ؟ (الجواب) من وجهين (الأول)
كأنه قيل : هذا التأديب الذي أوجبه إليك وهو أنه لك في إجلال الفقراء وعدم الانغفات إلى أهل
الدنيا أثبت في الترح المفوظ الذي قد وكل بمحفظه أكابر الملائكة (الثاني) كأنه قيل : هذا القرآن
قد بلغ في المحظية إلى هذا الحد العظيم ، فأى حاجة به إلى أن يشله هؤلاء الكفار ، فسواء قبلوه
أو لم يشله فلا تفتش إليهم ولا تشغل قلبك بهم ، وإليك وأن تعرض عن آمن به فليبدأ قلب
أرباب الدنيا .

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٦﴾ فِي مَحْفِيفٍ مُكْرَمَةٍ ﴿١٧﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٨﴾ بِأَيْدِي

سَفَرَةٍ ﴿١٩﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ، في محفوف مكرم ، مرفوعة مطهرة ﴿﴾ .

اعلم أنه تعالى وحذف تلك التذكرة بأمرين (الأول) قوله (فمن شاء ذكره) أي هذه تذكرة
بنت طاهرة بحيث لو أرادوا فهمها والالتفاف بها والعمل بموجبها لغدوا عليه (والثاني) قوله (في
محفوف مكرم) أي تلك التذكرة مودعة في هذه المصحف المكرمة ، وأمراد من ذلك تعظيم حال
القرآن وتشويهه بذكره ، والمعنى أن هذه التذكرة مبنية في مصحف ، والمراد من المصحف قولان
(الأول) أنها مصحف منفردة عن اللوح مكرمة عند الله تعالى مرفوعة في السماء السابعة أو مرفوعة
المقدار مطهرة عن أيدي الشياطين ، أو المراد مطهرة بسبب أنها لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة ،
قوله تعالى : ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ، كرام بررة ﴿﴾ وفيه مسألتان :

﴿ فصله الأول ﴾ أن لغة تعالى وحذف الملائكة ثلاثة أنواع من الصفات :

(أولها) أنهم سفرة وفيه قولان (الأول) قال ابن عباس وبجاءه مقاتل وقادة هم
الكتبة من الملائكة ، قال الزجاج السفرة الكتبة واحدها سافر مثل كنية وكاتب ، وإنما قيل الكتبة
سفرة ولفكاتب سافر ، لأن مقامه الذي بين الله وبين خلقه ، وبوجهه يقال سمرت المرأة إذا كشفت عن
وجهها (القول الثاني) وهو اختيار القراء أن السفرة هؤلاء هم الملائكة الذين يغفون بنوح
بين الله وبين رسله ، واحدها سافر ، والرب تغفون : سمرت بين القوم إذا أصلحت بينهم ،
جاءت الملائكة إذا زارت نوحاً الله وأوديته ، كالمغفر الذي يصلح به بين القوم ، وانغمسوا :

وما أذع السفرة بين قومي وما أمشي بعض إن مشيت

واعلم أن أصل السفرة من الكشف ، والكاتب إما يسمى سافراً لأنه يكشف ، وإما يسمى
إنما هي سفرة أيضاً لأنه يكشف ، وهؤلاء الملائكة لما كانوا وسائط بين الله وبين البشر في
البيان والهداية والعلم ، لا جرم سمووا سفرة .

(الصفة الثانية لمؤلا الملائكة) (أنهم كرام) قال مقاتل : كرام على ربهم ، وكان عطاء
يريد أنهم يشكرون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة .

(الصفة ثالثة) أنهم (بررة) قال مقاتل : مطيعين ، وبررة جمع بار ، قال القرطبي : لا يقولون
قوله للجميع إلا الواحد منه فاعل مثل كافر وكفرة ، ومثله وحجرة (القول الثاني) في تفسير
المصحف : أنها هي مصحف الأنبياء لقوله (إن هذا لي المصحف الأول) يعني أن هذه التذكرة مبنية
في مصحف الأنبياء المطهرين ، والسفرة الكرام البررة هم أصحاب رسول الله ﷺ ، وقيل هم القراء .

قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٥﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٦﴾ مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله تعالى (مطهرة بأبدى سفرة) يقتضى أن طهارة تلك المصنف إنما حصلت بأبدى هؤلاء السفرة ، فقال القائل في تقريره : لما كان لا يسما إلا الملائكة المطهرون أحبب التطهير إليها لطهارة من يسما .

قوله تعالى : ﴿ قل الإنسان ما أكفره ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أنه تعالى لما بدأ يذكر القصة المقتضية على ترك صناديد غريز على ضراء المسلمين ، يجب مجاراة المؤمنين من ذلك ، فكانه قيل : وأي سبب في هذا العصب والرفع مع أن أوله نطفة حقيرة وآخره هبة مدرة ، وفيها بين الوقتين زمان عذرة ، فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجاً لصحبه ، وما يصلح أن يكون علاجاً لكفرهم ، فإن خلقه الإنسان يصلح لأن يستدل بها على وجود الصانع ، ولأن يستدل بها على القول بالبعث والحشر والقيامة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال القسرون : نزلت الآية في عتبة بن أبي لهب ، وقال آخرون : المراد بالإنسان الذين أقبل الرسول عليهم وترك ابن أم مكتوم يسيمهم ، وقال آخرون بل المراد دم كل من رضع على فغير بسبب التقى وفققر ، والذي يدل على ذلك وجوه (أحدها) أنه تعالى ذمهم لفرصهم فوجب أن يدم الحكم بسبب عموم العلة (وثانيها) أنه تعالى ذمهم بطريقهم بسبب حظرة حال الإنسان في الابتداء والامتناع على ما قال (من نطفة خلقه ، ثم أماته فأقبره) وعموم هذا الوجه يقتضى عموم الحكم (وثالثها) وهو أن حمل النقط على هذا الوجه أكثر فائدة ، والنقط محتمل له موجب حمل عليه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى (قل الإنسان) دعاء عليه وهي من أشنع دعوائهم ، لأن اقتل غاية شدة الداء وما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ، فقوله (قل الإنسان) تنبيه على أهم استحقاق أعظم أنواع العقاب . وقوله (ما أكفره) تنبيه على أنواع التبايع والمشكرات . فإن قيل الدعاء على الإنسان إنما يليق بالمعجز والقادر على الكل كيف يليق به ذلك ؟ والجواب أيضاً إنما يليق بالمجاهل بسبب الشبهة ، فالعالم بالكل كيف يليق به ذلك ؟ (الجواب) أن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب وتحقيقة ما ذكرنا أنه تعالى بين أهم استحقاق أعظم أنواع العقاب لاجتماع أهم أحوال أعظم أنواع التبايع ، واعلم أن كل عدت ثلاث مراتب أوله ووسطه وآخره ، وأنه تعالى ذكر هذه المراتب الثلاثة للإنسان .

(١١٠ المراتب الأولى) هي قوله ﴿ من أي شيء خلقه ﴾ وهو استفهام وغرضه زيادة التبرير في التعجب .

ثم لحظ عن ذلك الاستفهام بقوله ﴿ من نطفة خلقه ﴾ ولا شك أن النطفة شيء حقير مهين

فَقَدَرَهُ ﴿١٥﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ أَنَاةً يُنْقِرُهُ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿١٨﴾

والفرض منه أن من كان أصله [مز] مثل هذا الشيء الخفي، فالتكثير والتجديد لا يكون لا فائدة .
ثم قال ﴿ فقدره ﴾ وفيه وجوه (أحدها) قال الفراء : قدره أظن أن أفعلة ثم عطفه إلى آخر
خلفه وذكر أن أروأى وسيداً أوشقياً (وثانيها) قال الزجاج : المعنى قدره على الاستواء كما قال
(أكرمت بالله خلقك من زواج نوح من نطفة نوح والرجال) ، (وثالثها) يعنى أن يكثر المرات وقدر
كل عصرف الكعبة والسكينة بالقدر اللائق بصلوته ، وظهوره قوله (وخلق كل شيء بقدره فقدير) .
(وأما المرتبة الثانية) وهي المرتبة المتوسطة فهي قوله تعالى ﴿ ثم السبل يسره ﴾ بوجهين :
﴿ المسألة الأولى ﴾ نصب السبل بإضمار يسره ، وقدره يسره .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكروا في ضمير أقوالا (أحدها) قال بعضهم المراد تسهيل نوره
من بطن أمه ، قالوا إنه كان رأس المرنود في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت ، فإذا ساء وفقد
الخروج انقلب ، فمن الذي أسطاه ذلك الإلحاح (إلا الله) ، وهذا يؤكد هذا القول أن حروجه حياً
من ذلك المنفذ الضيق من تعجب أصحاب (وثانيها) قال أبو سلم : المراد من هذه الآية ، هو
المراد من قوله (وهديناه النجدين) هو يشاؤون (فخير بين كل خير وشر يتعلق بالدين ، وبين كل
خير وشر يتعلق بالدين أى حدهما يتكلمان من ملوك سبل الخير والشر ، ويتيسر بدخل فيه
الإفهام والتعريف والفعل ودمته الأدب ، وإزالة الكتب (وثانيها) أن هذا مخصوص بأمر
الدين ، لأن تعطف السبل مشعر بأن المقصود أحوال الدنيا [لا أمور تحصل في الآخرة] .

(وأما المرتبة الثانية) وهي المرتبة الأخيرة ، فهي قوله تعالى ﴿ ثم أناةً ينقره ﴾ ، ثم إذا
شاء أنشره .

واعلم أن هذه المرتبة الثالثة مشتملة أيضاً على ثلاث مراتب ، الإيمانية ، والإفهام ، والإخبار .
أما الإيمانية فقد ذكرنا مناقبها في هذا الكتاب ، ولا شك أنها هي الزاوية من حال الكتاب
والخبرة ، وأما الإخبار فقال الفراء جعله الله مقبوراً ولم يجعله من بطن الضمير والنداء ، لأن الخبر
ما أكرم به قال ولم يقل فقدره ، لأن إخباره القادر به ، والقدير هو الله تعالى ، يقال
غير الميت إذا دفعه وأمر الميت ، إذا أمر غيره بأن يجعله في القبر ، والعرب تقول بقرت ، فنب
للبيير ، وأنه أبقر ، وعظمت قرن ثور ، وأنه أعصب ، وعطرت فلاناً عني ، رأت أميرة ، أو صبره
طريداً ، وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) المراد منه الإخبار [أو البعد] ، وإنما قال إذا شاء إخباراً
بأن وقته غير معلوم لنا ، متفهمه وتأخيره هو كقول إلى مشيئة الله تعالى . وأما سائر الأحوال

قُلْنَا لَمَّا يَنْقُصُ مَا أَمَرَهُ ﴿١٥﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى صَعَامِهِ : إِنَّا أَنْشَأْنَاهُ

أَرْجَمًا صَبِيًّا ﴿١٦﴾

الذي كرمه قبل ذلك بأنه يعلم أرقامه من بعض الوجوه . إذا الموت وإن لم يعلم الإنسان وقته في الجنة يعلم أنه لا يتجاوز فيه إلا حداً محدوداً .

في قوله تعالى : ﴿ قلنا ما نقص ما أمره ﴾

واعلم أن قوله (قلنا) رددع الإنسان عن تكذيبه وإفهامه . فهو عن كبره و(نصره) على إنكار التوحيد ، وعلى إنكاره السموات والارض والنفس . وفي قوله (لما نقص ما أمره) وجوه (أمره) : قال مجاهد لا ينقص أحد جميع ما كان معروفاً عليه أبداً . وهو إشارة إلى أن الإنسان لا يملك عن تقصير الله . وهذا التقدير عذري في ظاهره . لأن قوله (لما نقص) اضمر فيه ضمير إلى ذكره السابق . وهو الإنسان في قوله (قلنا) الإنسان ما أكفره) وليس المراد من الإنسان هنا جميع الناس بل الإنسان الكافر . قوله (لما نقص) كبره يمكن حمله على جميع الناس (وبأنها) أن يكون المراد أن الإنسان المرفوع المتكبر لم ينقص ما أمر به من ترك التكبر . إذ المراد من ذلك الإنسان الكافر لم ينقص ما أمر به من التواضع في دلائل الله . والتقدير في محاسبة حقيقته ودرجات حكمته (وبأنها) قال الأستاذ أبو بكر روبروك : قلنا ما نقص الله هذا التكافؤ ما أمره به من الإنسان وترك التكبر . بل أمره بما لم ينقص له به .

واعلم أن ما جده الله تعالى حادثة في القرآن أنه كلما ذكر الدلائل الموجودة في الانفس ، فإنه يذكر عقبها الدلائل الموجودة في الآفاق فخرى . وهذا على تلك التامة وذكر دلائل الآفاق وبدأ بما يحتاج الإنسان إليه .

فقال ﴿ فلما نظر الإنسان إلى دعوته ﴾ الذي يبرز به كبره و(نصره) . ولا شك أنه توسع الاعتبار ، فبالعلم الذي يتناول الإنسان له حقائق (إدماها) متقدمة وهي الأمور التي لا بد من وجودها حتى يدخل ذلك النظام في الوجود (والاشياء) متأخره . وهي الأمور التي لا بد منها في بقاء الإنسان حتى يحصل له الاستيعاب ذلك الطعام الذي لا بد . ولما كان النوع الأول أطهر للحس . وأبعد عن الشبهة ، لا حرج ما كتبه الله تعالى بذكره . لأن دلائل الله أن لا بد وأن تكون بحيث يدفع ما كل دلي . فلا بد وأن تكون أبعد عن الشبهة . وهذا هو المراد من قوله (فلما نظر الإنسان إلى دعوته) . واعلم أن السموات إنما ينحصر من انقطار السحاب من السماء الواقع في الارض . والارض كذلك . والآخر كذلك . فذكر في ذلك كل انقطار .

قوله تعالى : ﴿ فلما أضاء ما السما صاباً ﴾ . وفيه معان :

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٦﴾ لَنُثَبِّتَ فِيهَا جَبًّا ﴿١٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضَبًا ﴿١٨﴾
وَوَزِيرًا وَنَحْلًا ﴿١٩﴾ وَجَدَّ آمِنًا غَلْبًا ﴿٢٠﴾

﴿السؤال الأول﴾ قوله (جبا) المراد منه الغيث : ثم انظر في أنه كيف حدث الغيث المتسل على هذه المياه العذبة ، وكيف ينزل مسلقا في حو السماء مع غلبة ثقله ، وأمل في أسبابه القريبة والبعيدة ، حتى يروح بك شي من آثار نور الله وعنه وحكمته ، وفي تدبير خلقه هذا العالم .
﴿السؤال الثاني﴾ فري ، إما بالكسر ، وهو على الاستئناف ، وأما بالفتح على البدن من الطعام والتغدير (فليطأ الإنسان) إلى أما كيف (جبا المياه) قال أبو علي الفارسي من قرأ بكسر إذا كان ذلك نفسه أن ينظر إلى علمه كما أن قوله (لهم مغفرة) تفسير للوعده ، ومن فتح فهي معنى البذل بدل الاستئناف ، لأن هذه الأشياء تستعمل على كون الطعام وسدونه ، فهو كقولك (يستلوكه عن الشهر الحرام قال به) وقوله (قتل أصحاب الأخنود ، النار) .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ والمراد شق الأرض بالغات . ثم ذكر تعالى عناية الواع من نبات :

(أولها) الحب : وهو المشد إليه بقوله ﴿لَنُثَبِّتَ فِيهَا جَبًّا﴾ وهو كل ما جدد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما ، وإنما قدم ذلك لأنه كالأصل في الأغذية .

(وثانيها) قوله تعالى ﴿وَعَيْنًا﴾ وإنما ذكره بعد الحب لأنه غذا من وجه وقاية من وجه .

(وثالثها) قوله تعالى ﴿وَقَضَبًا﴾ وفيه قولان .

(في الأول) أنه الرطبة وهي التي إذا بيست حبت بالفت ، وأمل سكة يسمونها بالقضب وأصله من القطع . وذلك لأنه يقضب مرة بعد أخرى . وكذلك القضب لأنه يقضب أي يقطع . وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل واختار الفراء وأبو عبيدة والأعمش .

(في الثاني) قاله نيزد القضب هو العاف يعينه . وأصله من أنه يقضب أي يقطع وهو قول الحسن .

(والرابع والخامس) قوله تعالى ﴿وَوَزِيرًا وَنَحْلًا﴾ وماضيما قد تقدمت في هذا الكتاب .

(وسادس) قوله تعالى ﴿وَحَدَّ آمِنًا غَلْبًا﴾ الأصل في الوصف بالغلب الرقاب والغلب الغلاظ إلا على الواحد أغاب ، يقال أسد أغاب ، ثم ههنا قولان :

(في الأول) أن يكون أفراد وصف كل حقيقة بأن شجورها متكاثرة متقاربة . وهذا قول جاهد ومقاتل قالوا الغلب كثرة الشجر بضمه في بعض ، يقال أغلوب العشب وأغلوبت الأرض إذا كثف عشبها .

وَفَاكِهَةٍ وَأَمَّا ۖ ﴿٦١﴾ مَتَاعًا لَّكَ وَلِأَعْمَلِكَ ۖ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ إِذَا جَاءَتْ أَنْصَاخَةٌ ۖ ﴿٦٣﴾ يَوْمَ

يُنْفَخُ السَّعِيرَةُ مِنْ أُنْحِيقِهِ ۖ ﴿٦٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ ﴿٦٥﴾ وَصَاحِبِ وَبْنِهِ ۖ ﴿٦٦﴾

(والتاني) أن يكون أفراد وصف كل واحد من الأشجار الغلظ والمظم . قال تعالى . عن ابن عباس يريد الشجر العظيم ، وقال المراد اللبب الماغلظ من اللخل . (وسابغة) قوله وفاكهة وقد استعمل بعضهم بأن الله تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على العنب والزيتون والخل وجب أن لا تدخل هذه الأشياء في الفاكهة . وهذا قريب من جهة الظاهر ، لأن المعطوف معار يتصرف عنه .

(والثاني) قوله تعالى وأما ، والآب هو المرعى . قال صاحب التفسير لأنه يوجب أن يؤم ويقصع ، والآب والام أخوان قال الشاعر :

جذعا قصير ونجد دارنا لنا الآب به والشكرع

وفيل الآب الفاكهة الشابة لأنها تزدهر للشدة أي تمتد ، وفناء ذكر الله تعالى ما يستلزم به الناس والحيوان . قال متاعاً لعمركم ولا تعلمكم . قال المراد خلقها منفعة ودية لكم ولا تعلمكم . وقال الزجاج هو منصوب لأنه مصدر مؤنكد قوله (فأينما) لأن إنباته هذه الأشياء لتتبع بلع الحيوان .

والمعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الأشياء وكان المقصود منها أموراً ثلاثاً : (أولها) الدلائل الدالة على التوحيد (وثانيها) الدلائل الدالة على القدرة على المعاد (وثالثها) أن هذا الإله الذي أحسن إلى عبده هذه الأنواع العظيمة من الإحسان . لا يهلك بالعاقل أن يتمرد عن طاعته وأن يشكك على عبده أنه هذه الخلقة بما يكون مؤكداً لمصدره فلا غرار وهو شرح لمعاني القيامة ، فإن الإنسان إذا سمعها خاف فبعد ذلك الخوف إلى التأمل في الدلائل والإيمان بها والإعراس عن الشكك ، ويدعو ذلك أيضاً إلى ترك الشكك على الناس ، وإلى إظهار التواضع إلى كل أحد فلا جرم ذكر القيامة :

عَلَى ۖ ﴿٦٧﴾ إِذَا جَاءَتْ أَنْصَاخَةٌ ۖ ﴿٦٨﴾ قَالَ الْمُسْرُونَ بَنِي صَبَاحَةِ الْقِيَامَةِ ۖ وَهِيَ الْفُتُوحَةُ الْآخِرَةُ ۖ قَالَ الزَّجَّاجُ أَصْلُ الصَّخْرِ أَفَاعَةُ الْغُرِّ وَصَدُكُ ۖ يَقَالُ صَحَّ رَأْسُهُ بِحَجَرٍ أَيْ شَدَّعَهُ وَالْغَرَابُ يَصْحُ بِغَفَارِهِ فَيَدْرُ الْبَعِيرُ أَيْ يَطْمَسُ ۖ هَذَا الصَّاحِبُ الْعَدْلُ كَمَا يَدْعُو صَوْتَهُ لِلْإِدَانِ ۖ وَذَكَرَ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَجْهًا آخَرَ فَقَالَ يَقَالُ صَحَّ خَدُّهُ مِثْلَ الصَّاحِ ۖ فَوَصَّاتُ الْعَبْدَةِ الصَّاحَةِ عَجْزاً ۖ لِأَنَّ النَّاسَ يَصْخَرُونَ هَذَا أَيْ يَسْتَعْمِرُونَ ۖ ثُمَّ إِنَّهُ فَقَالَ وَصَفَ هَؤُلَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ۖ يَوْمَ يَنفَخُ الْفُخْرُ ۖ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَلَهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۖ وَهِيَ مَسَائِلُ ۖ

لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٦٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٦٨﴾

صَاحِبَةٌ مُّتَبَشِّرَةٌ ﴿٦٩﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ يحتمل أن يكون الفرار من انفراد ما يشمر به ظاهره وهو الشبان والاولاد والسبب في ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة بالثبوتات . يقول الأخ ما واصلتني عاتك . والآخر ان يقولان قصرت في برأ . والصاحبة تقول اطمعني الخوام . وفعلت وصنعت . والذين يقولون ما نلتنا وما أزلنا ، وقيل أول من يفر من أخيه هابيل . ومن أبويه إبراهيم . ومن صاحبه نوح ولوط . ومن ابنه توح . ويحتمل أن يكون المراد من الفرار ليس هو التراجع . بل المعنى أنه يوم يفر المرء من عياله أحبه لا اهتمام ببناءه . وهو كقوله تعالى : [إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا] وأما الفرار من نصرته . وهو كقوله تعالى (يوم لا ينصى مولى شيئا) وأما ترك السؤال وهو كقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميما) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ المراد أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويتعجز بهم . وله يفر منهم في دار الآخرة . ذكروا في قاعدة الترتيب كأنه قيل (يوم يفر المرء من أخيه) بل من أبويه أباهما أقرب من الآخرين بل من الصحابة والوفد . لأن فلق القلب بهما أشد من تبعه بالآخرين . ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى (لكل أمرى منهم يومئذ شأن يغنيه) وفي قوله (يغنيه) وجعل (الأول) قال ابن قتية يغنيه أى بصرفه ويصدده عن قرايته وأفنده .

سيفيتك حرب بنى ذلك عن الضعف والجهل في المحفل

أى سيفيتك . ويحال أغنى عن وجهك أى أمره (الثاني) قال أهل المعاني يغنيه أى ذلك المزم الذى يسبب خاصة نفسه قد ملا صفوه . فلم يبق فيه منسج لم آخر . فصار شديداً بالغنى في أنه حصل غنائه من ذلك المملوك شئ . كثير .

وأعلم أنه تعالى لما ذكر حال يوم القيامة في الحول . بين أن المكلفين فيه على قسمين منهم العباد . ومنهم الاستعباد فوصف استعباد بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) هذا حكمه مستبشرة ﴿ مسفرة مفعلة متملة . من أسفر الصبح إذا أضاء . وعن ابن عباس من قيام الليل لما دوى من كثرت صلواته بالليل . حسن وجهه بالنهار . وعن الضحاك . من آثر الرصوة . وقيل من طول ما أغرت في سبل الله . وعندي أنه بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والرحمة صاحبه . قال الكلبي يعنى بالفراغ من الحساب مستبشرة فرحة بما نالت من كرامة الله ورضاه . وأعلم أن قوله مسفرة إشارة إلى الخلاص عن هذا العالم ونجاته الفخر الرازي . ج ٣ ص ٥

وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْفَعُهَا فِئْرَةٌ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ
الْفَجِرَةُ ﴿١٦﴾

وأما العناصير والمشيبره . فهما محمولتان على الفرة النظيرة والمعلية ، أو على وجدان النفعه ووجدان التعظيم .

ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترفعها فئرة ، أولئك هم الكفرة فجرة . قال المبرد الغبرة ما يصيب الإنسان من الغبار . وقوله (ترفعها) أى تدركها عن قرب ، كقولك زحفت الخيل إذا تحفته بسرعة . والزهرق عجلة أهلاك ، والفرة سواد كالدهان ، ولا يرى أوحش من اجتياح الغبرة وأنسواد فى لوجه . كما ترى وجوه الزنوج إذا اغبرت ، وكأن الله تعالى جمع فى وجوههم بين السواد والغبرة ، كما جمعا بين الكفر والفجور ، والله أعلم .

واعلم أن المرجنة والخوارج تمسكوا بهذه الآية . أما المرجنة فقالوا إن هذه الآية دلت على أن أهل النيران نسيان : أهل الثواب . وأهل العقاب . ودلت على أن أهل العقاب هم الكفرة . ونيت بلابل أن تضاق من أهل الصلاة ليسوا بكفرة . وإذا لم يكونوا من الكفرة كانوا من أهل الثواب ، وذلك يدل على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس له عقاب . وأما الخوارج فأنهم قالوا دلت سائر الدلائل على أن صاحب الكبيرة يعاقب . ودلت هذه الآية على أن كل من يعاقب فإنه كافر . فيلزم أن كل منسوب إليه كفر (والجواب) أكثر ما نى الباب أن المدكور ههنا هو هذا الفريقان ، وذلك لآية تسمى تقي الفريق الثالث ، والله أعلم ؛ واتخذ الله رب العالمين رحلته على سيد المرسلين محمد الذى وآله وصحبه أجمعين .



(١١) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ وَأَن تِلْكَ آيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا انشَاسُ كُوْرَتْ ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾

اعلم أنه تعالى ذكر اثني عشر شيئاً ، وقال : إذا وقعت هذه الأشياء فهناك (غلبت نفس ما أحصرت) (خلاؤن) قوله تعالى (إذا انشاس كورت) روي في مكور وسجان (أحدهما) التلخيص على جهة الاستدارة كشكور همهمة ، وفي الحديث : تعود باقه من الطور بعد مكوره أي من التلخيص بعد الألف والهمزة والقاف ، والكور والتكور واحد ، وسجيت كارة القصار كارة لانه يجمع نيابة في ثوب واحد ، ثم إن الشيء الذي يلق لاشك أنه بصير عتقياً عن الإعين ، فبصر هو زواقة القور عن جرم الشمس ونصير ما غائبة عن الأعين بالتكور ، ولهذا قال بعضهم كورت أي غمست ، وقال آخرون اكسفت ، وقال الحسن بن علي ضروها وقال المفضل بن سلة كورت أي ذهب ضروها ، كأنها استمرت في كارة (الوجه الثاني) في التكور يقال ككورت الحناط ودمورته إذا طرحته حتى يسط ، قال الأصمعي ، يقال طعنه فكوره إذا صرعه ، فقوته (إذا الشمس كورت ، أي انقبت ورميت عن القيث ، وفيه (قول ثالث) يروى عن عمر أنه لفظه مأخوذة من الفارسية ، فإنه يقال للأعشى كور ، وهما سؤالان :

(السؤال الأول) لارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (الجواب) بل على الفاعلية وانها فعل مضارع ، يفسره كورت لأن (إذا) ، يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط .

(السؤال الثاني) روي أن الحسن بن علي جلس بالنصرة إلى أبي سلة بن عبد الرحمن فحدث عن أبي هريرة أنه عليه السلام ، قال : إن الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة ، فقال الحسن ، وما ذنهما ؟ قال : إن أحدهما عز رسول الله فسكت الحسن . (والجواب) أن سؤال الحسن ساقط ، لأن الشمس والقمر جمادان فالقوهما في النار لا يكون سبباً لغمرتهما ، ولعل ذلك بصير سبباً لازماً لزيادة الحر في جهنم ، فيكون هذا الخبر على خلاف العقل

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ① وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ② وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ③
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ④

(الثاني) قوله تعالى ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ أى تناثرت ونسافت كما قال تعالى (وإذا النجوم انكدرت) والأصل فى الانكدار الإعتباب ، قال الخليل : يقال انكدر عنهم القوم إذا جؤأ أو سالا فاعتبروا عليهم . قال الكلى : تعطى نسبة يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم فى السماء إلا وقع على وجه الأرض ، قال عطاء ، وذلك أنها فى قنديل معلقة بين السماء والأرض يسلاسل من الدرر ، وتلك السلاسل فى أبدى الملائكة ، فإذا مات من فى السماء والأرض قد انطقت تلك السلاسل من أبدى الملائكة .

(الثالث) قوله تعالى ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ أى عن وجه الأرض كقوله (وسير الجبال فمكثت سراياً) أو فى الهواء كقوله (تمر مر السحاب) .

(الرابع) قوله ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ فيه قولان :

(القول الأول) المشهور أن (العشار) جميع عشرة كالتفاس فى جمع فساد . وهو الذى أتى على حالها عشرة أشهر ، ثم هو مسمّى إلى أن تضع لثام أخته ، وهو أنف ما يكون عند أهلها وأمرها عليهم ، و (عطلت) قال ابن عباس أمرها أنفها بما جاء من أمر الترم تقبلة ، وليس شئ أحب إلى العرب من الفوق الشواغل . وخوض العرب بأمر العشار لأن أكثر ما لها وعينها من الإبل . وانرض من ذلك ذهب الأموال وبطلان الأملاك ، واشتغال الناس بأنفسهم كما قال (يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم) وقال (لقد جئتمونا فرادى كما جئناكم أول مرة) . (والقول الثانى) أن العشار كتابة عن السحاب فمطك عما فيه من الماء ، وهذا وإن كان مجزئاً إلا أنه أشبه بآخر ما قبله ، وأيضاً فالعرب تشبه السحاب بالخالل ، قال تعالى (فافعلات وقرأ) .

(الخامس) قوله تعالى ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ أى كل شئ من نواب النيران لا يستأنس فهو وحش ، والجمع الوحوش ، و (حشرت) جمعت من كثر حاجة ، قال قتادة يحشر كل شئ حتى الدباب للقصاص . قال المعتزلة : إن الله تعالى يحشر الحيوانات كلها فى ذلك اليوم ليحضرها على ألامها التى وصات إليها فى الدنيا بأثام القتل وغير ذلك ، فإذا عرضت على تلك الآلام ، فإن شاء الله أن يبقى بعضها فى الجنة إذا كان مستحقاً فعل ، وإن شاء أن يغيبه عنها على ما يشاء به الخير ، وأما أصحابنا فندمهم أنه لا يجب على الله شئ بحكم الاستحقاق ، ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتصص لأجلهم من الفرداء ، ثم يقال ما دوى سموت ، والمرضى من ذكر هذه القصة بها وحده (أحدها)

وإذا البحار سجرت ﴿٦٩﴾

أنه تعالى إذا كثرت يوم القيامة يحترق كل الحيوانات أظهاراً للعدل ، فكيف يجوز مع هذا أن لا يحترق المكلفين من الإنسان والجن ؟ (الثاني) أنها تجمع في موقف القيامة مع شدة نقرتها عن الناس في الدنيا وتبدها في الصحارى ، فدل هذا على أن اجتماعاً إلى الناس ليس إلا من هول ذلك اليوم (والثالث) أن هذه الخبرات بعضها غذاء لبعض ، ثم أنها في ذلك اليوم تجمع ولا يتعرض بعضها لبعض ، وما ذلك إلا لشدة هول ذلك اليوم ، وفي الآية (قول آخر) لأن عبال وهو أن حشر الوحوش عبارة عن موتها ، يقال - إذا أجهت السنة بالناس وأموالهم - حشروهم السنة ، وقرئ - حشروهم بالتشديد .

(السادس) قوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قرئ - بالتخفيف والتشديد ، وفيه وجه : (أحدهما) أن أصل الكلمة من جريت التنزير إذا أوقعتها ، ونشئ ، إذا وقد فيه تشعب ما به من الرطوبة ، فينبذ لا يبق في البحار شيء من المياه السائلة ، ثم إن الجبال قد سيرت على ما قال (وسيرت الجبال) وجرئت تصير البحر والأرض شيئاً واحداً في غابة الحرارة والإحراق ، ويحتمل أن تكون الأرض لما انفصلت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال ، ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرقت أجزاءها وصارت كالتراب رفع ذلك الغراب في أسفل الجبال ، فصار وجه الأرض مغروباً مع البحر ، وبصر الكل ببحراً مديجوراً (وثانيها) أن يكون (سجرت) بمعنى (جريت) وذلك لأن بين البحار حاجزاً على ما قال (مرج البحرين يلتقيان) بينهما برزخ لا يبغيان) فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض ، وصارت البحار ببحراً واحداً ، وهو قول آكل (وثالثها) (سجرت) أوقدت ، قال القفال : وهذا الأول محتمل وجوهاً (الأول) أن تكون جهنم في قعر البحار ، فهي الآن غير مسجورة لقيام الدنيا ، فإذا انتهت مدة الدنيا وأصل الله تأثير تلك الثيران إلى البحار ، فصارت بالكيفية مسجورة بسبب ذلك (والثاني) أن الله تعالى بلى الشمس والقمر والكواكب في البحار ، فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك (والثالث) أن يخلق الله تعالى بالبحار نيراناً عظيمة حتى تغشى تلك المياه ، وأقول هذه الوجوه متكلمة لا حاجة إلى شيء منها ، لأن القادر على تحريق الدنيا وإفادة القيامة لا بد وأن يكون قادراً على أن يفعل بالبحار ما شاء من تسخين ، ومن قاب مباحها نيراناً من غير حاجة منه إلى أن يخلق فيها الشمس والقمر ، أو يكون تحتها نار جهنم .

واعلم أن هذه الملامات التي يمكن وقوعها في أول زمان تحريق الدنيا ، ويمكن وقوعها أيضاً بعد قيام القيامة ، وليس في اللفظ ما يدل على أحدهما الاختلاص ، أما السنة الثانية فإنها مختصة بالقيامة .

وإذا النفوس زوجت ﴿٥﴾ وإذا الموءمة سئلت ﴿٦﴾ بأي ذنب قتلت ﴿٧﴾

(تاسع) قوله تعالى ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ وفيه وجوه (أحدها) قرنت الأرواح بالأجساد (وثانيها) قال الحسن يصيرون بها ثلاثة أرواح كما قال (وكنتم أرواحاً ثلاثة ، بأصحاب الجنة ما أصحاب الجنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والساجون الساجون) (وثالثها) أنه يضم إلى كل صنف من كان في طبقة من الرجال والنساء ، فيضم إليهم الميز في الطاعات إلى مثله ، والمتوسط إلى مثله وأهل المصيبة إلى مثله ، فالزوج أن يجرن الشيء مثله ، والمعنى أن يضم كل واحد إلى طبقة في الخير والشر (ورابعها) يضم كل يجرن إلى من كان يلزمه من ذلك وساطع كما قال (احشروا الذين ظفروا أزواجهم) قيل فزادهم من المتحابين (وخامسها) قال ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالظهور المحض وقرنت نفوس الكافرين بالباطن (وسادسها) قال كل امرئ بشيئته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني ، وقد ورد فيه خبر مرفوع (وسابعها) قال الزجاج قرنت النفوس بأفعالها . وأعلم أنك إذا تأملت في الآيات التي ذكرناها أسكتك أن تريد عليها ما شئت .

(الثامن) قوله تعالى ﴿ وإذا الموءمة سئلت ﴾ أي ذنب قتلت ﴿ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ وأدبه مقرب من آدم يثود أوداً نقل قال تعالى (ولا يؤوده حفظهما) أي يثقله ، لأنه يقال القرب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بغا حيايتها أنيساجية من صرف أو شمر لثري له الإبل والثمن في البادية ، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت ثلثي سنة أتيها فيقول لأبها طيبها وزيدتها حتى أذهب بها إلى أقاربها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها ذل البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدهسها من خلقها ويهسل عليها التراب حتى يستوى البئر بالأرض ، وقبل كانت الحامل إذا قربت جعرت حفرة فدهست على رأس الحفرة غلظاً ولدت بنت رمتها في الحفرة ، وإذا ولدت ابناً أسكتته ، وهما سؤالان :

(سؤال الأول) ما الذي حمله على راد البنات ؟ (الجواب) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهم أو الخوف من الإهلاك ، كما قال تعالى (ولا تظنوا المولودكم حشياً إلهياً) وكأروا يقولون إن الملائكة بنات الله فأنفروا بنات الملائكة . وكان مصدق بن باجة عن منع أنوار فاذخر القريظي به في قوله :

وما الذي منع الملائكة فأجبا الوعيد فلم تواد

(السؤال الثاني) فما مدى سؤال الموءمة عن ذنبها الذي قتلت به . وهل مثل الواحد من موجب قتله لها ؟ (الجواب) سألها وجوابها تيكيت لقائلها ، وهو كتيكيت الصلوي في قوله

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَبَابِيزُ سُحِرَتْ

﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾ عَلَيَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ﴿١٤﴾

لعيسى (أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ أَنْتَ نَفْسٌ تَخْذُلُ) وأى إلهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن
أقول ما ليس لى بحق .

﴿ المسئلة الثانية ﴾ فرى - سألت ، أى خاضعت عن نفسها ، وسألت الله أو قائلها ، وقرى .
قلت بالتشديد ، فإن قيل اللفظ المطلق أن يقال (سألت بأى ذنب قلت) ومن قرأ سألت فلفظها
أن يقرأ (بأى ذنب قلت) فإ الوجه فى القراءة المشهورة ؟ قلنا (الجواب) من وجهين (الأول)
تقدير الآية : وإذ الموقودة سئلت [أى سئل] الواقدون عن أحوالها بأى ذنب قلت (والثانى)
أن الإنسان قد يسأل عن حال نفسه عند المعاناة بلفظ المعاناة ، كما إذا أردت أن تسأل زيدا ع
حال من أحواله ، تقول : ماذا فعل زيد فى ذلك المعنى ؟ ويكون زيد هو المسئول ، وهو المسئول
عنه ، فكذا هنا .

(التاسع) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ فرى بالتخفيف والتشديد يريد الصحف
الاعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ، ثم تشر إذا حوسب : ويحوز أن يراد نشرت بين
اصحابها : أى فرغت بينهم .

(العاشر) قوله تعالى ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ أى كسخت وأزيلت عافوها ، وهو الجنة
وعرش الله ، كما يكشط الإهاب عن اللدبجة ، ونظما عن النبي ، وقرأ ابن مسعود : كُشِطَتْ ،
واختلاف القافى والكانى كثير ، يقال بسكت الزيد وابفته . وقال كاور والقافور . قال القراء :
زعت فطريت .

(الحادى عشر) قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْجَبَابِيزُ سُحِرَتْ ﴾ أو قدت [قناداً شديداً] ، وقرى سمرت
بالتشديد لتبالة ، قبل سمرها غضب الله ، وخالباً بن آدم ، واحتج بهذه الآية من قال : السائر
غير مخلوق الآن ، قالوا لا يدل على أن سميرها سلق يوم القيامة .

(الثانى عشر) قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْزِلَتْ ﴾ أى أدنيت من المتقين ، كقوله (وأزلفت
الجنة للمتقين) .

وما ذكر الله تعالى هذه الأمور الإلهية عشر ذكر الجزاء المرتب على الشروط التى هو مجموع
هذه الأشياء ، قدل ﴿ علّت نفس ما أحضرت ﴾ ومن المعلوم أن العمل لا يمكن إحضاره ، فالمراد
إذن ما أحضرته فى صحائفها ، وما أحضرته عند الحاسبة ، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال ،
والمراد ما أحضرت من استحقاق الجنة والنار (وإن قيل) كل نفس تلم ما أحضرت ، لقوله

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ۝

(يوم نجد كل نفس ما عملت من غير محضراً) فامعني قوله (علت نفس) ؟ قلنا (الجواب) من وجهين (الأول) أن هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإضراب ، وإن كان اللفظ موضوعاً للقليل ، ومنه قوله تعالى (ربما يرد الذين كفروا) كن يسأل بأسلاً مسألة ظاهرة ويقول هل عندك فيها شيء ؟ فيقول وربما حضري ، وخرجه الإشارة إلى أن عباده في تلك المسألة مالا يقول به غيره . فكلنا هنا (ثاني) لعل الكفار كانوا يتهمون أنفسهم في الأشياء التي يعتقدونها طاعات ثم بدأ لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الآية .

قوله تعالى : (فلا أقسم بالخنس ، الجوارى الكنس) في الكلام في قوله (لا أقسم) قد تقدم في قوله (لا أقسم يوم القيامة) . (والخنس ، الجوارى الكنس) فيه قولان (الأول) وهو المشهور الظاهرة أنها النجوم الخنس جمع خانس ، والخنوس والانتخاض والاستخفاف ، تقول خنس من بين القوم والخنس ، وفي الحديث «اليطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس» أي انقبض ولذلك سمي الخناس (والكنس) جمع كنس وكافسة يقال كنس إذا دخل الكناس وهو بمنزلة الرمح يقال كنس الخطيئة في كنسها ، وتمكنت المرأة إذا دخلت ورد بها فشب بالظلي إذا دخل الكناس . ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنسها على ثلاثة أوجه (الأول الأخير) أن ذلك إشارة إلى وجوع الكواكب الحية السيارة واستقامتها ورجوعها هو الخنوس وكنسها اختفائها تحت ضوء الشمس ، ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة بلهزة (القول الثاني) ما روى عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل أنها هي جميع الكواكب ونحوها عبارة عن غيريتها عن البصر في النهار وكنسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل أي أظهر في أماكنها كالروحش في كنسها (والقول الثالث) أن السبعة السيارة تختلف مظاهرها ومعاربها على ما قال تعالى (وب المشاري والمغارب) ولا شك أن فيها مظهر واحد ومغرباً واحداً أقرب المظالم والمغارب إلى سمت رؤوسنا ، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المظلم إلى سائر المظالم طول السنة ، ثم ترجع إليه فتموسها عبارة عن تباعدا عن ذلك المظلم ، وكنسها عبارة عن صودها إليه . فهذا يحمل على القول الأول يكون القسم واقعاً بالحيرة ، وعلى القول الثاني يكون القسم واقعاً بجميع الكواكب وعلى هذا الاحتمال الذي ذكره يكون القسم واقعاً بالسبعة السيارة واقعاً أتم براده . (والقول الثاني) أن (الخنس الجوارى الكنس) وهو قول ابن مسعود والنخعي أنها بمنزلة الروحش ، وقال سعيد بن جبير هي الخطيئة ، وعلى هذا الخنس من الخنس في الاعتق وهو تعبير في الألفاظ غير الخطيئة لأنها على هذه الصفة (والكنس) جمع كنس وهي التي تدخل الكناس والقول هو الأول ، والدليل عليه أمران :

وَأَنبِلَ إِذَا عَسَعَسَ ﴿٧٣﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿٧٤﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٧٥﴾

(الاول) أنه قال بعد ذلك ﴿والليل إذا عسعس﴾ وهذا النجوم البقي منه بقدر الوحش ،
(الثاني) أن محل قسم الله تعالى كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى . ولا شك أن الكواكب
أعلى رتبة من بقدر الوحش .

(الثالث) أن (العسعس) جمع عانس من العنوس ، وإما جمع غنسا وأعنس من العنوس
عنس بالسكون والتخفيف ، ولا يقال العنس فيه بالتشديد إلا لأن يسهل العنس في الرحبة
أجسام من العنوس وهو اختلاؤها في الكناس إذا غابت عن الأعين .

قوله تعالى : ﴿والليل إذا عسعس﴾ ذكر أهل اللغة أن عسعس من الأضداد . يقال عسعس
الليل إذا أقبل ، وعسعس إذا أدبر ، وأنشدوا في ورد وما معنى أدبر قول العجاج :

حتى إذا الصبح لما نتما وأنجاب عنها ليلها وعسما
وأنشد ابن عبيد في معنى أقبل :

مدرجات الليل لما عسما

ثم منهم من قال المراد هنا أقبل الليل ، لأن على هذه التدبير يكون القسم وأنما بأفعال الليل
وهو قوله (إذا عسعس) وبإدباره أيضاً وهو قوله (والصبح إذا تنفس) ومنهم من قال بل المراد
(أدبر) وقوله (والصبح إذا تنفس) أي امتد ضوءه وتكامل ضوؤه (والليل إذا عسعس) إشارة
إلى أول طلوع الصبح ، وهو مثل قوله (والليل إذا أدبر) ، والصبح إذا أسفر) وقوله (والصبح
إذا تنفس) إشارة إلى تكامل طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار .

وأما قوله تعالى ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أي إذا أسفر كقوله (والصبح إذا أسفر) ثم في كيفية
البحار قولان :

(أحدهما) أنه إذا أقبل الصبح أقبل بأفعاله روح ونسيم ، لجعل ذلك قسماً له على البحار .
وقبل تنفس الصبح .

(والثاني) أنه شبه الليل المظلم بالكروب الممزون الذي جالس بحيث لا يتحرك ، واجتمع
الحرور في قلبه ، فإذا تنفس وجد راحة . فهنا لما طلوع الصبح فكأنه تخلص من ذلك المزن فبعثته
بالتنفس وهو استمارة لطيفة .

واعلم أنه تعالى لما ذكر القسم به أتبعه بذكر القسم عليه فقال ﴿إنه لقول رسول كريم﴾
وفيه قولان :

(الاول) وهو المشهور أن المراد أن القرآن نزل به جبريل : فإن قيل : هنا إشكال قوی
وهو أنه حذف أنه قول جبريل : فوجب علينا أن نضدعه في ذلك ، فإن لم نضدعه فوجب حمل

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٧٠﴾ مَطَاعٌ نَّمَّ

الخط على الظاهر، فلا أقل من الاحتمال، وإذا كان الأمر كذلك ثبت أن هذا القرآن بمنزل أن يكون كلام جبريل لا كلام الله، وبغدير أن يكون كلام جبريل يخرج عن كونه معجزاً، لاحتمال أن جبريل أتاه إلى محمد ﷺ على سبيل الإلهال، ولا يمكن أن يجاب عنه بأن جبريل معصوم لا يضل الإلهال، لأن العلم بصحة جبريل، مستفاد من حديث النبي، وحديث النبي مفعول على كون القرآن معجزاً، وكون القرآن معجزاً يفرغ على صحة جبريل، فيلزم الدور وهو محال (والجواب) الذين قالوا بأن القرآن إنما كان معجزاً للمعصية، إنما ذهبوا إلى ذلك المذهب ورأوا من هذا السؤال، لأن الإيجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة، بل في سلب تلك القديوم والسوابع عن القول، وذلك مما لا يغني عنه أحد إلا الله تعالى.

(القول الثاني) أن هذا الذي أخبركم به محمد من أمر الالهة على ما ذكر في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا احتمال، إنما هو قول جبريل أنه به وحياً من عند الله تعالى، واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ست (أولها) أنه رسول ولا شك أنه رسول الله إلى الأنبياء فهو رسول وجميع الأنبياء أمته، وهو المراد من قوله (ينزل الملائكة بالروح من أمر على من يشاء من عباده) وقال (نزل به الروح الأمين على قلبك) (وثانيها) أنه كريم، ومن كرمه أنه يعطى أفضل المطايا، وهو المعربة والهداية والإرشاد.

(وثالثها) قوله ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ ثم منهم من حمل على القوة، روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل وذكر الله فقلت، فإذا بلغت قال رفعت قربات فوم لوط الأربع على أقدام جناح حتى إذا سمع أهل السماء نباح المكاب وأصوات اندجاج قلبها، وذكر مقاتل أن شيطاناً يقال له الأبيض صاحب الأنبياء قصد أن يفتن النبي ﷺ فدفعه جبريل دفعة رفيقة وقع بها من مكة إلى أقصى الهند، ومنهم من حمل على القوة في أنه طاعة الله وترك الإجلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان للتكليف، وعلى القوة في سرقة الله وفي مطاعة جلال الله.

(ورابعها) قوله تعالى ﴿عند ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ وصفه العتبة ليست عتبة المكان، مثل قوله (ومن عنده لا يستكبرون) وليست عتبة الجمة بدليل قوله «أنا عند الشجرة خلوجهم» بل عتبة الإكرام والتشريف والتعظيم. وأما (مكين) فقال الكشاف يقال قد مكى فلان عند فلان بمعنى السكاف مكناً ومكناً، فملى هذا المكين هو ذو الجاه الذي يعطى ما يسأل.

(وخامسها) قوله تعالى ﴿مَطَاعٌ نَّمَّ﴾ اعلم أن قوله (نم) إشارة إلى الضرب المذكور أعني (عند ذِي الْعَرْشِ) والمعنى أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى ربه، وفريء (نم) تعظيماً للأمانة وبياناً لأنها أفضل صفاته المعصومة.

أَمِينٌ ﴿٦٧﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٦٨﴾ وَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُنْفِ الْمُنِيرِ ﴿٦٩﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
 أَنْفَيْهِ بِصَبِيرٍ ﴿٧٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيسٍ ﴿٧١﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٧٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
 ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٣﴾

(وسادسا) قوله ﴿أَمِينٌ﴾ أى هو (أَمِين) على وحي الله وبرسالته ، قد عصمه الله من
 الخيانة والزلل .

ثم قال تعالى ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ واحتج بهذه الآية من فصل جبريل على محمد صلى الله
 عليه وسلم فقال إنك إذا وأوتيت بين قولك وإياه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ،
 مطاع ثم أمين (وبين قوله (وما صاحبكم بمجنون) ظهر الذوات العظم (وأنشد رآه بالأنف المين) (م
 يعنى حيث نطلع الشمس في قول الجبرم ، وهذا مفسر في سورة الزمزم (وما هو على الغيب بصير) (م
 أى وما محمد (على الغيب ظنين) والغيب هنا القرآن وما فيه من الآيات ، والخصم والظنين المتهم
 يقال ظننت زيدا أى سئى انتمه ، وأيس من الظن الذى يتردى إلى مذهبين ، والمضى ما محمد على
 القرآن بهم أى حوالة فيما يؤدى عن الله ، ومن قرأ بأضداد فهو من البخل يقال مننت به أضد
 أى بخلت ، والمضى ليس ببخل فيما أنزل الله ، قال الفراء يأبى غيب السماء ، وهو شئ خفى
 فلا يبخل به عليكم ، وقال أبو على الفارسي المضى أنه بحر بالنيب غيبته ولا يكتمه كما يكتم الكاهن
 ذلكم يمنع من إعلانه حتى يأخذ عليه حلوا ، واختار أبو عبيد القزعة الأول لوجهين : (أحدهما)
 أن الكفار لم يخطوه ، وإنما اتهموه فى اتهمه أولى من نى البخل (وثانيها) قوله (على الغيب)
 ولو كان المراد البخل لقال بالغيب لأنه يقال فلان منين بكذا ونها يقال على كذا .

ثم قال تعالى ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ كان أهل مكة يقولون : إن هذا القرآن يحى به
 شيطان فلبئس على لسانه ، فنى الله ذلك ، فإن قيل القول بصحة النبوة موقوف على نى هذا
 الاحتمال ، فكيف يمكن نى هذا الاحتمال بالذوق السمعى ؟ (قلنا) بينا أن على القول بالصحة
 لا تتوقف صحة النبوة على نى هذا الاحتمال ، فلا جرم يمكن نى هذا الاحتمال بالدليل السمعى .
 ثم قال تعالى ﴿فأين تذهبون﴾ وهذا استعجال لهم يقال لتارك الجادة اعتذرا ، أين تذهب ؟
 منلت سالم بحالة في تركهم الحق وعذلوهم عنه إلى الباطل ، والمضى أى طريق تأسكون أبين من
 هذه الطريقة التى قد بينت لكم ، قال الفراء : العرب تقول إلى أين تذهب وأين تذهب ، وتقول
 ذهبت الشام وانطلقت السوق ، واحتج أهل الاعتزال بهذه الآية وجوه فاهرا .

ثم بين أن القرآن ما هو ، فقال ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى هو بيان وحداثة لخلق جميع

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٦٦﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

ثم قال ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ وهو بدل من العالمين ، والتقدير : إنه هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم . وقائدة هذا الإبدال أن الذين شازوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر ، فكأنه لم يوحظ به غيرهم ، والمعنى أن القرآن إنما ينفع به من شاء أن يستقيم ، ثم بين أن مشيئة الاستقامة موقوفة على مشيئة الله .

فقال تعالى ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي إلا أن يشاء الله تعالى أن يعطيه تلك المشيئة ، لأن فصل تلك المشيئة صفة عديمة فلا بد في حصولها من مشيئة أخرى فيظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة ، وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة . والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء ، فأصل العباد في طرفي ثبوتها وانتفاءها ، موقوفة على مشيئة الله وهذا هو قول أصحابنا ، وقول بعض المعتزلة إن هذه الآية مخصصة بمشيئة الفهم والإيجاد ضيق لأننا بينا أن المشيئة الاختيارية هي حادث ، فلا بد له من حادث فيترقب حدوثها على أن يشاء بحسبها لإيجادها ، وسيقتد بعزم الإلزام ، والله أعلم بالصواب .



(٨٢) سُورَةُ الْاِنْفَاتَارِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيُّهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ② وَإِذَا
الْجِبَالُ فَجُورَتْ ③ وَإِذَا الْبُحُورُ بُعْثِرَتْ ④ غَشِيَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ، غشيت نفس ما قدمت وأخرت ﴿

اعلم أن المراد أنه إذا وقعت هذه الأسماء التي هي أشراط الساعة ، فذاك يحصل الحشر والتشر ، وفي تفسير هذه الآيات مقامات (الأول) في تفسير كل واحد من هذه الأشياء التي هي أشراط الساعة وهي هنا أربعة ، إثنان منها تنلق بالملوكيات ، وإثنان آخران تنلق بالسلطات (الأول) قوله (إذا السماء انفطرت) أي انشقت وهو كقوله (ويوم تشقق السماء بالعام) ، (إذا السماء انشقت) ، (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) ، (وفتحت السماء فكانت أبواباً) (والسماء منفطرة) قال الخليل : ولم يأت هذا على الفعل ، بل هو كقوله مرضع وسائغ ، ولو كان على الفعل لكان منطوية كما قال (إذا السماء انفطرت) أما الثاني فهو قوله (وإذا الكواكب انتثرت) فاعني ظاهراً لأن عند انقراض تركيب السماء لا بد من انقار الكواكب على الأرض .

واعلم أنا ذكرنا في بعض الشروحة المقدمة أن الفسلفة يشكرون إمكان الحرق والانثام على الأسملاك ، ولذا قلنا على إمكان ذلك أن الأجسام متاثرة في كونها أجساماً ، فوجب أن يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر ، وإنما قلنا إنها متاثرة لأنه يصح نسبها إلى السابوية والأرضية ومرد انقسم مشترك بين القسمين ، فالملوكيات والسلطات مشتركة في أنها أجسام ، وإنما قلنا إنه متى كان كذلك وجب أن يصح على العلويات ما يصح على السفليات ، لأن المتشابهات حكمها واحد فلي يصح حكم على واحد منها ، وجب أن يصح على الباقي ، وأما الإثنان السفليان : (فأحدهما) قوله (وإذا البحار فجرت) وفيه وجوه (أحدهما) أنه يفد بعض البحار في البعض بارتفاع الماحز الذي جهده الله برزخاً ، وجبئذ يصير الكل بحراً واحداً ، وإنما يرتفع ذلك

المخاض لزلزال الأرض وأصددها (وثانيها) أن سياء البحار الآن راكدة عتمة ، فإذا جرت تفرقت وذوب ماؤها (وثالثها) قال الحسن لجرت أي بعت .

واعلم أن على الوجوه الثلاثة ، فالمراداء تنفير البحار عن صورها الأصلية وصفها ، وهو كما ذكر أنه تنفير الأرض عن صفها في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) وتنفير الجبال عن صفها في قوله (ضل بسفها ربي أسفاً ، فينزعها قاهماً مفضفاً) (ورابعها) قرأ بعضهم (لجرت) بالتخفيف ، وفراً بجاءه (جرت) على ثلث الفاعل والتخفيف ، بمعنى بكت لزوال البرزخ فطراً إلى قوله (لا يبينان) لأن البنى والمجود آخران .

(وأما الثاني) قوله (وإذا القيور بعثرت) فاعلم أن بعث وبعث بمعنى واحد ، ومركبان من البعث والبعث مع راء مضمومة إليهما ، والمضى أثبت وذهب أسفلها وأعلىها ظاهرها ، ثم منها وسكان (أحدهما) أن القيور تسمى ما يخرج عاقبها من الموقى أحياء ، كما قال تعالى (وأخرجت الأرض أنفاها) (والثاني) أنها تسمى لإخراج ما في بطنها من الذهب والفضة ، وذلك لأن من أشرط الباعة أن تخرج الأرض أفلاذ كدها من ذهبها وفضتها ، ثم يكون بعث ذلك خروج أفروق ، والاول أقرب ، لأن دلالة القيور على الاول أهم .

(المقام الثاني) في فائدة هذا الترتيب ، واعلم أن المراد من هذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا ، وانقطاع التشاكيف ، والدماء كالذهب ، والأرض كالبلد ، ومن أراد تخريب دار ، فإنه يبدأ أولاً بتخريب النفس ، وذلك هو قوله (إذا الدنيا انفضت) ثم يلزم من تخريب السماء اختار الكواكب ، وذلك هو قوله (وإذا الكواكب انتثرت) ثم إنه تعالى بدء تخريب السماء وانكسار كواكب تخرب كل ما على وجه الأرض وهو قوله (وإذا البحار فجرت) ثم إنه تعالى يخرب آخر الأمر الأرض على هيالها ، وذلك هو قوله (وإذا القيور بعثت) فإنه إشارة إلى قلب الأرض خيراً لبيان ، وإبطاً نظره .

(المقام الثالث) في تدوير قوله (علمت نفس ما قدمت وأخرت) وفيه احتمالان (الاول) أن المراد بهذه الأمور ذكر يوم القيامة ، ثم فيه وجوه (أحدها) وهو الأصح أن المقصود منه الزجر عن المصيبة ، والفرغيب في الطاعة ، أي يعلم كل أحد في هذا اليوم ما قدم ، فلم يقصر فيه وما أخر ففصر فيه ، لأن قوله (ما قدمت) يقتضي فعلاً ، (ما أخرت) يقتضي تركاً ، فهذا الكلام يقتضي فعلاً وتركاً ، فمقصوداً وتوقيراً ، فإن كان قدم الكثير وأخر الصالح فأولاه الجنة ، وإن كان قدم الصالح وأخر الكثير فأولاه الجنة (وثانيها) ما قدمت من عمل أدخله في الوجود وما أخرت من سنة سئنا حساً من بعده من خير أو شر (وثالثها) قال الضحاك ما قدمت من الفرائض وما أخرت أي ما مضت (ورابعها) قال أبو مسلم ما قدمت من الأعمال في أول عمرها وما أخرت في آخر عمرها ، فإن قيل وفي أي موقف من مواضع القيامة يحصل هذا العلم ؟ قلنا أما

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

الاسم الإبراهيمي يحصل في أول زمان الخلق . لأن القطيع يرى آثار السعادة ، والعاصي يرى آثار
الشقاوة في أول الأمر . ولما علم التفصيل ، فادبا يحصل عند قراءه الكتاب والخاتمة .

(الاحتمال الثاني) أن يكون المراد قبل قيام القبة بل عند ظهور أشرار الساعة واضطراب
التكاليف ، وحين لا ينفع العدل بعد ذلك كقول (لا ينفع نساء ربنا لم تكن آتت من فضل
أو كسبت في إيماننا غيراً) فيكون ما عمله الإنسان إلى تلك الخيبة ، هو أول أصابه وآخرها ،
لأنه لا عمل له بعد ذلك ، وهذا القول ذكره القفال .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

اعلم أنه سبحانه لما أشر في الآية الأولى من وفور الخسر والخسر ذكر في هذه الآية ما يدل
عقلاً على إمكانه أو على وقوعه . وذلك من وجهين (الأول) أن الإله الكريم الذي لا يجوز
من كرمه أن يقطع موافقه عنه عن المؤمنين ، كيف يجوز في كرمه أن لا يقطع لغيرهم من الظالمين ؟
(الثاني) أن القادر الذي خلق هذه البنية الإنسانية ثم سولها وعدلها ، إما أن يقال إنه خلقها لا
لحكمة أو لحكمة ، فإن خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثاً ، وهو غير جائز على الحكيم ، وإن خلقها
لحكمة ، فذلك الحكمة ، إما أن تكون عائنة إلى الله تعالى أو إلى العبد ، والاول باطل لأنه سبحانه
متعالى عن الاستئصال والانتفاع . فحين الثاني ، وهو أنه خلق الخلق لحكمة عائنة إلى العبد . وذلك
الحكمة إما أن تظهر في الدنيا أو في دار سوى الدنيا . والاول باطل لأن الدنيا دار بلاء
وامتحان ، لا دار الانتفاع والجزاء . ولما بطل كل ذلك ثبت أنه لا بد بعد هذه الدار من دار
أخرى ، ثبت أن الاعتراف بوجود الإله الكريم الذي يقدر على الخلق والتقسيم والتعديل
يوجب على العاقل أن يقطع بأنه سبحانه يبعث الأموات ويحشرهم ، وذلك ينقسم من الاعتراف
بعدم الخسر والخسر . وهذا الاستدلال هو الذي ذكره الله في سورة النجم حيث قال (لقد خلقنا
الإنسان في أحسن تقويم) إلى أن قال (فإذكركم وعد بالدين) وهذه الحاجة تصلح مع العرب
الذين كانوا مقربين بالصانع وينكرون الإعادة ، وتصلح أيضاً مع بني الإندلس والإعادة سبباً ، لأن
الخلق المعدل يدل على الصانع وبأسطه يدل على صحة القول بالخسر والخسر . فإن قيل بئس هذا
الاستدلال على أنه تعالى حكيم . والله قال في سورة النجم بعد هذا الاستدلال (أليس الله بأحكم
الحاكمين) فكان يجب أن يقول في هذه السورة : ما غرك بربك الحكيم (الجواب) أن تكريم

يجب أن يكون حكماً ، لأن يوصل النعمة إلى الغير لو لم يكن مبنياً على داعية الحكمة لكان ذلك تفضيلاً لا كرمياً . أما إذا كان مبنياً على داعية الحكمة فيثبت يسمى كرمياً ، إذ أنت هذا المغلول : كونه كرمياً يدل على وقوع الخشر من وجهين كما قرأناه . أما كونه حكماً فله بدل على وقوع الخشر من هذا الوجه الثاني ، فكان ذكر الكرم هنا أولى من ذكر الخشيم ، هذا هو تمام الكلام في كيفية نظم ، ونرجع إلى التفسير . أما قوله (يا أيها الإنسان) فيه قولان (أحدهما) أنه فكافر ، لقوته من بعد ذلك (كما على الكذابين بالحق) وقال عطاء بن أن عيسى : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقال السكلي ومقاتل : نزلت في ابن الأسد بن كاهن بن أمية ، وذلك أنه حرب الذي ^{نزل} فلم يذبحه الله تعالى ، ولم يؤمن هذه الآية (وهو قول الثاني) أنه ينزل جميع العصاة وهو الأقرب ، لأن خصوص السب لا يندرج في عموم المنطق . أما قوله (ما غرك ربك أنك كرم) فالمراد الذي غدرتك وحولك أن تطاع حتى تركت الواجبات وأتيت الخوارق ، والشعور بالذي أشك من عقابه . يقال غره مدان إذا لم يحذور من جهته مع أنه غير مأمن ، وهو كقوله (لا ينزلكم بالغر الغرور) هذا إذاً هذا قوله (يا أيها الإنسان) على جميع العصاة ، ولما إذا حاله على ذلك الكافر . فالمراد الذي دعاك إلى الكفر والحداد بالرسول ، وإنكار الخشر والنشر ، وهما من ذوات

(الأول) أن كونه كرمياً يقتضي أن يعتبر الإنسان بكرمه من فعل المفعول والمفعول ، أما المفعول فهو أن الجود إضافة ما ينسى لا العرض ، السب كان الخوف تدفق حواشياً مطلقاً لم يكن مستحيلاً ، ومنى كان كذلك استمرى عنه طاعة المتعبدين ، ونصبان للدين ، وهذا يوجب الاعتزاز لأنه من البعد أن يقدم شعري على إيلام الخفيف من عرانة أصلاً ، ولما لم يزل هو يروي عن علي عليه السلام ، أنه دعا غلامه حريراً فلم يجبه ، فنظر فإذا هو بالسب ، فقال له : ألم تعلم ؟ فقال لعلي بك ، وأنت من عقوبتك ، فاستجبت حراً ، وأعتقه ، وقالوا أيضاً : من كرم الرجل سر ، أدب غشاه ، ولما ثبت أن كرمه يقتضي الاعتزاز به ، فكيف جعله هنا مدافعاً عن الاعتزاز به ؟ (والجواب) من وجوه (أحدها) أن معنى الآية أنك لما كنت ترى حلم الله على خلقه طابت أن ذلك لأنه لا حساب ولا دار إلا هذه الدار ، فما الذي دعاك إلى هذا الاعتزاز ، وحرارك على إنكار الخشر والنشر ؟ فإن ربك كريم ، فهو لكرمه لا يماحى بالمعقوبة بسطاً في مدة التوبة ، وتأخيراً للجزاء إلى أن يجمع الناس في الدار التي جعلها لهم للجزاء ، فالخاص أن ترك المعاهدة بالمعصية لأجل الكرم ، وذلك لا يقتضي الاعتزاز بأنه لا دار بعد هذه الدار (والثاني) أن كرمه هنا بلع إلى حيث لا يمنع من المعاصي موانع أصلاً ، فلما يشتم المظلوم من الظالم ، كان أولى بترك كرمه كرمياً يقتضي الخوف الشديد من هذا الاعتزاز ، وترك الجزاء والاعتزاز (والثاني) أن كثرة الكرم توجب الجود والاجتهاد في الخدمة والاسجاء من الاعتزاز والولاء (ورابعها) قال بعض الدرس

(يا قائل ربك الكريم) ليكون ذلك جواباً عن ذلك السؤال حتى يحول غرك كرمك ، ولولا كرمك لما فعلت لذلك رأيت فدترت ، وفدتت فأملت ، وهذا الجواب لما يصح إذا كان المراد من قوله (يا أيها الإنسان) ليس الكفار .

(السؤال الثاني) ما الذي ذكره المفسرون في سبب هذا الاعتذار ؟ قلنا وجوه (أحدها) قال قتادة سبب غرور ابن آدم لسوء الشيطان له (وثانيها) قال الحسن غيره حموه (وثالثها) قال مقاتل ، غيره غر الله عنه حين لم يعاقبه في أول أمره ، وقيل للمضيل بن عباس إذا ألقاك الله يوم القيمة ، وقال لك (ما غرك ربك الكريم) ماذا تقول ؟ قال أقول غرتي حدودك المرحاة .

(السؤال الثالث) ما معنى قراءة سعيد بن جبير ما غرك ؟ (قلنا) هو إما على الجمع وإما على الاستفهام من قولك غر الرجل غرا إذا غفل ، ومن قولك يهيم العدو وهم غارون ، وأغره غيره حذله غاراً ، أما قوله تعالى (الذي خلقك) فاعلم أنه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الأمور الثلاثة كالدلالة على تحقق ذلك الكرم (أولها) الخلق وهو قوله (الذي خلقك) ولا شك أنه كرم وجوده لأن الوجود خير من العدم ، والخلق خير من الموت ، وهو نقى قال (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) ، (وثانيها) قوله (فدارك) أي جعلك سوياً سالم الإحصاء جمع وتصغر ، ونظيره قوله (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم مبرأك رجلاً) قال ذا القنون سواك أي جعلك المكنونات أجمع ، وما جعلت مسخراً لشيء منها ، ثم أنطق لسالك بالذكر ، وقيلك بالفعل ، ودروحك بالمعرفة ، وسرك بالإيمان ، وغر فلا بالامر وليس وفدة على كثير من خلق فضيلاً (وثالثها) قوله (فعدلك) وفيه بحثان :

(البحث الأول) قال مقاتل يريد عدل خلقك في العينين والأذنين واليدين والرجلين فلم يجعل إحدى يديك أطول ولا إحدى العينين أوسع ، وهو كقوله (على قائدين على أن تسمى بانه) وتقريره ما عرف في علم التفسير أنه سبحانه ركب جانبي هذه الجنة على التمسوى حتى أنه لا تفاوت بين نصفيها لا في المقام ولا في أشكالها ولا في قضاها ولا في الأودية والشرابين والإعصاب النافذة فيها والخارجة منها ، واستفاد القول فيه لا يلبق بهذا العلم ، وقال عطاء عن ابن عباس : جعلك قائماً مستقيماً حسن الصورة لا كالبهيمة المنحبة ، وقال أبو علي الفارسي عدل خلقك ما غرك في أحسن التقويم ، وأبى ذلك لا هتدال جعلك مستقيماً لقبول العقل والقدرة والمفكر ، وصيرك بسبب ذلك مستوياً على جميع الحيوان والنبات ، وواصل بالكمال إلى ما لم يصل إليه شيء من أجسام هذا العالم .

(البحث الثاني) قرأ المكونيون فعدلك بالتخفيف ، وفيه وجوه (أحدها) قال أبو علي الفارسي أن يكون المعنى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت (وثاني) قال الفراء (فعدلك) أي فصرطك إلى أي صورة شاء ، ثم قال ، والتشدب أحسن الترجين لأنك تقول عدلتك إلى كذا

كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالْحَقِّ ﴿١٠﴾

كما نقول صرفك إلى كذا ، ولا يحسن عندك فيه ولا صرفك فيه ، ففي القراءة الأولى جميل في من قوله (في أي صورة) صلة للركب ، وهو حسن ، وفي القراءة الثانية جملة صلة لقوله (عندك) وهو ضعیف ، وأعلم أن اعتراض القراء إنما يتوجه على هذا الوجه الثاني ، فأما على الوجه الأول الذي ذكره أبو علي القاسمي فغير متوجه (وأنت لك) نقل الفقان عن بعضهم أنها اثنان بمعنى واحد ، أما قوله (في أي صورة ماشاء ركبك) ففيه مباحة (الأول) ما هل هي مزيدة أم لا ؟ فيه قولان (الأول) أنها ليست مزيدة ، بل هي في معنى الشرط والخاء فيكون أنفي في أي صورة ماشاء أن يركبك فيها ركبك ، وبناء على هذا الوجه ، قال أبو صالح ومقاتل : المعنى إن شاء ركبك في غير صورة الإنسان من صورة كلب أو صورة حمار أو غير أولئك (والقول الثاني) أنها صلة مؤكدة والمعنى في أي صورة تتعبد ما يشته ركبته من الصور المختلفة ، بأنه سبحانه يركبك على مثلها ، وعلى هذا الفرق تضمني الآية وجوهاً (أحدها) أن المراد من الصور المختلفة شبه الآب والأم ، أو أقارب الآب أو أقارب الأم ، ويكون المعنى أنه سبحانه يركبك على مثل مورد عزلاء ويدل على صحة هذا ما روى أنه عليه السلام قال في هذه الآية : وإذا استقرت الذئبة في الرحم ، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ، (والثاني) وهو الذي ذكره القراء والزجاج أن المراد من الصور المختلفة الاختلاف بحسب الطول والقصير والحسن والفسح والمذكورة والذكورة ، ودلالة هذه الحالة على الصانع القادر في غاية الظهور ، لأن الطرفة جسم متناهية الأجزاء وتأثير طبع الأيون فيه على السوية ، فالفاعل الموزن بالقيمة في المقابل المتشابه لا يعمل إلا ضللاً واحداً ، فلما اختلفت الأثر والصفات دل ذلك الاختلاف على أن المبدئ هو القادر المختار ، قال الفاعل اختلاف المخلق والآثار كان اختلاف الأحوال في النقي والغير والصحة والفساد ، فكأنما يتعلق أنه سبحانه بما ميز البعض عن البعض في النقي والغير ، وطول العمر وقصره ، بحكمة بالغة لا يحيط بكينها إلا هو ، فكذلك نعم أنه إنما جعل البعض خلقاً للبعض ، في الحق والآلوان بحكمة بالغة ، وذلك لأن بسبب هذا الاختلاف يتميز الحسن عن القبيح والقريب عن الأجنبي ، ثم قل نعم نعم شهادة لاشك فيها أنه سبحانه لم يفرق بين الملائكة والمحيات إلا ليعلم من صلاح عباده فيقول كذا جاعلون بين إصلاح (القول الثالث) قال أبو علي القاسمي : قال صورة المظليين والصفاة قيس من ركبته على صورة الولاية كمن ركبته على صورة المشاورة ، قال آخرون إنه إشارة إلى صفات الأرواح وظلماتها ، وقال الحسين مهم من صورته لم ينخلص لغيره ، ومنهم من صورته يشغله بغيره (مثال الأول) أنه خلق آدم لبعضه ، بأعقاب به وإعلا قدره وأظهر روحه من بين جهنم وسلاطه ، ونوحه دافع للكفرمة وزيه برار الحلال وأهية .

وقه تعالى : كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالْحَقِّ ، أعلم أنه سبحانه لما بين بالدلائل الغنية على صحة القول

وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظُونَ ﴿١٦﴾ كَرَاهَةُ كَاتِبِينَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾

بأنهم والنذور على الجنة ، فرفع عليها شرح تفصيل الأحوال المختلفة بذلك ، وهو أنواع :
 (في النزع الأول) أنه سبحانه زجرهم عن ذلك الاغتزار بقوله (كلا) و (بل) حرف
 وضع في اللغة لشيء ، قد تقدم وحقق غيره . فلا حرم ذكروا في تفسير (كلا) وجوهاً (الأول)
 قال القاضي معناه أنك لا تستفيدون على توجهه فمضى عليكم وإرشادى الحكم . بل تكذبون اليوم
 الدين (الثاني) كلا أي أتمدعوا عن الاغتزار بكرم الله ، ثم كأنه قال وإنيكم لا تزدعون عن ذلك
 بل تكذبون بالدين أصلاً (الثالث) قال الفاعل كلا أي ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بهت
 ولا تنذر ، لأن ذلك يوجب أن الله تعالى خلق الخلق عبداً وهدى . وحاشاه من ذلك ثم كأنه قال
 وإنيكم لا تظننهم بهذا البيان بل تكذبون . وفي قوله (تكذبون بالدين) رجمان (الأول) أن
 يكون المراد من الدين الاسلام . والمعنى أنك تكذبون بالجزاء على الدين والاسلام (الثاني) أن
 يكون المراد من الدين الحساب . والمعنى أنكم تكذبون اليوم الحساب .

(في مجموع الثاني) قوله تعالى (وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظُونَ) كراهة كاتبين ، يعلمون ما تفعلون)
 والمعنى الحساب من عالم . كأنه سبحانه قال إنكم تكذبون اليوم الدين وهو يوم الحساب
 والجزاء ، ولا تنكأه مركبون بكم يكتبون أعمالكم حتى تناسبوا بها يوم القيامة . ونظيره قوله تعالى
 (نحن انبئهم عن أعمالهم) ما يلعب من قول (لا اله الا هو) وقوله تعالى (وهو القاهر فوق
 عباده ويرسل عليكم حفظة) ثم هما ماحط :

(الأول) من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه : (أحدها) أن
 هؤلاء الثلاثة إما أن يكونوا مركبين من الأجسام المنطوية كالماء والنار ، أو من
 الأجسام المتألفة . فإن كان الأول ثم أن تنتفض بينهم بأدى سبب من هبوب الرياح الشديدة
 وإمرار اليد والنك والسرطى الهواء . وإن كان الثاني وجب أن يرام إذ لرجل أن يكونوا حاضرين
 ولا يرام . لجاز أن يكون محضرتهم نخوس وأقار وفيلات وبوقات ، ونفس لا تراها ولا نسمها
 وذلك دخول في التجاهل . وكنت أقول في إشكال محاسبهم وذواتهم وتوابعهم (رثايبها) أن هذا
 الاستكساب إن كان غائباً عن القوت فهو عبث وذلك غير جائز عن الله تعالى ، وإن كان فيه فائدة
 فذلك جهالة . إما أن تكون فائدة إلى الله تعالى أو إلى المد (الأول) محال لأنه متعال عن التفع
 والنظر . وهذا يفور بطلان قول من يقول إنه تعالى إنما استكتبهم خوفاً من الشيطان للخلط (والثاني)
 أيضاً محال . لأن أقصى ما في الباب أن يقال فائدة هذا الاستكتاب أن يكونوا شهوداً على الناس
 وحجة عليهم يوم القيامة إلا أن هذه فائدة صمدية . لأن الإنسان الذي علم أن الله تعالى لا يحور
 ولا يقلم . لا يحتاج في سعة إلى إثبات هذه الحجة ، والذي لا يعلم ذلك لا ينتفع بهذه الحجة لا احتمال

أنه تعالى أمرهم أن يكتبوا تلك الاشياء على ظلمة (وثانها) بأن أفعال القلوب غير مرئية ولا محسوسة فتكون هي من باب الغيبات ، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى على ما قل (وعنده مفتح الغيب لا يعلمه إلا هو) وإذا لم تكن هذه الأفعال معروفة اللاتك امتثالاً أن يكتبوها والآية تقتضي أن يكونوا كاتبين علينا كل ما فعله ، سواء كانت ذلك من أفعال القلوب أم لا ؟ (والجواب) عن (الأول) أن هذه الشبهة لا تزال إلا على منحنى بناء على أصلين (أحدهما) أن البنية ليست شرعاً للحياة عندنا (والثاني) أي عند سلامة الحاسة وحضور الحرق وحصول سائر اشتراط لا يجب الإقرار به ، فصل الأصل الأول يجوز أن تكون الملائكة أجراماً لطيفة تتميزق وتنفرد ولكن تبقى حياتها مع ذلك ، وعلى الأصل الثاني يجوز أن يكونوا أجساماً كثيفة لكنها لا تراها (والجواب) عن الثاني أن الله تعالى إنما أجرى أموره مع عباده على ما يشاءون به فيها بينهم لأن ذلك أبلغ في تقرير المثنى عندهم ، ولما كان الأبلغ عندهم في الحاشية إخراج كتاب بشهود غوطبوا بمثل هذا فيها بحاسبون به يوم القيامة ، فيخرج لهم كتب مشروطة ، ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم كما يشهد عدول السلطان على من يعميه ومخالف أمره ، فيقولون له أعطاك ذلك كذا وكذا ، وفعل بك كذا وكذا ، ثم قد خلقتك وفعلت كذا وكذا ، فكذا هذا والله أعلم بحقيقة ذلك (الجواب) عن الثالث أن غاية ما في الباب تخصيص هذا الصوم بأفعال الجوارح ، وذلك غير متنع .

(البحث الثاني) أن قوله تعالى (وإن عليكم لحافظين) وإن كان عتاب مشاعرة إلا أن الأمة مجمعة على أن هذا الحكم عام في حق كل المكلفين ، ثم منها احتمالان :

(أحدهما) أن يكون هناك جمع من الحافظين ، وذلك الجامع يكونون حافظين لجميع بني آدم من غير أن يخص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم .

(وثانها) أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ، ثم بمقتضى أن يكون الموكل بكل واحد من بني آدم واحداً من الملائكة لأنه تعالى قابل الجميع بالجمع ، وذلك يقتضي مفالة الفرد بالفرد ، وبمقتضى أن يكون الموكل بكل واحد منهم جماعاً من الملائكة كما قيل اثنان بالليل ، واثنان بالهار ، أو كما قيل إنهم خمسة .

(البحث الثالث) أنه تعالى وصف هؤلاء الملائكة بصفات (أولها) كونهم حافظين (وثانها) كونهم كراماً (وثالثها) كونهم كاتبين (ورابعها) كونهم يعلمون ما يفعلون ، وفيه وحيان (أحدهما) أنهم يعلمون تلك الأفعال حتى يمكنهم أن يكتبوها ، وهذا يقتضي على أن الإنسان لا يجوز له الشهادة إلا بعد العلم (وثاني) أنهم يكتبونها حتى يكونوا علمين بها عند أداء الشهادة .

واضح أن وصف الله إياهم بهذه الصفات الخمسة يدل على أنه تعالى أثنى عليهم وعظم شأنهم ، وفي تعظيمهم تعظيم لأمر الجوارح ، وأنه عند الله تعالى من جلال الأمور ، ولولا ذلك لما وكل

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٢٧﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ

الَّذِينَ ﴿٢٨﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿٢٩﴾

يضيئ ما بجانبه ، هؤلاء الظلمة الأكبر ، قال أبو عثمان : من برجزه من المذمومين مراقبة الله إليه ، كيف يرد عنها كناية الكرام الكائنين .

(النوع الثالث) من تفاريع مسألة الحشر قوله تعالى ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ وإن الفجار لفي جحيم ، يصلونها يوم الدين ، وهم عنهم بغائبين ﴿

اعلم أن الله تعالى لما وصف الكرام الكائنين لأعمال الصياد ذكر أحوال العالمين فقال (إن الأبرار لفي نعيم) وهو أنهم الجنة (وإن الفجار لفي جحيم) وهو النار ، وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أن العالمين موعيد أصحاب الكبائر تمسكوا بهذه الآية ، فقالوا صاحب التكبير فاجر ، والفجار كاهن في الجحيم ، لأن لفظ الجحيم إذا دخل عليه الألف واللام أعاد الاستفراق والكلام في هذه المسألة قد استغنى عنه في سورة البقرة ، وهما نكتة ذلقة لا بد من ذكرها : قالت الرصدية حصلت في هذه الآية رجوع دالة على دوام الوعيد (أحدها) قوله تعالى (يصلونها يوم الدين) ويوم الدين يوم الجزاء ولا ونة إلا ويدخل فيه ، كما تقول يوم الدنيا ويوم الآخرة (الثاني) قال الجبائي لو حصصنا قوله (وإن الفجار لفي جحيم) لسكان بعض الفجار يصيرون إلى الجنة ولو صاروا إليها لكانوا من الأبرار وهذا يقتضي أن لا ينجز الفجار من الأبرار ، وذلك باطل لأن الله تعالى ميز بين الأمرين ، فاذن يجب أن لا يدخل الفجار الجنة كما لا يدخل الأبرار النار (والثالث) أنه تعالى قال (وما هم عنها بغائبين) وهو كقوله (وما هم بخارجين منها) وإذا لم يكن هناك موت ولا غيبة عيسى بدمها إلا المخلود في النار أبد الأبدن ، وما كان اسم الفاجر يتناول الكافر والمسلم صاحب الكبيرة ثبت بقاء أصحاب الكبائر أبدا في النار ، وثبت أن استغناء العظيمين لأعمال الكبائر (والجواب عنه) أنا بينا أن دلالة ألفاظ النعوم على الاستفراق دلالة غنية ضيقة والمسألة ضعيفة . وأما بالدليل الظني في المطلوب القطع غير جائز ، بل ههنا ما يدل على قولنا ، لأن استعمال الجمع المرفوع بالألف واللام في المهور والسائق شائع في اللغة ، فيجوز أن يكون اللفظ هنا عائداً إلى الكافرين الذين تقدم ذكرهم من المكذبين يوم الدين ، والكلام في ذلك قد تقدم على سبيل الاستقصاء ، سنا إلى النعوم بغير القطع ، لكن لا نسلم أن صاحب الكبيرة فاجر ، والدليل عليه قوله تعالى في حق الكفار (أولئك هم الكفرة البغرة) فلا يخلو إما أن يكون المراد (أولئك هم الكفرة) الذين يكونون من جنس البغرة أو المراد (أولئك هم الكفرة) وهم (البغرة) (والأول) باطل لأن كل كافر فهو فاجر بالإجماع ، فنفيد الكافر بالكافر

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا
تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

الذى يكون من جناس الفجرة حيث ، وإذا بطل هذا القسم بنى الثاني ، وذلك يفيد الحصر ، وإذا دلت هذه الآية على أن الكفار هم الفجرة لا غيرهم ، ثبت أن صاحب الكبيرة ليس بفاجر على الإطلاق ، سلمنا إن الفجار يدخل تحت الكافر والمسلم ، لكن قوله (وما هم عنها بغائبين) معناه أن مجموع الفجار لا يكونون غائبين ، ونحن نقول بموجبه ، فإن أحد نوعي الفجار وهم الكفار لا يغيرون ، وإذا كان كذلك ثبت أن صدق قولنا إن الفجار بأسرهم لا بنيون ، يكفي فيه أن لا ينبغي الكفار ، فلا حاجة في صدقه إلّا أن لا ينبغي المسلمون ، سلمنا ذلك لكن قوله (وما هم عنها بغائبين) يقتضى كونهم في الحال في الجحيم وذلك كذب . فلابد من صرفة عن الظاهر ، فهم يمدحونه على أنهم بعد الدخول في الجحيم يصدق عليهم قوله (وما هم عنها بغائبين) ونحن نحمل ذلك على أنهم في الحال ليسوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم ، إلا أن ثبوت الاستحقاق لا يثبت الدفر ، سلمنا ذلك لكنه معارض باللائل الدالة على العفر وعلى ثبوت الشفاعة لأهل الكبار ، والتمحيص لهذا الجانب ، لأن دليلهم لا بد وأن يقول جميع الفجار في جميع الأوقات ، وإلا لم يحصل مقصودهم ، ودليلاً يكون في محض تناوله لبعض الفجار في بعض الأوقات ، فدليلهم لا بد وأن يكون عاماً ، ودليلاً لا بد وأن يكون عاماً والحاصل ، مقدم على العام ، والله أعلم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فيه تهديد عظيم للعصاة حتى أن سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد بمكة ، فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا ؟ قال أما الحسن فكانا غائبين يقدم من سفره على أهله ، وأما السي . فكانا في مقدم على مولاه ، قال فبكي ، ثم قال : ليت شعري ما لنا عند الله ؟ فقال أبو حازم اعرض عليك على كتاب الله ، فاذ في أي مكان من كتاب الله ؟ قال (إن الأبرار في نعم ، وإن الفجار في جحيم) وقال جعفر الصادق عليه السلام النعم المأمرة وأنشأه ، والجحيم ظلمات تشبهات ، وقال بعضهم . النعم الفتنة ، والجحيم الطمع ، وقيل : النعم التوكل ، والجحيم الحرص ، وقيل : النعم الاستعجال بالله ، والجحيم الاستغفال بغير الله تعالى .

﴿ النوع الرابع ﴾ من تفرع الحشر تعظيم يوم القيامة ، وهو قوله تعالى ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تأمك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ وفيه مسائل :
﴿ المسألة الأولى ﴾ انحطوا في الخطاب في قوله ﴿ وما أدراك ﴾ فقال : فهم هو خطاب للكافر على وجه الزجر له ، وقال الآكثرون : إنه خطاب لرسول ، وإنما عطفوا بذلك لأنه ما كان عالماً بذلك قبل الوحي .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : انه يهود على أن التكرير في قوله (وما أدراك ما يوم الدين) ثم ما أدراك ما يوم الدين) لتعظيم ذلك اليوم ، وقال الجاني : بل هو لتعدد مجيئه ، (إذ المراد بالاول أهل النار ، والثاني بالثاني أهل الجنة) كأنه قال : وما أدراك ما يعامل به الفجار في يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يعامل به الأبرار في يوم الدين ؟ وكرر يوم الدين تعظيماً لفضل تعالى من الأمرين بهذين التقريرين ﴿ المسألة الثالثة ﴾ : (يوم لا تمك) قرأتان الرفع والنصب ، أما الرفع ففيه وجهان (أحدهما) على القول من يوم الدين (والثاني) أن يكون بإختيار هو فيكون المعنى هو يوم لا تمك ، وأما النصب ففيه وجوه (أحدها) بإختيار يساقون لأن الدين يدل عليه (وثانيها) بإختيار إذ كروا (وثالثها) ما ذكره الزجاج يجوز أن يكون في موضع رفع إلا أنه يبنى على الفتح لإضافته إلى قوله (لا تمك) وما أضيف إلى غير المتمكن قد بقي على الفتح ، وإن كان في موضع رفع أو جر كما قال : لم يجمع الشرب منهم غير أن فعلت حادثة في غصون ذات أو قال

فبنى غير على الفتح لما أضيف إلى قوله إن فعلت : قال الواحدي : والذي ذكره الزجاج من البناء على الفتح إنما يجوز عند خليل وسيفيه ، إذا كانت الإضافة إلى الفعل الماضي ، نحو قولك على حين غائبت ، أماسع الفعل المستقل ، فلا يجوز البناء ، وعدم ، ويجوز ذلك في قول الكوفيين ، وقد كررنا هذه المسألة عند قوله (هذا يوم تنفع الصادقين صدقهم) (ورأيتهم) ما ذكره أبو علي وهو أن اليوم لما جرت في أكثر الأمر ظرفاً ترك على حالة الأكثرية ، والله ليل عليه أجماع القراء والمفسرين في قوله (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) ولا يرفع ذلك أحد . وما يقوى النصب قوله (وما أدراك ما الساعة) يوم يكون الناس في وقوله (يسألون أيان يوم الدين) يومهم على النار يغشون) قال النصب في (يوم لا تمك) مثل هذا . ﴿ المسألة الرابعة ﴾ : تمسكوا في نهي الشفاعة للعصاة بقوله (يوم لا تمك نفس لنفس شيئاً) وهو كقوله تعالى (وانصروا يوماً لا تتجرى نفس عن نفس شيئاً) (والجواب) عنه قد تقدم في سورة البقرة . ﴿ المسألة الخامسة ﴾ : أن أهل الدنيا كانوا يتفليون على الملك ويعين بهم بعضاً في أمور ، ويحس بعضهم بعضاً ، فإذا كان يوم القيامة بطل ملك في الدنيا وزالت رياستهم ، فلا يبقى أحد أهدأ ، ولا يفتي أحد عن أحد ، ولا يتقلب أحد على ملك ، ونظيره قوله (والأمر يومئذ لله) وقوله (ملك يوم الدين) وهو وعيد عظيم من حيث إنه عرفهم أنه لا يبقى عنهم إلا الهرب والظافة يومئذ ، دون سائر ما كان قد بقي عنهم في الدنيا من مال وولد وأجران وشغف . قال الواحدي : والمحمول أن الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم أحداً شيئاً من الأمور ، كما ملكهم في دار الدنيا . قال الواحدي في قوله (يوم لا تمك نفس لنفس شيئاً) إشارة إلى قيام غير الله تعالى ، وهناك تذهب الرسائل والكلمات والفتايات ، فمن كانت حصة في الدنيا كذلك كانت دنياه أخرها .

وأما قوله (والأمر يومئذ لله) فهو إشارة إلى أن البقاء والوجود لله ، والأمر كذلك في الازل وفي اليوم وفي الآخرة ، ولم يتغير من حال إلى حال ، فالفتايات عند إلى أحوال الظاهر ، لا إلى أحوال المنظور إليه ، فالكاظمون لا تتفاوت أحوالهم بحسب تفاوت الأوقات ، كما قال : لو كشف النظام ما أزدت شيئاً ، وكأثره لما أثير بحضرة النبي ﷺ يقول ذلك في النظر وكأنه وكانه والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ
وَأَمَّا أَنَّهُ اسْتَبْرَأَ لِأَخِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ رَزَوُهُمْ يَخْسِرُونَ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ويلى للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوا لهم أو رزؤهم يخسرون ﴾
اعلم أن اتصال أول هذه السورة بآخر السورة المقدمة ظاهر ، لأنه تعالى بين في آخر تلك السورة أن يوم القيامة يوم من صفته أنه لا تحلك نفس لنفس شيئاً والأمر كله لله ، وذلك يقتضى تمهيداً خفياً قاصداً ، فلهذا أتبعه بقوله (ويلى المطففين) والمراد الزجر عن التطفيف ، وهو البخس في المكيال والميزان بالنسيء القليل على سبيل الخفية ، وذلك لأن الكثير يظهر فيمنع منه ، وقد نشر القليل إن ظهر أيضاً منع منه ، فلهذا أنزل التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالنسيء القليل على سبيل الخفية ، وههنا مسائل :
﴿ المسألة الأولى ﴾ الويل كلمة تذكر عند وقوع البلاء ، يقال ويل لك ، ويلى عليك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في اشتقاق لفظ المطفف قرآن (الأول) أن حلف الشيء هو جأبه وسره ، يقال حلف الوادى والإناء ، فإذا بلغ الشيء إلى سره ولم يزل فهو طعاف وطعافه وطففه ، ويقال هذا حلف المكيال وطعافه ، إذا قارب ملاء لكنه يبدل بلى ، ولهذا قيل الذى يسمى التكبيل ولا يوفيه مطفف ، يعنى أنه إنما يبلغ الطعاف (والثانى) وهو قول الزجاج : أنه إنما قيل لذى ينقص المكيال والميزان طعاف ، لأنه يكون الذى لا يدرك فى المكيال والميزان إلا اتسيع السير الطعيف ، وههنا مقالات :

﴿ الأول ﴾ وهو أن الاكتيال الأخذ بالتكبير ، كالإيزان الأخذ بالوزن ، ثم إن الشبهة المعتادة أن يقال اكنت من فلان ، ولا يقال اكنت على فلان ، فإ الوجه فيه ههنا ؟
(الجواب) من وجهين (الأول) لما كان اكنتالم من الناس اكنت لا فيه يضربوا بهم وتعامل عليهم ، أقيم على مقام من العاقلة على ذلك (الثانى) قال القراء : المراد اكنتلوا من الناس ، وعمل ومن

في هذا الموضع يتفرعان لأنه حتى عليه ، فإذا قال اكنتك عليك ، فكأنه قال أخذت ما عليك ، وإذا قال اكنتك ذلك ، فهو كقوله استوفيت منك .

(السؤال الثاني) هو أن اللفظة المتأداة أن يقال كانوا لهم ، أو ورنوا لهم ، ولا يقال كانه ورنته ، فوجه قوله تعالى ﴿إذ أنزلناهم أو ورنوهم﴾ (والجواب) من وجوه (الأول) أن المراد من قوله (كانوهم أو ورنوهم) كانوا لهم أو ورنوا لهم ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، قال الكسائي والفراء : وهذا من كلام أهل الجواز ، ومن جاورهم يقولون : ذى كذا ، كذا ، وكذا ، ويقولون صدقك وصنت لك ، وكتبك وكتب لك ، فقل هذا التكمية في كانواهم ورنوهم في موضع نصب (الثاني) أن يكون على حذف المضاف ، وإضافة المضاف إليه مقامه ، والتعدير : وإذا كانوا كنيانهم ، أو ورنوا ورنوهم (ثالث) يروي عن عيسى بن عمر ، وحمزة أنها كانا بعللان التميميين تركذا لما في كالأوا وبقعان عنه الثوارين فبقعة بيسان بها ما أرادا ، وزعم الثمراء والزجاج أنه غير جائز ، لأنه لو كان بمعنى كانواهم لكان في المصحف ألف ، فبقي قولهم ، واعتزض صاحب الكشاف على هذه الحجة ، فقال إن خطأ المصحف لم يراع في كثير منه حد المصاحف عليه في علم الخط (والجواب) أن إثبات هذه الألف لو لم يكن مبتدأ في زمان الصحابة فكان يجب إثباتها في سائر الأعصار ، لما أنا تعلم ما القوم في ذلك ، ثبت أن إثبات هذه الألف كان مبتدأ في زمان الصحابة فكان يجب إثباتها هنا .

(السؤال الثالث) ما السبب في أنه قال (وبل للمطففين الذين إذا أنزلناهم) ولم يقل (إذا أنزلناهم) ثم قال (وإذا كانواهم أو ورنوهم) فجمع بينهما ؟ (الجواب) أن التكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر .

(السؤال الرابع) اللفظة المتأداة أن يقال خسرت ، فإ الوجه في أخسرت ؟ (الجواب) قال الزجاج أخسرت الميزان وخسرت سواء أي خسرت ، وعن المؤرج يخسرون يقصرون بقلة فريش .

(المسألة الثانية) عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم بنو الله المدينة كانوا من أخص الناس كلبا ، فأمر الله تعالى هذه الآية ، فأسسوا الكيل بعد ذلك ، وقبل كان أهل المدينة تجاراً يطففون وكانت يافعهم المشاهدة والملامسة والخمارة . فذلت هذه الآية ، فخرج رسول الله ﷺ فخرأها عليهم ، وقال وخس بخمس ، قيل يا رسول الله ، وما خمس بخمس ؟ قال ما خمس قوم الهدى إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بنبره ، أمر الله إلا فداهم الفدر ، وما ظهرت فيهم القفاشة إلا فداهم الموت ، ولا حنفوا الكيل إلا امتوا الثبات وأخذوا بالسنتين ، ولا امتوا الزكاة إلا حبس عنهم المظر .

(المسألة الرابعة) القدم إنما لحقهم بمجموع أهم بأخذون زائداً . ويدفون ناقصاً ، ثم اختلف العلماء ، فقال بعضهم : هذه الآية دالة على الوعيد ، فلا تغفل إلا إذا بلغ التطرف حد الكثير ، وهو نصاب السركة ، وقال آخرون بل ما يصغر ويكبر دخل تحت الوعيد ، لكن بشرط

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾

أن لا يكون سه توبة ولا طاعة أعظم منها ، وهذا هو الأصح .

﴿ المسئلة الخامسة ﴾ احتج أصحاب الرعيد بصوم هذه الآية ، قالوا وهذه الآية واردة في أهل الصلاة لا في الكفار ، والذي يدل عليه وجهان (الأول) أنه لو كان كافراً لكان ذلك الكفر أولى باقتضاء هذا الويل من التطفيف ، فلم يكن حينئذ تطفيف أثر في هذا الويل ، لكن الآية دالة على أن المرجح لهذا الويل هو التطفيف (الثاني) أنه تعالى قال للمخاطبين بهذه الآية (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) فكانه تعالى حذر المطففين ببذاب يوم القيلة ، وتوبيخهم بهذا لا يحصل إلا مع المؤمن ، ثبت بهذين الوجهين أن هذا الوعيد مختص بأهل الصلاة (والجواب) عنه ما تقدم مراداً ، ومن لواحق هذه المسألة أن هذا الوعيد يتناول من يعمل ذلك ومن يعزم عليه إذ العزم عليه أيضاً من الكفاية . واعلم أن أمر المكيال والميزان عظيم ، وذلك لأن عامة الخلق يحتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر المكيال والميزان ، فلهذا السبب عظم الله أمره فقال (والسما) وفيها ووضح للميزان ، أن لا تطفوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وقال (ولقد أرسلنا رسلاً بالبيئات وأرسلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وعن قتادة وأرفق بابن آدم الكيل كما تحب أن يوفى لك ، وأعدل كما تحب أن يمد لك ، وعن الفضيل : خمس الميزان سواد الوجه يوم القيامة ، وقال أهراب لعبد الله ابن مروان : قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد نوجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل ، فاطنك بنفسك وأنت تأخذ الكثير ، وتأخذ أمر المسلمين بلا كيل ولا وزن .

قوله تعالى : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ . يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ اعلم أنه تعالى ربح هؤلاء المطففين فقال (ألا يظن أولئك) الذين يطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وهو يوم القيامة ، وفي الظن هنا قولان (الأول) أن المراد منه العلم ، وهل هذا التقدير يمتثل أن يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث ، ويمتثل أن لا يكونوا كذلك (أما الاحتمال الأول) فهو ما روى أن المسلمين من أهل المدينة وم الأوس والخزرج كانوا كذلك ، وحين ورد النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك شاملاً فيهم ، وكانوا مصدقين بالبعث والقيوم ، فلا جرم ذكروا به ، وأما إن قلنا بأن المخاطبين بهذه الآية ما كانوا مؤمنين بالبعث إلا أنهم كانوا متأكدين من الاستدلال عليه ، لما في القول من إيصال الجزاء إلى المحسن والمسيء ، أو

[مكان ذلك] لم يثبت وجوده ، وهذا مما يجوز أن يعارض به من ينكر البعث ، والمضى إلا ينكرون حتى يبدوا أنهم يسمعون ، لكنهم قد أعرضوا عن التصريح ، وأراحوا أنفسهم عن متابعه ومشافه ، وإنما يحمل العلم الاستدلال خطأ ، لأن أكثر قسوم الاستدلال راجع إلى الاشتباه في الرأي ، ولم يكن كذلك الذي يستدل الوجهان به لاجرم من ذلك خطأ (انظر ثنائي) أن المراد من الظن هنا هو الظن نفسه لا العلم ، ويكون الحق أن هؤلاء المقتضين هب أنهم لا يعززون بالبعث ولكن لا أقل من الغش ، بين الأتيقن بحكمة الله ورحمته وديانته ، صانع خلقه أن لا يعمل أمر بعد الموت بالكلية ، وأن يكون لم حشر ونشر ، وأن هذا الظن كاف في حصول الخوف ، كما أنه سبحانه وتعالى يقول هب أن هؤلاء لا يظنونه به ألا يظنونه أيضاً ، فأما قوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ففيه مسائل :

❖ المسألة الأولى ❖ ترى (يوم) بالنصب والحركة ، أما النصب فقال الزجاج يوم منصوب بفعله (يبدون) والمضى ألا يظنون أنهم يبدون يوم القيامة ، وقال القراء وقد يكون في موضع خفض إلا أنه أصيب إلى ينصب ، وهذا كما ذكرنا في قوله (يوم لا ينفع) وأما الخبر فليكونه بدلاً من (يوم عظيم) .

❖ المسألة الثانية ❖ هذا القيام له صفات :

(الصفة الأولى) سبحانه وفيه وجوده (أحدها) وهو الأصح أن الناس يقومون غلبة رب العالمين ، فيظهر هناك هذا التعظيم الذي يظن أنه حقير ، فيعرف هناك كثرته واجتماعه ، ويقرب منه قوله تعالى (وإن عاف مقام رب جنتان) و (ثانياً) أنه سبحانه يرد الأرواح إلى أجسادها فتقوم تلك الأجساد من مراقبها ، فذاك هو المراد من قوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) (وثالثاً) قال أبو مسلم معنى (يقوم الناس) هو كقوله (وقوموا له فائتم) أي لبادته بقوله (يقوم الناس لرب العالمين) أي لحض أمره وطاعته لا لنهيه آخره ، على ما قرره في قوله (والأمر يومئذ لله) .

(الصفة الثانية) كيفية ذلك القيام ، روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال « يقوم أحدكم في رشحته إلى أنصاب أذنيه » وعن ابن عمر : أنه قرأ هذه السورة ، فلما بلغ قوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) بكى نحيباً حتى يجزع عن قراءة ما بعده .

(الصفة الثالثة) كيفية ذلك القيام ، روى عنه علي السلام أنه قال « يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة من الدنيا لا يوم فيها أمر » وعن ابن مود « يمشون أربعين عاماً ثم يحاطبون » وقال ابن عباس وهو في حق المؤمنين كقدر انصرامهم من الصلاة .

واعلم أنه سبحانه جمع في هذه الآية أنزاعاً من التهديد ، فقال أولاً (ويل المطففين) وهذه

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجْرِ لَمِنْ عَجَبِينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَجَبِينَ ﴿٨﴾ يَكْتُبُ مَرْقُومًا ﴿٩﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الْإِثْمُ يُكْتَبُونَ بِزُورٍ الْيَمِينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْتَبُ بِدِرَّةٍ إِلَّا كُلُّ مُعْتَذِرٍ أَثِيمٌ ﴿١٢﴾ إِذَا تُخِيلَ عَلَيْهِ عَائِلَةُ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾ سَكَنًا بَلَىٰ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ لَمَّا كَانُوا بِكَيْسٍ مُّسْكُونٍ ﴿١٤﴾ كَلَّا هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُورُونَ ﴿١٥﴾

الكلمة المذكورة عند نزول البلا ، ثم قال تايبا (ألا يضرك) وهو استفهام بمعنى الإنكار . ثم قال تائبا (يوم عظيم) والتي . الذي يستعظمه الله لا شك أنه في غاية العظمة . ثم قال تايبا (يوم يقوم الناس لرب العالمين) وفيه نوعان من التهديد (أحدهما) كونهم قائمين مع غاية الخشوع وغاية الذلة والافتقار (والثاني) أنه وصف نفسه بكونه ، بالفتانين . ثم هنا سزاك وهو كانه قال قائل كيف يلحق بك مع غاية عظمتك أي تهيب . هذا العمل العظيم الذي هو محفل القبة لأجل اتشي . المحير العاظم . فكأنه سبحانه يحجب . فيقول عطية الإلهية لا تتم إلا بالعظمة في القدرة والعظمة في الحكمة . وعظمة القدرة ظهرت بكونه زورا للعالمين . لكن عطية الحكمة لا يظهر إلا بأن أنتصف المظلم من الظلم بسبب ذلك الصغر الخفير الطفيف . فإن الشيء كلما كان أصغر وأصغر كان السهم الواصل إليه أعظم وأهم . فكذلك يظهر العظمة في الحكمة أحضرت ذلك الإكرام والآخرين في جعل القيامة . وحاسبات المظف لأجل ذلك التقدير الطفيف . وقال الأستاذ أبو تمام القشيري : لعظم المظف يتناول انتظيف في الوزن والكين . وفي إظهاره كعجب وانعجائه . وفي طلب الإنصاف والانصاف . ويقال من لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه . فليس ينتص والمداورة والصعبة من هذه الجهة . والذي يرى عيب الناس . ولا يرى عيب نفسه من هذه الجهة . ومن طلب حق نفسه من الناس . ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه لنفسه . فهو من هذه الجهة ولغنى من يقضى حقوق الناس ولا يطلب من أحد لنفسه حقاً .

قوله تعالى : كلا إن كتاب الفجر لمن عجبين . وما أدراك ما عجبين . كتاب مرقوم . وبلى يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون يوم الدين . وما يكذب به إلا كل مبتأثم . إذا تلقى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل رأى على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا هم عن ربهم يومئذ محجورون .

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٥٨﴾

ثم إنهم لصالوا الجحيم ، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون .
واعلم أنه سبحانه لما بين عظم هذا الذنب أتبعه بذكر لراحته وأحكامه (فأرسلنا) قوله (كلا) والمفسرون ذكروا فيه وجوهاً (الأول) أنه ردع وتنبه أي ليس الأمر على ما هم عليه من التعطيف والتفلة ، عن ذكر البعث والحساب طبرندعوا ، وتعام السلام معنا (الثاني) قال أبو حاتم (كلا) ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً (إن كتاب القدر اني معين) وهو قول الحسن .

(فادع الثاني) أنه تعالى وصف كتاب القدر بالحكمة والحفارة على ميل الاستخفاف بهم ، وهذا سؤالات :

(السؤال الأول) السجين اسم علم لشيء معين أو اسم مشتق عن معنى ؟ قلنا فيه قولان : (الأول) وهو قول جمهور المفسرين ، أنه اسم علم على شيء معين ، ثم اختلفوا فيه ، فلا كثيرون على أنه الأرض السابعة السفلى ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقادة ومجاهد والشعاع وابن زيد ، وروى البراء أنه عليه السلام قال : سجين أسفل سبع أرضين ، قال عطاء الخراساني : وفيها إبليس وذريته ، وروى أبو هريرة أنه عليه السلام قال : سجين حب في جهنم ، وقال الكلبي ومجاهد : سجين صخرة تحت الأرض السابعة .

(القول الثاني) أنه مشتق من سجن فيلاد عرب السجين ، وهو الحبس والتضييق كما يقال ضيق من أفتق ، وهو قول أبي عبيدة والبرد والزمجاج ، قال الرازي وهذا ضيق والدليل على أن سجيناً ليس بما كانت العرب تسميه قوله (وما أدراك ما سجين) أي ليس ذلك بما كنت تعلمه أنت وقومك . ولا أقول هذا ضيق ، فلهذا إنما ذكر ذلك تعظيماً لأمر سجين . كما في قوله (وما أدراك ما يوم الدين) قال صاحب الكتاب : والصحيح أن السجين قبيل مأخوذ من السجين ، ثم إنه هنا اسم علم منقول من صف حكائم وهو منصرف ، لأنه ليس فيه إلا سيب واحد وهو التعريف ، إذا عرفت هذا ، فنقول قد ذكرنا أن الله تعالى أجرى أموراً مع عباده على ما توافقه من التعامل فيها بينهم وبين خلقهم ، فالحجة موصوفة بالعدل والصفاء والقدرة وحضور الملائكة المقربين ، والسجين موصوف بالعدل والظلمة والضيق وحضور الشياطين الملعونين ، ولا شك أن العدل والصفاء والقدرة وحضور الملائكة المقربين ، كل ذلك من صفات الكمال والعمرة ، وأضدادها من صفات النقص والالفة ، فلا أريد وصف التكبر وكبرهم بالالفة والحفارة ، قيل إنه في موضع النفل والظلمة والضيق ، وحضور الشياطين أدركنا وصف كتاب الأبرار بالعمرة قيل إنه (ل طعين) . و (يشهد الملائكة المقربون) .

(السؤال الثاني) قد أخبر الله عن كتاب الفجر بأنه (في حين) ثم فسر جهة (الكتاب) مرقوم) فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فبما معناه : أحياء النفال : فقال قوله (كتاب مرقوم) ليس تفسيراً لمعين ، بل التفسير : كلا إن كتاب الفجر لفي حين ، وإن كتاب الفجر كتاب مرقوم ، فيكون هذا وصفاً للكتاب الفجر بوصفين (أحدهما) أنه في حين (والثاني) أنه مرقوم ، ووقع قوله (وما أدراك ما حين) فيما بين الوصفين معزضاً ، والله أعلم . والاولى أن يقال رأى الصديق ما في كونه أحد الكتابين في الآخر ، إذ بأن يوضع كتاب الفجر في الكتاب الذي هو الأصل المرجوع إلى في تفصيل أحوال الانبياء ، أو بأن ينقل ما في كتاب الفجر إلى ذلك الكتاب المسمى بالحين . وفيه (وجه ثالث) وهو أن يكون المراد من الكتاب ، الكتابة فيكون في الذي : كتابة الفجر في حين ، أي كتابة أعمالهم في حين ، ثم يوصف الحين بأنه (كتاب مرقوم) فيه جميع أعمالهم .

(السؤال الثالث) ما معنى قوله (كتاب مرقوم) ؟ فتأنيده وجود (أحدهما) مرقوم أي مكتوبة أعمالهم فيه (رأينها) قال قتادة : قد لم يسم أي كتب لهم بإحدى كتل (وثانها) قال الفحل يحتمل أن يكون المراد أنه جعل ذلك الكتاب مرقوماً . كما يرقم كتابه فوبه علامة لحيته . وكذلك كتاب الفجر جعل مرقوماً يرقم دال على شفاوته (ورابعها) المرقوم : هذا مختوم ، قال قرطبي : وهو صحيح لأن الختم علامة . فيجوز أن يدعى المرقوم مختوماً (وسامعاً) أن المعنى كتاب تمت عايم كآثر في الثوب لا ينسحق ، أما قوله (وبين يومئذ المسكدين) ففيه وجهان (أحدهما) أن متصل بقوله (يوم يقوم الناس) أي (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ويؤيد كذب أخبار الله (والثاني) أنه قوله (مرقوم) معناه مرقوم يدل على شفاوته يوم القيامة . ثم قال (وبين يومئذ المسكدين) في ذلك اليوم من ذلك الكتاب . محله الذي أخبر عن صفته من يكذب يوم الدين فقال (وما يكذب به إلا كل منكر أثم) . إذا نزل عليه آياتنا قال أساطير الأولين) ومعناه أنه لا يكذب بيوم الدين إلا من كان موصفاً بهذه الصفات الثلاثة (الوطأ) كونه مضطرباً ، والاعتداد هو الحزن عن طامع الخلق (وأنار) الأنيم وهو السعة في الكتاب الإجماع والخاص . وأقول الإفتان له قرنان قوة بطرط وكلمها في أن يعرف الحق لدانه ، وقوة حيلة وكلمها في أن يعرف الخير لأجل العدم به ، وحسن الأول أن يصف الله تعالى بما لا يجوز وصفه به ، فإن كل من منع من إنكسار البص والقبالة إنما منع إما لأنه لم يدل تعلق علم الله بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات . أو لأنه لم يعلم قدره قدرة الله بجميع المنكبات . فهذا الاعتداد عند القوة المدنية . هو الاشتغال بالمدنية والمنصب وصاحبه هو الآئيم . وذلك لأن الاشتغال بالمدنية والمنصب إنما يفرغ للعبادة والطاعة وربما صار ذلك مانعاً له عن الإلتفات بالقبالة .

(وأما الصفه الثالثة) المسكدين يوم الدين فهو قوله (إذا نزل عليه آياتنا قال أساطير

الأولين) والمراد منه الذين يشكرون النبوة ، والمعنى إذا نزل عليه القرآن قال أساطير الأولين ، وفيه وجهان (أحدهما) أكاذيب الأولين (والثاني) أخبار الأولين وأنه عنهم أخذ أي يفتدج في كون القرآن من عند الله بهذا الطريق ، ومهنا بحث آخر : وهو أن هذه الصفات الثلاثة حل المراد منها شخص معين أولاً ؟ فيه قولان (الأول) وهو قول الكل : أن المراد منه الوليد بن المغيرة ، وقال آخرون إنه النضر بن الحارث ، واحتج من قال إنه الوليد بأنه تعالى قال في سورة النجم : (ولا تطلع كل حلاف مهين - إلى قوله - مهنت أمم - إذا نزل عليه آياتنا قال أساطير الأولين) فقبل إنه الوليد بن المغيرة ، وعلى هذا التقدير يكون المعنى : وما يكذب يوم الدين من قرأه أو من فوسل إلا لكل مهنت أمم ، وهذا هو الشخص المعين (والقول الثاني) أنه عام في حق جميع الموصوفين بهذه الصفات ، أما قوله تعالى (كلا بل دان على قلوبهم ما كانوا يكبرون) فالمعنى ليس الأمر كما يقولون أن ذلك أساطير الأولين ، بل أساطير المصيبة صارت سبباً لحصون الزن في قلوبهم ، ولأهل المنة في تحصيل لغة الزن وجوه ، ولأهل التفسير وجوه آخر . أما أهل اللغة فقال أبو عبيدة : دان على قلوبهم غلب عليها والمر ترين على محمل السكران ، والموت يرين على الميت فيذهب به . قال الثابت ، دان الناس واخر في الرأس إذا رمخ فيه ، وهو يردد رداً ، وريوياً ، ومن هذا خدمت عمر في أسيف جبهة نازكه الدين وأصبح قد رين به ، قال أبو زيد ، قال رين بالرجل يران به ريناً إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه . قال أبو معاذ النحوي لازين أن يسود تقاب من الذنوب والطبع أن يطع على القلب وهو أشد من الزين ، والافتعال أشد من الطبع ، وهو أن يغفل على القلب ، قال الزجاج : وإن على قلوبهم بمعنى غفل على قلوبهم ، يقال دان على قلبه الذنب يرين ريناً أي غشبه ، والزين كالصل يقضى القلب ومثله العين ، أما أهل التفسير ، فلهم وجوه : قال الحسين ، ويجاهد هو الذنب على الذنب ، حتى تحيط الذنوب ، القلب ، وتغشاه فيموت القلب ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : إياكم والمخبرات من الذنوب ، فإن الذنب على الذنب يرفد على صاحبه جميعاً حتى يهلكه ، وعن مجاهد القلب كالنكف ، فإذا أذنب الذنب فنبض ، وإذا أذنب ذنباً آخر انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين ، وقال آخرون كل أذنب الإسلام حصلت في قلبه نكبة سوداء حتى يسرد ثقل قلبه ، وروى هذا مرفوعاً في حديث أبي هريرة : قلت لأبيك أن تنكروا الأفعال سبب الحصول لمكة نفسانية ، فإن من أراد تعلم الكتابة فكما كان إتيانه به سهل الكتابة أكثر كان اتقائه على عز الكتابة أعم ، إلى أن يصير بحيث يقدر على الإتيان بالكتابة من غير روية ولا فطنة ، فهذه الهيئة النفسانية ، لما تولدت من تلك الأعمال الكبيرة ، كان السهل واحد من تلك الأعمال أثر في حصول تلك الهيئة النفسانية ، إذا عرفت هذا فنقول : إن الإنسان إذا وطأ على الإتيان ببعض أنواع الذنوب ، حصلت في قلبه ملكة تعذية على الإتيان بذلك الذنب ، ولا معنى للذنب إلا ما يشغلك بغير الله ، وكل ما يشغلك بغير الله فهو

ظلة ، فإذن الترتيب كلها طلقات وسواد ، ولكل واحد من الأعمال السابقة قبيح أورث مجموعها حصول تلك المذمة أثر في حصولها ، فذلك هو المراد من قولهم : كلاً أذنب الإنسان حصصاً في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب ، وإنما كانت مراتب المذات في السوء والتصنيف عتقة ، لا جرم كانت مراتب هذا السواد والظلمة عتقة ، فبهذه يكون وثباً وذهاباً خبيراً وبهذه أقوالاً ، قال القاضي ليس المراد من الرين أن عليهم فتغير وحصل فيه صبح ، بل المراد أنهم صاروا لإيقاع الذنب حالاً بعد حال متعديين عليه رفوف دواجمهم إلى ترك التوبة وترك الإقلاع ، فاستمروا وصعب الأمر عليهم ، ولذلك بين أن علة الرين كسبهم ، وهو يوم إذا كثرتهم من اكتساب التوبة لا يمنع من الإقلاع والتوبة ، وأقول قد بينا أن صدور العمل حال استواء الداعي إلى الفعل ، والداعي إلى الترك حال امتناع ترجيح المكسب غير مرجح ، فإن يكون تماماً حال المرجوحة كان أولى ، وشاغل القاضي أنهم صاروا بسبب الأفعال السابقة أجباً ، فوجب أن يكون الإقلاع في هذه الحالة تنسباً ، ونعم الكلام قد تقدم مراراً في هذا الكتاب .

أما قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاعلم أنهم ذكروا في (كلا) وجوها (أحدها) فإن صاحب الكشف (كلا) روي عن الكسب الراش عن قولهم (وثانها) قال القفال إن الله تعالى حكى في ما روى من هذا المفسر أن الله تعالى يقول إن كانت الآخرة حقاً ، فإن الله تعالى يعطيه مالا وولداً ، ثم إن تعالى كذبه في هذه المقالة فقال (أطلع العيب أم تخضعت الرين عهداً) وقال (وما أضل الساعة فاعة وبن رجعت إلى ربى إن لم يجد له عدي) ولما كان هذا قد تردد ذكره في القرآن ترك الله ذكره هنا وقال (كلا إنهم عن ربهم يومئذ محجوبون) أي ليس الأمر كما يقولون من أن لهم في الآخرة حسنى بل هم محجوبون يومئذ محجوبون (وثانها) أن يكون ذلك تنكيراً ونكوة (كلا) هذه هي المذكورة في قوله (كلا بل ران) أما قوله (إنهم عن ربهم يومئذ محجوبون) فقد استحب الأصحاب على أن المؤمنين يرونه سبحانه فتقارولوا ذلك لم يكن مخصوص فائدة ، وفيه تقرير آخر وهو أنه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار ، وما يكون وعيداً وتهديداً تنكيراً لا يجوز حصوله في حق المؤمن ، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن أصابته المستترة عن هذا من وجوه (أحدها) قال الجبائي المراد أنهم عن رحمة ربهم محجوبون أي يتعجبون ، كما يقال في الفرائض : لإنشوة يحجبون الأم على التمسك ، ومن ذلك يقال لمن يمنع عن الدخول هو حاجب ، لأنه يمنع من رؤيت (وثانها) قال أبو مسلم (لمحجوبون) أي غير مقربين ، والحجاب الرذ وهو ضد قبول ، والثاني هؤلاء المكشرون بمس غير مقبولين عند الله وهو المراد من قوله تعالى (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم) ، (وثالثها) قال القاضي : الحجاب ليس عبارة عن عدم الرؤية ، فإنه قد يقال : حجب فلاق عن الأمير ، وإن كان قد رآه

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَذْرُوكَ مَا عَلَيْهِمْ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ

مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

من اليد ، وإذا لم يكن الخجاء عبارة عن عدم الرؤية فقط الاستدلال ، بل يجب أن يعمل على صيرورته قنوعاً عن وجدان رحمة تعالى (ورايها) قال صاحب الكتاب : كونهم محجوبين عنه تشبيل للاختلاف بهم راياتهم ، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا المهاجرون عنهم (والجواب) لاشك أن من منع من رؤية شيء يقال أنه حجب عنه ، وأيضاً من منع من الدخول على الأمير يقال إنه حجب عنه ، وأيضاً يقال الام حجب عن ذلك بسبب الإغرة ، وإذا وجدنا هذه الاستهالات وجب جعل اللفظ حقيقة في فهمهم مشركين من هذه المراضع دفعا للاشتراك في اللفظ ، وذلك هو المنع . فني الصورة الأولى حصل المنع من الرؤية ، وفي الثانية حصل المنع من الوصول إلى قربه ، وفي الثالثة : حصل المنع من استحقاق ذلك ، فيصير تشبيه الآية : كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَنْعُونَ ، والمنع إنما يشقق بالنسبة إلى ما ثبت عليه بالنسبة إلى الله تعالى ، وهو إما العلم ، وإما الرؤية . ولا يمكن حله على تعلم ، لأنه ثابت بالاتفاق للكفار ، فوجب حله على الرؤية ، أما صرفة إلى كرامة فهو عدول عن مظاهر من غير دليل ، وكذا ما قاله صاحب الكشف ترك المظاهر من غير دليل ، ثم الذي يؤكد ما ذكرناه من التبدل أقوال المفسرين ، قال مقاتل : معنى الآية أنهم بعد العرض والحساب ، لا يرونهم ، والمؤمنون يرونهم . وقال السكابي : يقول إنهم عن النظر إلى رؤية ربهم محجوبون ، والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه ، وسئل ما لك بن أنس عن هذه الآية ، فقال لما حجب أعداء فلم يروه لا بد وأن يتجلى لأوليائه حتى يروه ، وعن الشافعي لما حجب قوماً بالخطأ دل على أن قوماً يرونه بالرضا ، أما قوله تعالى (ثم إنهم أصبحوا على الجحيم) فالمعنى لما صاروا محجوبين في عزة القيامة إما عن رؤية الله على قولنا ، أو عن رحمته وكرامته على قول المعتزلة ، فبعد ذلك يقر بهم إلى النار ثم إذا دخلوا النار ، وعجزوا بتكذيبهم بالبعث والحجاز ، قيل لهم (هذا الذي كنتم به تكذبون) في الدنيا ، ولأنهم عاينوه فلو قوه .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أَذْرُوكَ مَا عَلَيْهِمْ ، كِتَابٌ مَرْفُومٌ ، يَشْهَدُهُ

المقربون ﴾ اعلم أن تعالى لما ذكر حال القادر المطففين ، أتبعه بذكر حال الإبرار الذين لا يطففون ، فقال (كَلَّا) أي ليس الأمر كما توهمه أولئك القهار من إنكار البصير من أن كتابه قد أساطير الأولين . واعلم أن لأهل اللغة في لفظ (عِلِّيِّينَ) أقوالاً ، ولأهل التفسير أيضاً أقوالاً ، أما أهل اللغة قال التفسير الرازي - ج ٣١ ص ٢

أبو الفتح الموصلي (عليه) جمع على وهو فعل من الملو ، وقال الزجاج [عرب هذا الاسم كإعرب
الجمع لأنه على لفظ الجمع ، كما تقول هذه القسرون ورايت قسرين ، وأما القسرون فروى عن ابن
عباس أنها السبا . فزائدة . وفي رواية أخرى إنها السبا السابعة . وقال قتادة ومقاتل هي قائمة
العرش التي فوق السبا السابعة . وقال الضحاك هي مدورة المنتهى . وقال الفراء بنى ارتفاعاً
بعد ارتفاع لا غاية له . وقال الزجاج أعلى الإمكة . وقال آخرون هي مراتب عالية محفوظة
بالجلالة قد عظمها الله وأعلى شأنها . وقال آخرون : عند كتاب أعمال الملائكة . وظاهر القرآن
يشهد لهذا القول الأخير لأنه تعالى قال (وما أدراك ما عيون) فديمأ له على أنه معلوم
له . وأنه سبحانه عزم قال (كتاب مرقوم يشهده المقربون) فبين أن كتبهم في هذا الكتاب المرقوم
الذي يشهده المقربون من الملائكة . وكأنه تعالى كما وكلامهم بالروح المحفوظ . كتبتهم بتركيب يحفظ
كتب الأبرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو أم الكتاب على وجه الإعظام له ولا يمتنع أن المحفوظ
إذا صعدت بكتب الأبرار وأهم يسبونها إلى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب أنفسهم
أر يفكرون ما في تلك الصحائف إلى ذلك الكتاب الذي وكأراً يحفظه ويصير عليهم ثمارة هؤلاء
الأبرار . لذلك يحاسبون حساباً يسيراً ، لأن هؤلاء المقربين يشهدون لهم بما حفظوه من أعمالهم ،
وإذا كان هذا الكتاب في السبا . صح قول من تأوله ذلك على أنه في السبا العالية . فتنقارب
الأعمال في ذلك . وإذا كان الذي ذكرناه أولى .

واعلم أن المعتمد في تحصيل هذه الآية ما بين أن العز والنسبة والضياد والطهارة من علامات
السعادة والسفل والضييق وظلمة من علامات الشقاوة . فلهذا كان المقصود من وضع كتاب
الانذار في أسفل الساطين . وفي أضيق المواضع لإذلال العباد وتحذير شأنهم . كان المقصود من
وضع كتاب الأبرار في أعلى عليين . وشهادة الملائكة لهم بذلك لإجلاتهم وتمجيدهم . وفي
الآية وجه آخر . وهو أن المراد من الكتاب الكتبة . فيكون المعنى أن كتابة أعمال الأبرار
في عليين . ثم وصف عليين بأنه كتاب مرقوم فيه جميع أعمال الأبرار . وهو قول أبي مسلم .
فأقره تعالى (كتاب مرقوم) فبقر تأويلنا (أحدها) أن المراد بالكتاب المرقوم كتاب
أعمالهم (والثاني) أنه كتاب موضوع في عليين كتب فيه ما أهداه لهم من الكرامة والثواب .
واختلفوا في ذلك الكتاب . فقال مقاتل : إن تلك الأشهاد مكتوبة لهم في ساق العرش . وعن
ابن عباس أنه مكتوب في لوح من زبرجد ملحق تحت العرش . وقال آخرون : هو كتاب مرقوم
بما يوجب سرورهم . وذلك بالفضل من رقم كتاب العباد بما يسرهم . وبذلك على هذا المعنى قوله
(يشهده المقربون) يعني الملائكة التي هم في عليين يشهدون ويحفظون ذلك المكتوب . ومن
قال إنه كتاب الأعمال . قال يشهد ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين المقربون من الملائكة
كرامة للزمن .

إِنَّ الْأَرْبَابَ لَنِي نَعِيمٍ ﴿١٦﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٧﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ
نُصْرَةَ الْنَعِيمِ ﴿١٨﴾ يَسْقُونَ مِنْ رِجْحِي غَشْمَةٍ ﴿١٩﴾ يَحْتَمِلُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ
كَالْيَتَامَى الْمُتَنَصِّلُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَرْجُهُمْ قَسِيمٌ ﴿٢١﴾ عَيْنَا يَتَرَبَّيْنَا
أَحْمَرُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ ان الارباب لني نعيم ﴾ : الاربابك ينظرون : تعرف في وجوههم نصرة نعيم
يسقون من رحي غشمة ، غشمة منك وفي ذلك غلبتناقس المتناسون ، ومرجاه من تسيم عينا
يترب بها المقربون .

اعلم انه سبحانه وتعالى ما اعظم كتابهم في الآيات المشددة عظم هذه الآية منزلتهم ، فقال (ان
الارباب لني نعيم) ثم وصف كيفية ذلك النعيم بأمر ثلاثة (ارجاه) قوله (على الاربابك ينظرون)
قال الفاضل : الاربابك الاسرة في الخيال . ولا قسم اربكة فيها وعمرها إلا (اذا كانت كذلك :
وعن الحسن : كنا لا ندرى ما اربكة حتى لقينا رجلا من اهل الجنة فغيرنا ان الاربكة عذم ذلك .
أما قوله (ينظرون) ففيه ثلاثة اوجه (أحدها) ينظرون إلى أنواع نعيم في الجنة من المهور
العين والولدان : وأنواع الامانة والاشربة والملابس والراكب وغيرها ، وقال علي السلام : يلحظ
المؤمن ويحيط بكل ما آتاه الله ، وإن أدناهم يراى له مثل سعة الدنيا ، (والثاني) قال مقاتل ينظرون
إلى عذوبهم حين يعضون في النار (والثالث) إذا اشتبهوا شيئا بطروا إليه فيحضرهم ذلك الشيء في
الحال ، واعلم أن هذه الأوجه الثلاثة من باب أنواع عقس واحد وهو انطوار إليه ، فوجب حمل
اللفظ على الكل ، ونحظر بال تفسير (رابع) وهو اشرف من الكل وهو أنهم ينظرون إلى ريم
ويؤكدها التأويل بما إنه قال بعد هذه الآية (تعرف في وجوههم نصرة نعيم) وانظر
المفكرون بانصرته هو رؤية الله تعالى على ما قال (وجوه يومئذ منصرة إلى رجا فافطرة) وما
يؤكده هذا التأويل أنه يجب الابتداء بذكر اعظم الامانات ، وما هو إلا رؤية الله تعالى (وثانيا)
قوله تعالى ﴿ تعرف في وجوههم نصرة نعيم ﴾ وفيه مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المعنى إذا رأيتهم عرفت أنهم أهل النعمة بسبب ما رى في وجوههم من
القرآن الدالة على ذلك ثم في تلك الفرائز قولان :

(أحدهما) أنه ما يشاهد في وجوههم من العذبة والاحقاد ، على ما قال تعالى (وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مسبرة) .

(والثاني) قال عطاء : إن الله تعالى يزيد في وجوههم من النور والحسن والياض ما لا يصفه واصف ، ونسب النظر : قد سبق عند قوله (ناضرة) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرئ : (تعرف) على البناء للمفعول (ونظرة التعميم) بالرفع :

(وثالثها) قرأه يفتون من رحيق (وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في بيان أن الرحيق ما هو ؟ قال الميث (الرحيق) آخر ، وأشد لحسان يردى يصفى بالرحيق السلسل

وقال أبو عبيدة والزجاج (الرحيق) من آخر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده ، وأنه هو آخر الذي وصفه الله تعالى قوله (لا فيها غول) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكر الله تعالى لهذا (الرحيق) صفات :

(الصفة الأولى) قوله (مخنوم) وفيه وجوه : (الأول) قال القفال يشتمل أن هؤلاء يدعون من شراب مخنوم قد ختم عليه تكرباً له بالحفاية على ما حرت به السادة من شتم ما يكرم ويصلى ، وهناك آخر آخر تجرى منها أنهار كما قال (وأنهار من خرقة الشاربين) إلا أن هذا المخنوم أشرف في الجارية (الثاني) قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج المخنوم الذي له خاتم أى عاقبة (وثالث) روى عن عبد الله بن مخنوم أنه تزوج ، قال الواحدى : وليس بتفسير لأن الختم لا يكون تفسيره المازج ، ولكن لما كانت له عاقبة هي ريح المسك فسموه بالمزج ، لأنه لو لم يخرج بالمسك لما حصل فيه ريح المسك (الرابع) قال مجاهد مخنوم مطايع . قال الواحدى كان مراده من الختم بالطين . هو أن لا تفسد به إلى أن يفك ختمه الأبرار ، والأقرب من جميع هذه الوجوه الوجه الأول الذي ذكره القفال (الصفة الثانية) لهذا الرحيق قوله (خاتمه مسك) وفيه وجوه (الأول) فإن القفال : معتبه أن الذي يختم به رأس فدووة ذلك الرحيق هو المسك . كالعين الذي يختم به رسوم القوارير ، فكذا ذلك المسك رطب ينطبع فيه الخاتم ، وهذا الوجه مطابق للوجه الأول الذي حكاه عن القفال في تفسير قوله (مخنوم) ، (الثاني) المراد من قوله (خاتمه مسك) أى عاقبه المسك أى يختم له آخره بريح المسك ، وهذا الوجه مطابق لوجه الذي حكاه عن أبي عبيدة في تفسير قوله (مخنوم) كأنه تعالى قال من رحيق له عاقبة ، ثم فسر تلك العاقبة بهذا ذلك عاقبة مسك أى من شره كان ختم شره على ريح المسك ، وهذا قول علقمة والضحك وسعيد بن جبير ، ومقاتل وقادة قالوا إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريماً المسك ، والمضى نفاذة اللطاع وذكره الرازي وأرجها ، مع طيب الطم ، والختم آخر كل شيء ، وعنه يقال ختم القرآن : والإعمال بخواتمها ، وذكره فراه على عليه السلام ، واختار السكاني بأنه يقرأ (خاتمه مسك) أى آخره كما قال خاتم النبيين . قال القراء وعلم متغاربون في المعنى إلا أن الخاتم اسم واختام مصدر كقوفهم هو كرم الطابع والطابع (الثالث) معناه خلطه مسك ، وذكروا أن فيه طعماً لطيفاً ، وقيل بل ريحه ، وأقول لعل المراد أن آخر المزوج بهذه الألفويه الحارة مما بين على أفهم وتغوية

الشهوة ، فقل المراد منه الإشارة إلى قوة شهوتهم وحمية أبدانهم ، وهذا القول : وله سديد من جبر
عن الأسود عن عائشة تقول المرأة لقد أحدث حتر طوى . أى فقد أحدث اعتلا طوى ، قال
أبو الدرداء هو شراب أبيض مثل تفتة ، يحمرون به أعر شرهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا
ادخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيب ريحه .

(الصفة الثانية) قوله تعالى (وفي ذلك طبائفس للشاففس) قال الواحدى : قال غصت
عليه الشئ . نفسه غاصه إذا غشيت به ولم تحب أن يصير إليه ، والشافف تعاض منه كثر كل واحد
من تشاففين يريد أن يشتر به ، واشفى : وفي ذلك طيب غاب ارغام في المبادرة إلى طاعة الله ،
واعلم أن ما يالعه الله تعالى في التزغيب به يدل على قدر شأنه ، وفيه إشارة إلى أن الشافف
يجب أن يكون في مثل ذلك التهم العظيم الدائم ، لا في التهم الذي هو مكدر سريع الفناء .

(الصفة الثالثة) قوله تعالى (ومزاجه من تسهم) وفيه مسائل :

المسألة الأولى : تسهم على اثنين يعني في الجنة سميت بالتسهم الذي هو مصدر ساهه إذا
رسه ، إما لأنها أرفع شربا في الجنة ، وإما لأنها تأنيهم من فوق ، على ما روى أبو يعزى في الخبر ،
مسألة فنصب في أولانهم ، وإما لأنها لأجل كثرة مدتها وسرعنة تسلي على كل شئ . ثم به وهو
تسليمه ، أو لأنها عند الطوى يرى فيه ارتفاع وانخفاض ، فهو تقديم أيضا ، وذلك لأن أصل هذه
الكلمة للعلو والارتفاع ، ومنه صام الزبير وتسمت الخياط إذا علوته ، ولما قول القدرين :
فروى ميعون من مهران أن ابن عباس سأل عن التسهم ، فقال هذا لما يقول الله (فلان لم نفس
ما أخفى لحم من قرء أمين) وبقر به ما قال الحسن وهو أنه أمر أصفاء الله تعالى لأهل الجنة
قال الواحدى : وعلى حسنة لا يعرف له اشتقاق وهو اسم معرفة ، وعن عكرمة (من تسهم)
من شريف :

المسألة الثانية : أنه تعالى ذكر أن تسهم عين يشرب بها المقربون . قال ابن عباس أشرف
شراب أهل الجنة هو تسهم ، لأنه يشربه المقربون حرماً ، ويخرج لأصحاب الجن .

واعلم أن الله تعالى لما أتم المكلفين في سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام : المقربون ، وأصحاب الجن
وأصحاب الشمال ، ثم له تعالى لما ذكر كرامة المذكورين في هذه السورة بأنه يمزج شرابهم من
عين يشرب بها المقربون : علنا أن المذكورين في هذا النوع هم أصحاب الجن ، وأقول هذا يدل
على أن الأنهار متفاوتة في القيمة ، فتسهم أفضل أنهار الجنة ، والمقربون أفضل أهل الجنة ،
وتسهم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ولذة النظر إلى وجه الله الكريم ، والحقيق هو الانبعاث
بطلالة عالم الموجودات ، فالمقربون لا يتربون إلا من التذوق ، أى لا يشتغلون إلا بمداولة وجهه
شكرهم ، وأصحاب الجن يكون شرابهم مزوجاً . فذرة يكون نظرم (لله ذرة إلى عروقائه .

المسألة الثالثة : عينا نصيب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال ، وقوله (يشرب بها
المقربون) كقولهم (يشرب بها عبادة الله) وقد مر .

سائر القرآن (ما كين) بالألف وقرأ الباقون ما كين بالألف ، فقبل هذا ما كين ، وقبل ما كين أى متبعين مشغولين بما هم فيه من الكفر والندم ، الدنا وهكهن ، معيين (ورابعها) قوله تعالى (وإذا رأهم قاتوا إن هؤلاء لضالون) أى هم على ضلال فى تركهم لندمهم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أم لا ، وهذا أمر ماحكاه تعالى عن الكفار .

ثم قال تعالى (وما أرسلوا عليهم حاجطين) أى أن الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رفاقا على المؤمنين ، يعظون عليهم أحوالهم ويتفقّدون ما يصنعونه من حق أو باطل ، فيموتون عليهم ما يستحقونه فضلا ، بل إنما أمروا بإصلاح أنفسهم .

قوله تعالى : ﴿ غاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ فیه مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المعنى أن فى هذا اليوم الذى هو يوم تصفح الأعمال والحساب يضحك المؤمن من الكفار ، وفى سبب هذا الضحك وجوه (أحدها) أن الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين فى الدنيا بسبب ما هم فيه من الضيق والؤس ، وفى الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من أنواع العذاب والبلاء ، ولأنهم علموا أنهم كانوا فى الدنيا على غير حق ، وأنهم قد باعوا بأقبا غائبا يرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقبر والمرا بالنصب البديرة الراحة الأبد ، ودخلوا الجنة فأجلسوا على الأرائك ينظرون إليهم كيف يصذبون فى النار وكيف يد طرغون فيها ويدعون بالويل والتوبيد ويلعن بعضهم بعضا (ثانى) قال أو صالح يقال لأهل النار وهم فيها اخرجوا وفتح لهم أبوابها ، وإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت أبوابهم ، فذلك هو سبب ضحكهم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (على الأرائك ينظرون) حال من يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الموان والهموم وبد الذرة والكبر .

ثم قال تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفتنون) ثوب عني أنيب أى الله أنيب ، قال لوس :

سأجزيك أو يحزبك نعى ثوب - وحيث أن بنى عليك وتحمدى

قال الميرد : وهو فعل من الثواب ، وهو ما يثوب أى يرجع إلى فاعله جزاء ما عمله من خير أو شر ، والثواب يستعمل فى المكانة بالشر ، ونشد امر عبدة :

الآنبلغ أيا حسن رسولا - فالك لا نهي . إلى الثواب

والأولى أن يعمل ذلك على سبيل التذكير بقوله (ذق المك أنت الذرى الكريم) والمعنى كأنه تعالى يقول للمؤمنين : هل جازينا الكفار على علمهم الذى كان من حجت ضحكهم بكم واستهزؤهم بفرطكم ، كما جازيناكم على أعمالكم الصالحة ؟ يسكن هذا القول رائدا فى مرورهم ، لأنه ينفع زيادة فى تطهيرهم والاستغناء بآعادتهم ، والمقصود منها أحوال القباة ، والله أعلم .

(٨٤) سُوْرَةُ الْاِنْشِقَاقِ كَيْتَمُ
وَاَيُّهَا الْاَحْسَنُ عَشْرُوْنَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ

③ وَأَنْفَتْ مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿ إِذَا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ، وأنفت ما فيها وتحلت ، وأذنت لربها وحقت ﴾ .

أما انشقاق السماء فقد مر مراراً في مواضع من القرآن ، وعن حل عليه السلام أنها تنشق من الجبهة ، أما قوله (وأذنت لربها) ومعنى أذن له استمع ، وهذه قوله عليه الصلاة والسلام : « ما أذن الله لشيء ، كإذنه لشيء يغني بالقرآن » ، والشهد أبو عبيدة والمجدد والزجاج قول نصيب :
صم إذا سمعوا خيراً أذكرك به وإن ذكرك بشر عديم أذنوا

والمعنى أنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتخريق أجزائها ، فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أقصت له وأذعن ، ولم يمنع قوله (فألنا أنينا طائمين) يدل على هذا القدرة في الإيجاد والإعدام من غير عائق أصلاً ، وقوله هنا (وأذنت لربها) يدل على نفوذ القدرة في التخريق والإلقاء والإفناء من غير عائق أصلاً ، وأما قوله (وحقت) فهو من قولك هر حقوق بكذا ، وحقيق به ، يعني وهي حقيقة بأن تفاد ولا تمنع ذلك لأنه جسم ، وكل جسم فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فإن الوجود والعدم بالنسبة إليه على السوية ، وكل ما كان كذلك ، كان ترجيح وجوده على عدمه أو ترجيح عدمه على وجوده ، لا بد وأن يكون بتأثير واجب الوجود وترجيحه ، فيكون تأثير قدرته في إيجاد ، وإعدامه ، تفادياً سارياً من غير عائق أصلاً ، وأما ما يمكن أن يلبس له (إلا الضيول والاستمداد ، ومثل هذا الشيء ، حقيق به أن يكون قابلاً لوجود نازع ، وللعدم أخرى من واجب الوجود ، أما قوله (وإذا الأرض مدت) فعبارة (الأول) أنه مأخوذ من « رالشيء فامتد » وهو أن تزال حياته بالفلسف كما قال (ريدالونك هر الجبال مثل ينسفها في لصفاً) بسوى ظهرها ، كما قال (فاعاً صفتها لا ترى فيها عرجاً ولا أماً) وعن ابن عباس مدت مد الأرض

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا قَلِيلًا ﴿١﴾

الكامل ، لأن الأدم إذا عدل كل إنشاء فيه واستوى (الثاني) أنه مأخوذ من مده بمعنى أمده أي يزداد في سنها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب ، وأعلم أنه لا بد من الزيادة في وجه الأدم سواء كان ذلك بنسبها أو بإمدادها ، لأن خلق الأرواح والآخرين لما كانوا واقفين يوم القيامة على ظهرها ، فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها ، أما قوله (وَأَدَّتْ مَا فِيهَا) فإلغى أنها لما مدت رمت جسدا في جوفها من الموت والكنوز ، وهو كقولها (وأخرجت الأرض أنثانا ، وإذا تقدر بعثت ، ويتر ما في القبور) وكقولها (ألم يجعل الأرض كدنا أجنادا وأمرانا) وأما قوله (ونحلت) فإلغى ونظمت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء ، كأنها تكلفت أنفسي جهدها في الخلو ، كما يقال شكرم الكرم ، وترجم الرجم ، إذا بلغا جهدهما في الكرم الرقة وتكلمنا فوق ما في طبعهما ، وأعلم أن التحقيق أن الله تعالى هو الذي أخرج تلك الأشياء من بطن الأرض إلى طهرها ، لكن الأرض وصفت بذلك على سبيل التوسيع ، وأما قوله (وَأَدَّتْ لَهَا رَحْمَتٌ) فقد تقدم تفسيره إلا أن الأول في السهل وعذابي الأرض ، وإذا اختلف وجه الكلام لم يكن تكرارا .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا قَلِيلًا ﴾

أعلم أن قوله تعالى (إذا السماء انشقت) إل قوله (يا أيها الإنسان) شرط ولا بد منه من جزاء واختلافه على وجوه (أحدها) قال صاحب الكشاف : حذف جواب إذا لينهيب الوم إلى كل شيء ، فيكون أدخل في التوبيخ (وثانيها) قال الفراء : إنما ترك الجواب لأن هذا المعنى معروف قد تردد في القرآن بسننه معروف ، ونظيره قوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ترك ذكر القرآن لأن الصريح به قد تقدم في سائر المواضع (وثالثها) قال بعض المحققين الجواب هو قوله (فلا فية) بقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) مترس ، وهو كقولهم انما إن كان كذا وكذا ، أي الإنسان ترى عند ذلك ما فعلت من غير أن أمر ، فكذا هذا . والتفسير إذا كان يوم القيامة أتى الإنسان عمله (ورأيها) أن الذي يحول على التقديم والتأخير فكأنه قيل : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا قلا فية) (إذا السماء انشقت) وعامت القيامة (ورأيها) قال الكشاف إن الجواب في قوله (فأما من أوتي كتابه) وأعرض في الكلام قوله (يا أيها الإنسان إنك كادح) والمعنى إذا الدنيا انشقت ، وكان كذا وكذا (فمن أوتي كتابه يمينه) فهو كذا ومن أوتي كتابه وراء ظهره فهو كذا ، ونظيره قوله تعالى (علما بأنكم من هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) ، (وسادسها) قال الفاضل إن الجواب ما دل عليه قوله (إنك كادح) كأنه تعالى قال : يا أيها الإنسان ترى ما فعلت فاكدهم لذلك اليوم أي الإنسان تنهروا بالنسيم

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ رِجْمَيْنَهُ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يَحْسَابُ حِسَابًا ۖ ﴿٨﴾
وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾

أما قوله (يا أيها الإنسان) ففيه قولان (الأول) أن المراد جنس الناس كما يقال أيها الرجل ، وكذا ذلك الرجل ، فكذلك هذا . وكأنه خطاب خاص بكل واحد من الناس ، قال النزال وهو المبلغ من العموم لأنه قائم مقام التخصيص على محاطية كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام فإنه لا يكون كذلك (والثاني) أن المراد منه رجل بمته ، وهو : أي فيه قولان (الأول) أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم والفتى أنك تكادح في إبلاغ رسالات الله وإرشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار ، ما يترتب عليك إلى الله بهذا العمل وهو غير صانع عنده . (الثاني) قال ابن عباس : هو أن من خاف ، وكذبه جده وأبيه في طلب الدنيا ، وبذل الرسول عليه السلام ، والإصرار على التكبر ، والأقرب أنه محمول على الجنس لأنه أكثر عائدة . ولأن قوله (وأما من أوتي كتابه رجبين) (وأما من أوتي كتابه رجا طهره) كانوا عين ته . وذلك لأنهم لا إذا كان جاساً . أما قوله (إنك كادح) فاعلم أن الكادح جود الناس في العمل والكادح فيه حتى يؤثرهم من كادح يخله إذا حدثه . أما قوله (إلى ربك) فيه ثلاثة أوجه (أولها) أنك كادح إلى قادريك وهو الموت أي هذا الكادح يستمر ويبقى إلى هذا الزمان . وأقول في هذا التفسير تنكته لطيفة ، وذلك لأنها تقتضي أن الإنسان لا ينك في هذه الحياة الدنيوية من أولها إلى آخرها عن الكادح والمثسفة والتميب ، وإنما كانت كلمة إلى لأجل الغاية . ومضى يدل على وجوب انتهاء الكادح والشفقة بانتهاء هذه الحياة ، وأن يكون الحاصل بعد هذه الهدية بعض المادة والرحمة ، وذلك معقول ، فإن نسبة الآخرة إلى الدنيا كدس الدنيا إلى رحم الآم ، كما صرح أنه يقال : يا أيها الجن إنك كادح إلى أن تفصل من الرحم ، فكان ما بعد الانفصال عن الرحم بالهدية إلى ما قبله خالصاً عن الكادح والظلمة فزجوا من فضل الله أن يكون الخلال فيها بعد الموت كذلك (وثانيها) قال القفال التفسير إنك كادح في دينك كدساً تصير به إلى ربك فهذا التأويل حسن استبدال حرف إلى بها (وثالثها) يحتمل أن يكون دخول إلى على معنى أن الكادح هو الله ، فكأنه قال سابع بملك (إلى ربك) أما قوله تعالى (فلا فيه) فيه قولان (الأول) قال الزجاج فلا في ربك أي ملاقي حكمه لا مفر لك منه . وقال آخرون التفسير عاكس الكادح ، إلا أن الكادح عمل وهو معرض لا يبق فلا فاته محتمل . فوجب أن يكون المراد ملاقة الكتاب الذي فيه بيان تلك الأعمال . وبنا كد هذا التأويل بقوله بعد هذه الآية (وأما من أوتي كتابه رجبين) .

قوله تعالى : ﴿٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ رِجْمَيْنَهُ فَيَسُوفُ يَحْسَابُ حِسَابًا ۖ وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾

وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، ﴿٦٦﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٦٧﴾

فالمتى فأمّا من أعطى كتاب أعماله يحته (سوف يحاسب حساباً يسيراً) وسوف هو الله واجب وهو كقول القائل ، اتبعني سوف بعد حبراً ، فإنه لا يريد به الشك ، وإنما يريد زفير اسكلام ، والحساب البهر هو أن تعرض عليه أعماله ، ويعرف أن الطاعة منها هذه ، والمعصية هذه ، ثم يثاب على الطاعة ويشاور عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ، ولا يقال له لم صعد هذا ولا يطالب بالعرفه ولا بالحجة عليه ، بله متى طالب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفصح . ثم إنه عند هذا الحساب اليسير يرجع إلى أهله ويمروراً بالثواب والآثام المذات ، والمراد من أهله أهل الجنة من الطور العين أو من زوجاته وذرياته إذا كانوا مؤمنين ، ذلك هذه الآية على أنه سبحانه أعد له ولأهله في الجنة ما يليق به من الثواب ، عن عائشة رضى الله عنها قالت وصمت رسول الله ﷺ يقول اللهم حسبني حساباً يسيراً ، قلت وما الحساب فيسير ؟ قال ينظر في كتابه ويشاور عن معيّناته ، فأمّا من توفش في الحساب فقد هلك ، وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ من توفش في الحساب فقد هلك فقلت يا رسول الله إن الله يقول (وأما من أوتي كتابه بيمينه سوف يحاسب حساباً يسيراً) فإن ذلك العرض ، ولكن من توفش الحساب عجب ، وفي قوله يحاسب إشكال لأن الحاسبة تكون بين اثنين ، وليس في القيامة لأحد قبله مطالبته بحسابه (وجوابه) أن العبد يقول إني فست المعصية الغلانية ، فكأن ذلك بين الرب والعبد بحسبه والليل على أنه تعالى خص التكفار بأنه لا يكلمهم ، فدل ذلك على أنه يكلم المطيعين والبريد بكلامه فكانت الحكمة محاسبة .

أما قوله ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ فله مبرر فيه وحده (أحدها) قال السكلي : السبب فيه لأن يمينه مشغولة إلى عقبه ويده اليسرى خلف ظهره (وإنها) قال جاهد تطلع يده اليسرى فتجمل من وراء ظهره (وثالثها) قال قوم : يتحول وجهه في فعله ، فيقرأ كتابه كذا ذلك (ورابعها) أنه يؤتى كتابه يشأله من وراء ظهره لأنه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين يمنع من ذلك وأوتى من وراء ظهره يشأله (بأن قيل) ليس أنه قال في سورة الحاقة (وأما من أوتي كتابه يشأله) ولم يذكر ظهر (وأجواب) من وجهين (أحدهما) يعمل أن يؤتى يشأله وراء ظهره على ما حكى عنه عن السكلي (وإنها) أن يكون بعضهم يعطى يشأله ، وبعضهم من وراء ظهره .

أما قوله ﴿ وسوف يدعوا ثُبُورًا ﴾

فاعلم أن الثبور هو الهلاك ، وإنما في أنه أما أوتي كتابه من عديم بينه علم أنه من أهل النار فيقول وأتوبوا . قال القرطبي : العرب تقول فلان يدعوا لفعه ، إذا قال والعداء . وفيه وجه آخر ذكره القفال ، فقال الثبور مشتق من المثاره على شيء . وعن الموافقة عليه نفسى هلاك الآخرة ثبور لأنه لازم لا يزول ، كما قال (إن عذابها كان غراماً) وأصل الغرام الزرور والولوع .

وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٣﴾ بَلَىٰ

قوله تعالى : ﴿ ويصل سعيهما ﴾ فيه مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ يقال صلى الكافر النار ، قال الله تعالى (ويصلون سعيرا) وقال (ونصله جهنم) وقال (إلا من هو صالح الجحيم) وقال (لا يصلحها إلا الأشتى ، الذي كذب ونزل) والمعنى أنه إذا أصلى كتابه بنسائه من وراء ظهره فإنه يذبحها الثيور ثم يدخل النار ، وهو في النار أيضا يذبح ثيورا ، كما قال (دعوا هناك ثيورا) وأحدهما لا يلقى الآخر ، وإنما هو على اجنباهما قبل دخول النار ويبدأ دخولا ، فمؤذ بالله منها وما قرب إليها من قول أو عمل .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فرأى حاصم وحزة وأبو عمرو ويصل بعضهم لليل والختيف كقوله (نصله جهنم) وهذه القراءة مطابقة لقراءة المشورة لأنه يصل فيصل أي يدخل النار ، وغرأ ابن عامر ونافع والكسائي بعضهم الياء مثله كقوله (ونصلية جحيم) وقوله (ثم الجحيم صلوه) .

أما قوله تعالى ﴿ إنه كان في أهله مسرورا ﴾ فقد ذكر الفقهاء فيه وجهين (أحدهما) أنه كان في أهله مسرورا أي منها مسترجعا من النسيب بأداء العيادات واحتياط مشقة الفرائض من الصلاة والصوم والجهاد مقصدا على المعاصي آمنا من الخياب والثواب والعقاب لا يخاف الله ولا يرجوه فأبده الله بذلك السرور الثاني غما بانيا لا ينقطع . وكان المؤمن الذي أوفى كتابه بيمينه حقيقا من المعاصي غير آمن من العذاب ولم يكن في دنياه مسرورا في أهله بلجمله الله في الآخرة مسرورا فأبده الله تعالى بالنعم الثاني سرورا دائما لا ينفذ (الثاني) أن قوله ﴿ إنه كان في أهله مسرورا ﴾ كقوله (وإذا اقبلوا إلى أهلهم اقبلوا فكبين) أي متسمين في الدنيا محبين بما هو عليه من الكفر فكذلك هنا يحتمل أن يكون للمعنى أنه كان في أهله مسرورا بما هم عليه من الكفر بالله والكذب بالبصيص يضحك من آمن به وصدق بالحساب ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الدنيا سجن المؤمن وسجن الكافر » .

أما قوله ﴿ إنه ظن أن لن يحور ﴾ فاعلم أن الحور هو الرجوع والحوار المرجع والمصدر وعن ابن عباس . ما كنت أدري ما معنى يحور . حتى سمعت اعرابية تقول لا يتأخرون أي أرجعي ، ونقل الفقهاء عن بعضهم أن الحور هو الرجوع إلى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا ونمود بأنه من الحور بعد الكور ، فعلى الوجه الأول معنى الآية أنه ظن أن لن يرجع إلى الآخرة أي لن يمت ، وقال مقاتل وابن عباس حسب أن لا يرجع إلى الله تعالى ، وعلى الوجه الثاني أنه ظن أن لن يرجع إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والنعم .

ثم قال تعالى ﴿ بل في أي ليعن » وعلى الوجه الثاني يكون المعنى أن الله تعالى يبدل سروره بهم لا ينقطع وتسمعه بلاء لا ينهي ولا يزول .

إِنْ رَبُّكَ كَانَ بِدَيْبِ بَصِيرًا ﴿١﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿٣﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿٤﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿٥﴾ فَتَنَّمَّ لَا يَأْمُرُونَ ﴿٦﴾

أما قوله ﴿١﴾ إن ربه كان بصيراً ﴿١﴾ فقال الكلبي كان بصيراً به من يوم خلقه إلى أن يبعثه ، وقال عطاء بصيراً بما سبق عليه في أم الكتاب من الشفاء . وقال عطاء بصيراً بما سبق به . وقال الزجاج كان عالماً بأن مرجعه إليه ولا فائدة في هذه الأفعال . إنما الفائدة في وجهين ذكرهما الفصيح (الأولي) أن ربه كان عالماً بأنه سيحزيه (والثاني) أن ربه كان عالماً بما تسلمه من الكفر والمعاصي فلم يكن يحوز في حكمته أن يبدله فلا يهانه على سوء أفعاله . وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي . قوله تعالى : ﴿٢﴾ فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقاً عن طبق . فما لهم لا يؤمنون ﴿٦﴾

أعم أن قوله تعالى ﴿٢﴾ فلا أقسم بالشفق ﴿٢﴾ فيه مسائل :

﴿١﴾ المسألة الأولى ﴿١﴾ أن هذا قسم ، وأما حرف لا فقد تكسايه في قوله تعالى (لا أقسم يوم القيامة) ومن حله الوجه المذكور هناك أن لا في ورد الكلام قبل القسم وخروج هذا الوجه هنا ظاهر ، لأنه تعالى حكى ما عن المشرك أنه ضل أن يحزر بقوله لا رد لتلك القول وإبطال لذلك الظن ثم قال بعده أقسم بالشفق .

﴿٢﴾ المسألة الثانية ﴿٢﴾ قد عرفت الاختلاف الدلالي في أن القسم واقع بهذه الأشياء أو بخالفها . وعرفت أن المتكلمين ذموا أن القسم واقع برب شفق وإن كان محذوفاً ، لأن ذلك معلوم من حيث ورد الخطر بأن يقسم الإنسان بغير الله تعالى .

﴿٣﴾ المسألة الثالثة ﴿٣﴾ تركب لفظ الشفق في أصل اللغة لاقعة الشيء ، ومنه يقال توب شفق كأنه لا يملك لاقته . ومنه قال اللزدني . من الأشياء شفق . واشفق عليه إذا رى قلبه عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق العلماء على أنه اسم لأكثر الناس من الشمس في الأفق بعد غروبها إلا ما يحكي عن مجاهد أنه قال الشفق هو النهار ، وعليه (نما ذهب إلى عدمه) لأنه تعالى عطف عليه الخبر فيجب أن يكون المذكور لولا هو النهار فافسر على هذا الوجه واقع بالليل والنهار المتبين أحدهما حساساً ونشأ سكن وجها قوام أمور العالم ثم انتظروا بعد ذلك فذهب عامة العلماء إلى أنه هو المرة وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل . ومن أهل اللغة قول اللب والفراء والزجاج . قال صاحب الكشاف وهو قول عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين عنه أنه البياض وروى أسد بن عمر أنه جمع عنه . واحتجوا عليه بوجوه (أحدها) قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه توب مصحح كأنه الشفق وكان أمراً . قال فدا ، ذلك على أن الشفق هو المرة

(وثانيها) أنه جعل الشفق وقتاً للعشاء الأخيرة فوجب أن يكون المعتبر هو الحرمة لا البياض لأن البياض يمتد وقته ويطول ليلته ، والحرمة لما كانت قبة ضل الشمس ثم بددت الشمس غرب الانقي ذهبت أخره (وثانيها) أن اشتقاق الشفق لما كان من الزفة ، ولا شك أن الضوء يأخذ في الزفة والضعف من عند غيب الشمس فيكون الحرمة شقفاً . أما قوله (والنيل وما وسى) فقال أهل اللغة وسى أى جمع ومه الزمنى وهو الطعام المجمع الذى يكال ويوزن ثم صار اسماً للعمل واستخدمت للإنسان إذا اجتمعوا وانضمت والزاعي يسقها أى يحسها قال صاحب التكملة يقال وسى غانق واستوسق وظهوره فى وقوع الفعل والعمل معا وعين اتسع واستوسق ، وأما المعنى فقال الخليل : محروح الأقويل المفسرين بذلك على أنهم سروا قوله تعالى (وما وسى) على جميع ما جمعه الليل من التجموع ورجوع الخيول عن الانتشار وتحرك ما يترك فيه الحوام ، ثم هذا يحتل أن يكون إشارة إلى الأشياء كلها لا اشتغال الليل عنها فكانه تعالى أقسم بجميع المخلوقات كما قال (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) وقال سيد بن جبير ما عمل فيه . قال القفال يحتل أن يكون ذلك هو تعبد العباد فمدح الله تعالى بها المستغفرين بالأسحر فيجوز أن يخلف هم وإنما قلنا إن الليل جمع هذه الأشياء كلها لأن طلته كآنها تحل الجبال والبحار والشجر والخيوانات ، فلا جرم صح أن يقال وسى جميع هذه الأشياء . أما قوله (والقمر إذا انشق) علم أن أصل الكلمة من الاجتماع يقال وسى غانق كما يقال وصله فافصل . أى جرت فاجتمع ويقال أمور ملان مشقة أى عذبة على الصلاح كما يقال منطلقة . وأما أهل الانساب فقال ابن عباس : إذا انشق أى استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار وذلك ليلة ثلاثة عشر إلى ستة عشر ، ثم إنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر ما به أقسم أتبعه بذكر ما عليه أقسم فقال (أتركبن طبقاً من طين) وفيه مدائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرئ (أتركبن) على خطاب الإنسان فى يا أيها الإنسان (وأتركبن) بالضم على خطاب الجنس لأن الداء فى قوله (يا أيها الإنسان) كادج (للجنس) (وأتركبن) بالكسر على خطاب النفس . وأتركبن بإزاء على المماثلة أى أتركبن الإنسان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الطين ما طابق غيره يقال ما هذا بطون كذا أى لا يطابقه . ومنه قول لفظ الطين وطبق الذى ما يطابق منه . قيل الداء المطابقة لغيرها طين . ومنه قوله تعالى (طبقاً من طين) أى حالاً بعد حال كل واحدة مطابقة لأخرى فى القدة والحول . ويجوز أن يكون جمع طبقه وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال من طبقات فى كثرة بعضها أو رفع من بعض وهى الموت وما بعد من أحوال القيامة . وتذكر الآن وجوه التفسيرين نقول : أما القراءة برفع الباء وهو خطاب الجميع فاحتل وجوهاً : (أحدها) أن يكون المعنى لتركبن أيها الإنسان أمراً وأحوالاً أمراً بعد أمر وحالاً بعد حال ومنه لا بعد منزل إلى أن يستغفر الأمر على ما تضمنه على الإنسان أول من جنة أو نارا عذبته يحصل كدوام والخلود . إما فى دار التراب أو فى دار العقاب

ويدخل في هذه الجملة أحوال الإنسان من يكون نطفة إلى أن يصير شخصاً ثم يموت فيكون في البرزخ ، ثم يحشر ثم يقبل ، إما إلى جنة وإما إلى نار (وثانيها) أن معنى الآية أن الناس يلقون يوم القيامة أحوالاً وشذاتٍ حالاً بعد حال رشفة بعد شدة كأنهم لما أنكروا البعث أقسم الله أن البعث كائن وأن الناس يلقون فيها الشذات والأحوال إلى أن يفرغ من حسابهم فيصير كل أحد إلى أعدله من جنة أو نار وهو نحو قوله (يلى وبنى سبعين ثم ننطق بهم عليهم) وقوله (يوم يكشف عن الحق) وقوله (يوم يجعل الولدان شيعاً) ، (وثانيها) أن يكون الناس أن الناس تنقل أحوالهم يوم القيامة عما كانوا عليه في الدنيا فترضع في الدنيا يصير رضيعاً في الآخرة ، ومن ربيع يتضع ، ومن مدم يشق ، ومن شق ينعم ، وهو كقوله (خاصة رافعة) وهذا التأويل مناسب لما قبل هذه الآية لأنه فقال لما ذكر حاله من يؤتى كتابه وراء ظهره ، أنه كان في أهله مسروراً ، وكان يظن أن لن يحور أخيراً أنه يحور ، ثم أقسم على الناس أنهم يركبون في الآخرة طبقاً عن طبق أى حالاً بعد حالهم في الدنيا (ورأيها) أن يكون المعنى لركب سنة الأولين من كان ليملك في التكذيب ماثورة والقيامة ، وأما القراءة نصب الياء فيها قولان :

(الأول) قول من قال : إنه خطاب مع محمد ﷺ وعلى هذا التقدير ذكروا وسبب (أحدهما) أن يكون ذلك بشارة في ﷺ بالظفر والعلبة على المشر كين المكذبين بالبعث ، كأنه يقول أقسم يا محمد لركب حالاً بعد حال حتى ينعم ثم يحصل العاقبة فلا يحول لك تكذيبهم وتماذيرهم في كفرهم . وفي هذا الوجه أحاديث آخر يقرب ما ذكرنا ، وهو أن يكون المعنى أنه ركب حال خضر وغلبة بعد حال خوف وشدة ، واحتمال ثالث : وهو يكون المعنى أن الله تعالى يبده بالمشر كين أنصاراً من المسلمين ، ويكون عاز ذلك من قوهم طبقات الناس ، وقد بصلح هذا التأويل على قراءة من قرأ بضم الياء ، كأنه خطاب للمسلمين فيعرف تغسل الأحوال بهم وتصيرون إلى الظفر بعدهم بعد شدة التي يقعونها منهم ، كما قال (لنلقون في أمركم وانفكم) الآية (وثانيها) أن يكون ذلك بشارة لمحمد ﷺ بعد مودته إلى استيلاء مشاعده ملكوتها ، وإجلال الخلافة إياه فيها ، والتمني لركب ما بعد التسودات طبعاً عن طبق ، وقد قال تعالى (سيع سموات عاباقاً) وقد فعل الله ذلك إليه الإسراء ، وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وابن مسعود (وثانيها) تركب يا محمد درجة ودرجة يسديرة في القرب من الله تعالى .

(في القول الثاني) في هذه القراءة ، أن هذه الآية في الدنيا وتغيرها من حال إلى حال ، والذي لركب الياء يوم القيامة حالة بعد حالة . وذلك لأنها أولاً تنطق كما قال (إذا استبها انضفت) ثم تنفطر كما قال (إذا استبها انضطرت) ثم تعير (وردة كالدعان) ونارة (كالهبل) على ما ذكر الله تعالى هذه الأشياء في آيات من القرآن فكانه تعالى لما ذكر في أول السورة أنها تنطق أقسم في آخر السورة أنها تنقل من أحوال إلى أحوال ، وهذا الوجه مروي عن ابن مسعود .

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى (عن طيق) أى بعد طيق كقول الشاعر :

مارئت أنقطع من لا عن منهل حتى ألتفت بباب عبد الواحد

ورجعه هذا أن الإنسان إذا صار من شيء إلى شيء آخر فقد صار إلى الشيء بعد الأول فطاعت

بعد وعن معانيه ، وأيضاً لفظة عن نفية البد والجاوزة فكانت مشابة للامعة بعد .

قوله تعالى : ﴿ فإلهم لا يؤمنون ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الآيب أن المراد (فالهم لا يؤمنون) بصحة البعث والقيامة لأنه فداى

حكى عن الكافر (بأنه ط أن لا يجوز) ثم انتهى سبحانه بأنه يجوز فداى قال بعد ذلك (فالهم

لا يؤمنون) يدل على أن المراد (فالهم لا يؤمنون) بالبعث والقيامة . ثم اعلم أن قوله (فإلهم

لا يؤمنون) استعظام بمعنى الإنكار ، وهذا أيضاً يحسن عند ظهور الحجج وذوال الشهادت ، الأمر

هنا كذلك ، وذلك لأنه سبحانه أقسم بتغييرات واقعة فى الأعلام والمناظر ، فإن الشفيع حالة مخالفة

لما دأبوا وهو صدور النهار ، ولما بدعوا وهو طاعة الآل ، وكذا قوله (والليل وما وسى) فإنه يبدو

على حدوث ظلمة بعد نور . وعلى غير أحوال الخبيثات من الغفلة إلى النوم . وكذا قوله (والضمير

إذا اتفق) فإنه يدل على حصول كمال القسر بعد أن كان ناقصاً . إنه تعالى أقسم بهذه الأحوال

المغيرة على تغيير أحوال الخلق . وهذا يدل قطعاً على صحة القول بالبعث ، لأن التقدير على تغيير

الأحرام العلوية والسمعية من حال إلى حال ومضافة إلى صفة بحسب المصالح . لا بد وأن يكون فى

فعله قادراً على جميع المعكبات علماً بجميع المنكرات . ومن كان كذلك كان لا محالة قادراً على

البعث والقيامة . هذا كان ما قبل هذه الآية كالدلالة العقاية تقاملة على صحة البعث والقيامة لا جرم

قال على سبيل الاستعداد (فإلهم لا يؤمنون) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال القاضي لا يجوز أن يقول الحكيم فيمن كان عاجزاً عن الإيمان

(فالهم لا يؤمنون) بل ما قال ذلك دأ على كونهم قادرين ، وهذا يقتضى أن تكون الاستطاعة

قبل الفعل ، وأن يكونوا مؤمنين بالأدلة . وأن لا يكون دأى صاعداً للكفر بهم . فهذه الآية من

المتكررات التى لا احتمال فيها البتة . وجوابه قد مر غير مرة .

قوله تعالى : ﴿ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أنهم أوجب الفصد من الإلحاح فصدحهم القرآن لا بد وأن يعلموا كونه

مدرجة ، وإذا علموا صحة سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - وجوب طاعته فى الأوامر والنواهي . فلا جرم السجود

أعده ميم عند سماع القرآن فزاد السجود والطاعة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ابن عباس والحسن ومطالع والمكشي ومقاتل المراد من السجود الصلاة

يَا أَيُّدِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿١٢﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١٤﴾

وقال أبو مسلم الخضوع والامتناع ، وقال آخرون بل المراد نفس الجود عند آيات مخصوصة ، وهذه الآية منها .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ روى أنه عليه السلام فرأ ذات يوم (واحد) واقف (اعذب) من المؤمنين ، وفريش أصفى فوق رؤسهم ونصفره خزلت هذه الآية واحتج أبو حنيفة على وجوب العدة بهذان وجين (الأول) أن قوله **يُوعُونَ** يقتضي الرجوع قوله تعالى (واسمعوا) (والثاني) أن الله تعالى ذم من يسمعه فلا يسجد ، وحصول الذم عند ترك بدل على الوجوب .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ مذهب ابن عباس أنه ليس في المفضل سجدة ، وعن أبي هريرة أنه سجد هنا : وقال واقف ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله **يُوعِي** يسجد فيها ، وعن أنس ملى خاف أن يكره وعمر وعثمان . فسجدوا ، وعن الحسن بن غير راجحة .

أما قوله ﴿ مل الذين كفروا يكذبون ﴾ فالمراد أن الدلائل الموجبة للإيمان ، وإن كانت جليلة ظاهرة فكذلك الكفار يكذبون بها إما لتقليد الأسلاف ، وإما لفساد وإما للخوف من أنهم لو أظهروا الإيمان افتضح مناصب الدنيا ومنافعها .

أما قوله تعالى ﴿ والله أعلم بما يُوعُونَ ﴾ فأصل الكلمة من الوعى ، يقال أوعيت الشيء أى جماعته وعار كما قال (وجمع فأوعى) والله أعلم بما يحرمون في صدورهم من الشرك والكذب فهو مجازيم عليه في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ استحقوه على تكذيبهم وكفرهم .

أما قوله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم أجر غير ممنون ﴾ فيه قولان فالصاحب انكشاف الاستثناء منقطع ، وقال الآخرون معناه إيمان تاب منهم فإنهم وإن كانوا في الحال كفارا إلا أنهم متى تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر وهو ثواب العظيم .

وفى معنى (غير ممنون) وجوه أحدها أن ذلك الثواب يصل إليهم بلا من ولا أذى (وثانيها) من غير انقطاع (وثالثها) من غير تنبيه (ورابعها) من غير نقصان ، والأولى أن يحصل الثواب على الكل ، لأن من شرط الثواب حصول الكل ، فكأنه تعالى وعدهم بأجر خالص من المحروقات دائم لا انقطاع فيه ولا نقص ولا محس . وهذا نهاية الوعد بدار ذلك ترغيباً في العبادات ، كما أن الذى يقدم هو زجر عن المباحات والله سبحانه وتعالى أعلم ، والله قد رب العالمين .

(١٥) سُوْرَةُ الْبُرُوجِ ثَمَانِيَةٌ
وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

اعلم أن المقصود من هذه السورة ثبوت ما صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن إبطال الكفار وكيفية تلك الذنوبية هي أنه تعالى بين أن سائر الأمم كلفوا كذا فكذلك مثل أصحاب الأحود ومثل فرعون و مثل نمرود . وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في تكذيب . ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر ، وهو قوله (واقع من وراءهم عبط) ذكر وجهاً ثانياً وهو أن مبدأ شيء ثبت في اللوح المحفوظ يمنع التعبير وهو قوله (بل هو قرآن مجيد) فهذا ترتيب السورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ مُشْهُودٍ ③

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والسما ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود .

اعلم أن في البروج ثلاثة أقوال (أحدها) أنها هي البروج الإثنا عشر وهي مشهورة (والثاني) حسن تقسيمها لما فيها من عجيب الحكمة ، وذلك لأن رب الشمس فيها ولا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس يدل ذلك على أن لها حداً مائلاً حكماً ، قال الجندي وهذه البروج والنسبة على السبيل الذي لأن بروج فيها ، واعلم أن هذا خطأ ونقصه ذكرناه في قوله تعالى (إنا أنزلنا كتابنا بالبرية الكواكب) ، (والثاني) أن البروج هي منازل القمر ، وثالثاً حسن القسمة لها في سير القمر وحركته من الألف الدجيسة (وثالثاً) أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجاً لقصورها ، وأما اليوم الموعود فهو يوم القيامة ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، قال الفطال : يحتمل أن يكون المراد (وأيام الموعود) لا تنطلق منها ، وثالثاً وبطلان بروجها . وأما شاهد ومشهود ، فقد اضطرب أقوال المفسرين فيه ، وأقول أحسن التام يكمل به . قال إن الشاهد يقع على شيتين (أحدهما) الشاهد الذي ثبت به الدعوى والحقوق (والثاني) الشاهد الذي هو بمعنى الخناصر ، كقوله (علم الغيب والشهادة) ويقال لأن شاهد وفلان غائب ، وحال الآية على هذا الاحتمال الثاني أول . إذ لم يكن المراد هو الأول لما خلا نطق المشهود عن حرف الصلة ، فيقال مشهود عليه ، إن مشهود له . هذا هو ظاهره ، وقد يجوز أن يكون المشهود

مناء المشهود عليه غرقت الصفة ، كما في قوله (إن المهد كان مستورا) أي مستورا عنه ، فإذا عرفت هذه المقدمة فقول : زن حملنا الشهود على المحضور احتضت الآية وجوها من التناويل (أحدها) أن المشهود هو يوم القيامة ، وشاهد هو الجمع الذي يحضرون فيه ، وهو مروى عن ابن عباس والضحاك ، ويدل على صحة هذا الاحتمال وجوه (الأول) أنه لا محذور أعظم من ذلك المحضور ، فإن الله تعالى يصنع فيه خلق الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس ، وحرف القسط الالمسمى الأكنز أولى (والثاني) أنه تعالى ذكر اليوم الموعود ، وهو يوم القيامة ، ثم ذكر عقبه (وشاهد وشهود) وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الملائكة ، والمشهود ما في ذلك اليوم من الحساب (الثالث) أن الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه مشهودا في قوله (نوبل الذين كفروا من مشهد يوم عظيم) وقال (ذلك يوم يجمع له الناس ذلك يوم مشهود) وقال (يوم يدعوك تستحيون بحمده) وقال (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا يحضرون) وطريق تكبير هذا ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى (علمت نفس ما أمضيت) كأنه قيل وما أفرطت كثرة من شاهد ومشهود ، وأما الإيهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ، وإنما حسن القسم يوم القيامة لثبته على القدرة إذ كان هو يوم الفصل والجزاء ويوم تفرد الله تعالى فيه بالملك والحكم ، وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن بن علي وابن المديب والضحاك والنخعي ويثوري (رابعها) أن يفسر المشهود يوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير وذلك لأنه يوم يشهده المسلمون للصلاة ولذكرا الله ، وما يدل على كون هذا اليوم مسمى بالمشهود جبران (الأول) ما روى أبو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة » (والثاني) ما روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « تحضر الملائكة أبواب المسجدين فيكسرون الناس فإذا خرج الإمام طويت الصفوف وهذه الخاصة غير موجودة إلا في هذا اليوم فيجوز أن يسمى مشهودا لهذا المعنى ، قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن الفجر كان مشهودا) وروى « أن ملائكة الليل والنهار يحضرون وقت صلاة الفجر فصارت هذه الصلاة مشهودة لشهادة الملائكة » فكذلك يوم الجمعة (وثالثها) أن يفسر المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لأمر الحج روى أن الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة « انظروا إلى عبادي شامتا غير أنوني من كل نبي عريق أشهدكم أني قد غفرت لهم وأن إبليس يصرخ ويضع القواب على رأسه لما يرى من ذلك » والدليل على أن يوم عرفة يسمى بأنه مشهود قوله تعالى (وعلى كل ضامر يأتيين من كل نبي عريق) ، ليتنبهوا منافع لهم) ، (ورابعها) أن يكون المشهود يوم النحر وذلك لأنه أعظم المشاهد في الدنيا فإنه يجمع أهل الشرق والغرب في ذلك اليوم مني والمردافة وهو عيد المسلمين ، ويكون الغرض من القسم به تعظيما لأمر الحج (وخامسها) حل الآية على يوم

قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ ذَاتِ الْأُفُودِ ﴿١١﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿١٢﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِأَعْمُرَيْنِ إِشْرُودٌ ﴿١٣﴾

وذلك لاجتماع برمان عظمهما الله رحلتهما من أيمن أو كان أيام الحج، فهذه اليومان يشهدان لمن يحضر فيهما بالإيمان والاستحقاق الزهدة، وروى أنه عليه السلام ذبح كبشين، وقال في أحدهما وهذا من يشهدني بالإيمان، فيحتمل لهذا المعنى أن يكون يوم تنحر شاهداً لمن حضره بمثل ذلك لهذا الخبر (وثالثها) أن الشاهد هو عيسى لقوله تعالى حكاية عنه (و كنت عليهم شهيداً)، (ورابعها) أن الشاهد هو الله والمشهد هو يوم القيامة، قال تعالى (يا ويلنا من بئس ما مرقنا هذا ما وعد الرحمن وصديق المرسلين) وقوله (ثم يبينهم عما عملوا) : (وسادسها) أن الشاهد هو الإنسان، والمشهد هو التوحيد لقوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) (وسادسها) أن الشاهد الإنسان والمشهد هو يوم القيامة، أما كون الإنسان شاهداً لظنونه تعالى (قالوا بلى شهدنا) وأما كون يوم القيامة مشهداً لظنونه (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) فهذا هي الوجوه المختصة، والله أعلم بحقائق القرآن.

قوله تعالى: قتل أصحاب الأخدود، انذار ذات الرفود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود.

اعلم أنه لا بد للنفس من جواب، واختلفوا فيه على وجوه (أحدها) ما ذكره الاخفش وهو أن جواب القسم قوله (قتل أصحاب الأخدود) واللام منصوبة فيه، كما قال (والشمس وضحاها) (قد أطلع من زكاه) يريد: لقد أطلع، قال وإن شئت على التقديم كأنه قيل قتل أصحاب الأخدود والسبب ذاته تبرؤ (وثانيها) ما ذكره الزجاج، وهو أن جواب القسم (إن بطش ربك لشديد) وهو قول ابن مسعود وقتادة (وثالثها) أن جواب القسم قوله (إن الذين قسوا) الآية كما تقول والله إن زيدا لفاتم، إلا أنه اختص بين القسم وجوابه، قوله (قتل أصحاب الأخدود) إلى قوله (إن الذين قسوا) (ورابعها) ما ذكره جماعة من المتقدمين أن جواب القسم عذوف، وهذا اختيار صاحب الكشف إلا أن المتقدمين، قالوا ذلك المحذوف هو أن الأمر حق الجزاء على الأعمال وقال صاحب الكشف جواب القسم هو نقدي بدل عليه قوله (قتل أصحاب الأخدود) كأنه قيل أنفس هذه الأنبياء، أن كفار قريبين لموتون كما تمز أصحاب الأخدود، وذلك لأن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التذيب على الإيمان حتى يفتندوا بهم ويصبروا على أذى قومهم، ويعللوا أن كفار مكة عند الله بمنزلة أولئك الذين كانوا في الأمم السالفة يحرقون أهل الإيمان بالنار، وأحق أن يقال فيهم قتل قريب كما (قتل أصحاب الأخدود) أما قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) ففيه مسائل:

(المسألة الأولى) ذكروا قصة أصحاب الأئمة على طرق متباينة ونحن نذكر منها ثلاثة : (أحدها) أنه كان لبعض الملوك ساحر ، لما كبر ضم إليه غلام له يدعى السحر ، وكان في طريق الغلام راهب ، قال قلب الغلام إلى ذلك الراهب ثم رأى الغلام في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجراً ، وقال : اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فزني على قلبها بواسطة رمي الحجر إليها ، ثم رمى فقتلها ، فصاد ذلك سبباً لأعراس الغلام عن السحر واستغاله بطريقة الراهب ، ثم صار إلى حيث يرى الآكام والأبرص وبشي من الأدوية ، فانتفى أن عمى جليس الملك فأمره فلما رآه الملك قال من رد عليك فطرك ؟ فقال رمى فغضب فعذبه فذل على الغلام فعذبه فذل على الراهب فأحضر الراهب وزوجه عن دينه فلم يقبل الراهب قوله فقد بالمشقة ، ثم أتوا بالغلام إلى جبل ليخرج من ذروته فدعا الله ، فرجف بالقوم فملكوا ونجا ، فدعوا به إلى سفينة لجوارحها ليغرقوه ، فدعا الله فارتفعت بهم السفينة فغرقوا ونجا ، فقال الملك است قاتل حتى تجمع الناس في صعيد وتصلين على جذع وتأخذ بهما من كنانتي ، وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمين به ، فرماه فوق في صدفة فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس أما رب الغلام . فبذل الملك تزل بك ما كنت تحذر ، فأمر بأخاذه في أهراء المسك . وأوفيت فيها التيران ، فمن لم يرجع منهم مرحلة فيها ، حتى ساءت امرأة معها حتى تفاسدت أن تقع فيها فقال الصبي يا أمه اصبري فأنك على الحق ، فصبرت على ذلك .

(الرواية الثانية) روى عن علي عليه السلام أنهم حين اختلفوا في أحكام النجوم قال هم أهل الكتاب وكانوا متعصبين بكتائبهم وكانت الحمر قد أكلت لهم تناولها بعض ملوكها فسكر فوقع على أخته فلما ساءدم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تحط بالناس فتقول إن الله تعالى قد أحل تكاح الإخوان ثم تحطهم بعد ذلك فتقول بعد ذلك حرمة تحض لم يقبلوا من ذلك فقالت له أبسط فيهم تسوط فلم يقبلوا فقالت أبسط فيهم تسيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاذه وإيقاد التيران وطرح من أتى فيها الذين أرادهم أنه يقول (قل أصحاب الأئمة) .

(الرواية الثالثة) أنه وقع إلى نجران رجل من كان على دين تنبى فدعاهم فلأنجبوه فصار إليهم ذر نواصير اليهودي بخونة من حيدر غريم بين النار واليهودية لأنوا ، وأمرني منهم اثني عشر ألفاً في الأخاذه ، وقبل سبعين ألفاً . وذكر أن طولي الأئمة أربعمائة ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً ، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان إذا ذكر أصحاب الأئمة أعوذ بالله من جده ليل ، وإن قيل فعارض هذه الروايات يدل على كذبها ، فنقلنا تارة من قبل إن هذا كان في ثلاث طوائف ثلاث مرات مرة لعين ، ومرة بالعراق ، ومرة بالشام ، ولعل الأئمة ، وإن كان واحداً إلا أن المراد هو الجمع وهو كثير من القرآن ، وقال النفل : ذكروا في قصة أصحاب الأئمة روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح إلا أنها متفقة في أهم قوم من المؤمنين عاقلوا قومهم أو ملوكا كانوا

كان صاحب عليهم فأنقذهم في أعدود وجمعهم ، ثم قال وأما أن تلك الواقعة كانت مشهورة عند فرس
فذكر أنه تعالى ذلك لأصحاب وسرته تبيها لم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال الذكارة فيه فقد
كان من كوا فرس يؤمنون المؤمنين على حسبه الشهرة به الأخبار من بآلة منهم في إلهة عمر وبلال .

المسألة الثانية : الإعدود : الشق في الأرض بحجر مستطيل وجمعه الأخاديد ومصدره
الحفر وهو الشق يقال حفر في الأرض خدأ وتحدده طه إدا حفر طرائق كالشفوق .

المسألة الثالثة : يمكن أن يكون المراد بأصحاب الإعدود القاتلين ، ويمكن أن يكون المراد
بهم القتلين . والرواية المشهورة أن القتلين هم المؤمنون ، وروى أيضاً أن القتلين هم الجبابرة
لأنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة وأمرتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين ،
والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواقدي وأولوا قوله : اللهم عذاب جهنم ولهم عذاب
المحريق أي لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب المحريق في الدنيا . إذ عرفت هذه المقدمة
فتفكر ذكروا في تفسير قوله تعالى [تأبى أصحاب الإعدود] وجوها ثلاثة وذلك لأن ما أن خسر
أصحاب الإعدود القاتلين أو القتلين . أما على الوجه الأول فبما تفسيره (أحدهما) أن
يكون هذا دعاء عليهم أي لمن أصحاب الإعدود . وتفسيره قوله تعالى : قل الإنسان ما أكرم
(فعل المحرصون) (والثاني) أن يكون المراد أن أولئك القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا أو الجبابرة
لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فأنقذهم ، وأما إذا فسرنا أصحاب الإعدود
بالمقتولين كان المعنى أن أولئك المؤمنين قتلوا بالإحراق بالنار ، فيكون ذلك غيراً لادعاء .

المسألة الرابعة : قرئ - قل بالفساد . أما قوله تعالى : (ذات الرقود) ففيه مسائل :

المسألة الأولى : النار إما تكون عظيمة إذا كان هناك شيء يحترق بها إما غضب أو غيره ،
فالقرية اسم لذلك الشيء لقوله تعالى : (وقودها الناس والحجارة) وفي (ذات الرقود) تعظيم أمر
ما كان في ذلك الإعدود من الخطب الكثير .

المسألة الثانية : قال أبو علي هذا بدل الاشتغال كقولك طلب زيد أو به وإن الإعدود
يشتمل على النار .

المسألة الثالثة : قرئ - الرقود بالضم ، أما قوله تعالى : (إذ هم عليها رقود) ففيه مسائل :

المسألة الأولى : السائل في إذ قتل والمعنى أذنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه نمرود عند
الإعدود يذوقون المؤمنين .

المسألة الثانية : في الآية إشكال وهو أن قوله (هم) ضمير عائد إلى أصحاب الإعدود ، لأن
ذلك أقرب من ذكرات الضمير في قوله (عليها) عائداً إلى النار فهذا يقتضي أن أصحاب الإعدود
كانوا قاعدين على النار . وسليم أنه لم يكن الأمر كذلك (والجواب) من وجوه (أحدها) أن
الضمير في هم عائد إلى أصحاب الإعدود ، لكن المراد بهما أصحاب الإعدود المنتقلون لا القاتلون

وَنَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا أَيْدِيَهُمْ ۖ إِنَّ الْأُنَاسَ بُرُتُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ ۚ بَلَّغْنَا إِلَهُكَ الْحَقَّ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِهِمْ ۚ ﴿١٢٠﴾

فَيَكُونُ لَهُمْ إِذَا التَّوْبَتِ قَدْرٌ عَلَى النَّارِ يَحْتَفِرُونَ مَطْرَحُونَ عَلَى تَارٍ (وَتَأْتِيهِمْ) أَنْ يَحْمِلَ الضَّحَرُ فِي (عَلَيْهَا) عَائِدًا إِلَى طَرَفِ النَّارِ وَشَغِيرَهَا وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي يُمْكِنُ الْحُلُوسُ فِيهَا . وَانْقَضَتْ عَلَى يَدَيْهِمْ ذَلِكَ يَقُولُ مَرَدُّ عَنْهَا تَرِيدٌ مُسْتَعْلًا بِمَكَانٍ يَقْرُبُ مِنْهُ ، فَالْقَاتِلُونَ كَانُوا سَالِسِينَ قَبْلًا وَكَانُوا يَمْرَضُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى النَّارِ ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ دَبْتُهُ تُرْكُوهُ وَمَنْ كَانَ يَصْبِرُ عَلَى دِينِهِ ، أَلْفُودٌ فِي النَّارِ (وَتَأْتِيهِمْ) هَذَا . أَنَا حَسْبُنَا أَنْ الضَّحِيرُ فِي هَمٍّ ، نَدَى إِلَى أَصْحَابِ الْإِخْوَانِ بِمَعْنَى الْقَائِمِينَ ، وَالتَّصَدُّقُ فِي عِلْمِهَا عَائِدًا إِلَى النَّارِ ، فَلَمْ لَا يَحْزَنُ أَنْ يَقَالَ : إِنْ أَوَّلَكَ الْقَائِمِينَ كَانُوا قَاعِدِينَ عَلَى النَّارِ ، وَإِنَّا بِنَا أَيْدِيَهُمْ لَمَّا لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ لَوْ تَعَذَّبَ النَّارُ إِلَيْهِمْ فَهَذَا كَمَا يَنْفَسُ مَا ضَلُّوا بِهِ أَيْدِيَهُمْ لِأَسْرِ بِإِلَاحِ غَيْرِهِمْ ، فَكَانَتْ الْإِلَاحَةُ دَالَةً عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ كَانُوا مَلُومِينَ أَيْضًا ، وَيَكُونُ الْمَلُومُ أَيْدِيَهُمْ حَسْرًا وَالْمَلُومُ وَالْأَسْرَةُ (وَرَوَّاجُهَا) أَنْ تَكُونَ عَلَى يَدَيْهِمْ عَدُوٌّ ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ (وَلَهُمْ عَلَى ذُنُوبٍ) أَيْ عَدُوٌّ لِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَنْ عَلَى مَا يُفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شَرٌّ) فَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ (شَرٌّ) يَعْنِي أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ حَضْرٌ ، وَبِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الشَّرُّ الَّذِي تَبَيَّنَ الدَّعْوَى بِشَهَادَتِهِمْ ، أَمَا عَنِ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ ، فَمَعْنَى إِنْ أَوَّلَكَ الْخَبْرَةَ الْقَائِمِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ لَحْظٍ بِشَهَادَتِهِمْ فَكَانَ فَيَكُونُ الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ ذَلِكَ أَحَدُ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ : إِمَّا وَصْفُهُمْ بِسُوءَةِ الْقَلْبِ إِذْ كَانُوا ، عِنْدَ الْعَدُوِّ بِالنَّارِ حَاضِرِينَ مَشَاهِدِينَ لَهُ ، وَإِمَّا وَصْفُهُمْ بِالْحُدُودِ فِي تَقَرُّبِ كُفْرِهِمْ وَبِإِلَاحِهِمْ حَيْثُ حَضَرُوا فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الْمَقَرَّةِ وَالْإِدْعَاءِ الْمَوْجُودِ ، وَإِمَّا وَصْفَ أَوَّلِكَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُضْطَرِّينَ بِالْجَدِّ دَيْبِهِمُ وَالْإِسْرَادِ عَلَى حَقِّهِمْ ، فَإِنَّ الْكُفْرَ إِعْمَالًا حَصَرُوا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ طَلْعًا فِي هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِمْ هَالِكًا حَاضِرًا وَاحْتَضَرًا مِنْ عَذَابِهِمْ ، ثُمَّ إِذَا أَوَّلَكَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَلْقُوا إِلَيْهِمْ وَقَفُوا مَصْرُوفِينَ عَلَى دَائِمِهِمْ الْحَقِّ ، فَإِنْ قُلْتَ أَمْرًا مِنَ الشَّرِّ إِذْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقَالَ وَمَا لَمْ يَفْعَلُوا شَرًّا وَلَا يَقَالَ وَمَعْنَى مَا يَفْعَلُونَ شَرًّا ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ شَرًّا كَرِهَ لِحَقِّهِ عَلَى يَدَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ عَلَى نَجْحِ قَدَمِهِمْ بِهَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ إِعْرَاقُهُمْ بِالنَّارِ كَانُوا حَاضِرِينَ مَشَاهِدِينَ لِمَا فِي الْأَمَالِ الْقَائِمَةِ . (أَمَّا الْإِحْتِمَالُ الثَّانِي) وَمَنْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الشَّرِّ شَهَادَةُ الَّتِي دَعَى حَقِّقَهُ وَجَوَّاهُ (أَحَدُهَا) أَنَّهُمْ حَضَرُوا شَرًّا بِأَيْدِيِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ الْمَلِكِ لَمْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَخْطُ فِيمَا أَمْرًا ، وَفَوْضَ إِلَيْهِ مِنَ التَّعَذُّبِ (وَتَأْتِيهِمْ) أَيْدِيَهُمْ شَرًّا عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ بِشَهَادَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (يَوْمَ شَرِّهِمْ أَيْدِيَهُمْ وَتَرَجَّاهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) . (وَتَأْتِيهِمْ) أَنْ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَ مَشَاهِدُونَ لِمَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِسْرَاقِ بِالنَّارِ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ يَدَيْهِمْ لَمَكَانُوا شَرًّا عَلَيْهِ ، ثُمَّ مَعَ هَذَا مَا تَأْخِذُهُمْ بِهِمْ رَأْفَةٌ ، وَلَا حَاصِلُ فِي أَيْدِيَهُمْ مِيلٌ وَلَا شَغْفٌ .

قوله تعالى : ﴿ وَنَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ إِلَّا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ يُعَزِّزِ الْحَبِيدَ ، الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَازَبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٥٢﴾

والأرض والله على كل شيء شهيد ﴿٥١﴾ المفعول ما نابوا منهم وما أنكروا الإيمان ، كقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سبواهم . بين فلون من فراع الكتاب

ونظيره قوله تعالى (هل تعلمون من أنا أن آتانا الله) وإنما قال (إلا أن يؤمنوا) لأن
العذوب إنما كان واقعاً على الإيمان في المستقبل ، ولو كفروا في المستقبل لم يذهبوا على ما مضى ،
فكانه قبل إلا أن يدوموا على إيمانهم . وقرأ أبو حنيفة (نعموا) بالكسر ، وانصحب هو
الغنى ، ثم إنه ذكر الأوصاف التي بها يستحق الإله أن يؤمن به ويصدق (فأولها) التزود وهو
القادر الذي لا يلبس ، والقاهر الذي لا يدفع ، وبالجملة فهو إشارة إلى القدرة الثالثة (وثانيها) الحيد
وهو الذي يستحق الحمد والشكر على أئنة عباده المؤمنين وإن كان بعض الأشياء لا يحصده بلسانه
فمنه شاهد على أن المصمود في الحقيقة هو هو . كما قال (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وذلك
إشارة إلى العلم لأن من لا يكون عالماً بمواقب الأشياء لا يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة ، فالحيد
يدل على العلم فتمام من هذا الوجه (وثالثها) الذي له ملك السموات والأرض وهو مالكها
والقيم بها ولو شاء لأتاناها ، وهو إشارة إلى الملك التام وإنما أخر هذه الصفة عن الأولين لأن
الملك التام لا يحصل إلا عند حصوله التام في القدرة والعلم . فثبت أن من كان موصفاً بهذه
الصفات كان هو المستحق للإيمان به وغيره لا يستحق ذلك شيء ، فكيف حكم أو أنك الكفار
الجهال يكون مثل هذا الإيمان ذنباً .

واعلم أنه تعالى أشار بقوله (العزيز) إلى أنه لو شاء لمنع أو ملك الجبابرة من تعذيب أولئك
المؤمنين ، ولأطلقاً برفاههم ولأماهم وأشار بحوله (الحيد) إلى أن المعبر عنه سبحانه من الأفعال
عواقبها فهو وإن كان قد أسهل لكنه ما أسهل ، فانه تعالى يحصل ثواب أولئك المؤمنين إليهم ، وعقاب
أولئك الكفرة إليهم ، ولكنه تعالى لم يعاملهم بذلك لأنه لم يفعل إلا على حسب المشيئة أو المصلحة
على سبيل الفضل ، فلهذا السبب قال (والله على كل شيء شهيد) فهو وعد عظيم للطبعين ووعيد
شديد للجرمين .

قوله تعالى : ﴿٥٢﴾ إن الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
الحريق .

اعلم أنه سبحانه لما ذكر قصة أصحاب الأخدود : أتبعها بما ينفرع عليها من أحكام التواب
والمعاقب فقال (إن الذين قتلوا المؤمنين) وهما مسائل :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿٥٥﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه أصحاب الأعدود فقط ، ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم عام فانه مبيح ترك الظاهر من غير دليل .
﴿ المسألة الثانية ﴾ أصل الفتنة الابتلاء والامتحان . وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا أولئك المؤمنين وعرضهم على النار وأحرقهم . وقال بعض المفسرين الفتنة هي الإحراق بالنار وقال ابن عباس ومقاتل (فتوا المؤمنين) أحرقهم بالنار ، قال الزجاج يقال فتئت النار أحرقتة والفتن أحجار سود كأنها فتنة ، ومن قوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى (ثم لم يتوبوا) يدل على أنهم لو تابوا خرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة العاصي عبدا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ هي قوله (منهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) فولان :
(الأول) أن كلا العذابين يحصلان في الآخرة ، إلا أن عذاب جهنم هو العذاب الحاصل بسبب كفرهم ، وعذاب الحريق هو العذاب الواقع على عذاب الكفر بسبب أنهم أسرفوا المؤمنين ، فيحتمل أنه يكون العذاب الأول عذاب برد والثاني عذاب إحراق ، وأن يكون الأول عذاب إحراق والثاني على الإحراق أيضاً إحراق ، إلا أن العذاب الأول كأنه خرج عن أن يسمى إحراقاً بالدرجة إلى الثاني ، لأن الثاني قد اجتمع فيه نوعا الإحراق فتكامل جداً فكان الأول عذاباً ، فلا حرم لم يسمى إحراقاً .

(القول الثاني) أن قوله (ولهم عذاب جهنم) إشارة إلى عذاب الآخرة (ولهم عذاب الحريق) إشارة إلى ما ذكرنا أن أولئك الكفار ارتفعت عليهم نار الأعدود فاحترقوا بها .
قوله تعالى ﴿ إِذْ لَمْ يَنْتَهِوا عَنْ صَلَاتِهِمْ فَتَنَّا عَنْهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكِ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ذكر وعيد المؤمنين وهو ما هو عليه من مسكنين :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إنما قال (ذلك الفوز) ولم يقل تلك التذقية لطيفة وهي أن قوله (ذلك) إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول هذه الجنة ، وقوله (تلك) إشارة إلى الجنة وإخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه واجباً والفوز الكبير هو رحمة الله لا حصول الجنة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قصة أصحاب الأعدود ولا سيما هذه الآية تدل على أن المكروه على

إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٧ إِنَّهُ هُوَ يَدْعُ وَيُعِيدُ ۝١٨ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّدُّودُ

۝١٩ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝٢٠ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝٢١

تركفر بالإهلاك العظيم الأول نه أن يصير على ما عوف منه ، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك روي الحسن أن مسيلة أخيه رجبان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما تشبه أي رسول الله فقال نعم فتركه ، وقال الآخر مثله فقال لا بل أنت كذاب فقتله فقال علي السلام ، أما الذي ترك فأخذ بالرخصة فلا تبعه عليه ، وأما الذي قتل فأخذ بالنقل فنهى له .
قوله تعالى ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ ، إنه هو يدي . ويعيد ، وهو الغفور الردود ، ذو العرش المجيد ، فقال لما يريد .

اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الذين آمنوا المؤمنين والمؤمنات أولاً وذكر وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثانياً أردف ذلك الوعد والوعيد بالثأر كيد فقال لنا كيد الوعيد (إن بطش ربك لشديد) والبطش هو الإخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتعاظم وتغلب . (إن أخذتم أليم شديد) ثم إن هذا التقدير لا يكون إلا بهالة لأجل الإهمال ، لكن لأجل أنه محكم إما بحكم المشيئة أو بحكم المصلحة ، وتأخير هذا الأمر إل يوم القيامة ، فليدفع قال (إنه هو يدي . ويعيد) أي إنه يخاف خلقه ثم يفهم ثم يعيد ثم يجازيهم في القيامة ، فذلك الإمهال لهذا السبب لا لأجل الإهمال ، قال ابن عباس إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا لحماً ثم يعيدهم بخلقاً جديداً ، فقال هو المراد من قوله (إنه هو يدي . ويعيد) .

ثم قال لنا كيد الرد (وهو الغفور الردود) فذكر من صفات جلاله وكبريائه خمسة (أولها) الغفور قالته المعتزلة هو الغفور لمن تاب ، وقال أصحابنا إنه غفور مطلقاً لمن تاب ولم يقب لفرقه تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ولأن ضرر التائب واجب وأداء الواجب لا يوجب التمدح والآية مذكرة في معرض التمدح (وثانيها) الردود وبه أقوال (أحدها) الحب هذا قول أكثر المفسرين ، وهو مطابق للدلائل العقلية ، فإن الخير مفتضى بالذات والشر بالعرض . ولا بد أن يكون الشر أقل من الخير فالتغلب لابد وأن يكون خيراً أقبكون محبوا بالذات (وثانيها) قال السككي الردود هو الردود إلى أولياته بالخبرة والجوار ، والقول هو الأول (وثالثها) قال الأزهري قال بعض أهل اللغة مجرد أن يكون محدوداً فمؤلاً بمعنى مقبول كركوب وطلب ، ومعناه أن عبادة الصالحين يردونه ويجهرون لها هرفوا من كانه في ذاته وصفاته وأصله ، قال وكلتا الصفتين مدح لأنه جلد ذكره لئلا أحب عباده المطيعين غير فضل منه ، وإن أحب عباده الصالحون فلما تقرر عدم من كرم إحسانه .

(ورأيها) قال القفال : قبل الورد قد يكون بمعنى الخليم من قولهم دابة وردود وهي المطيعة القواد التي كيف عظمتها انطلقت وأشد قنرب .

وأعددت الحرب غيابة ذلول التباد وفاسا ودودا

(وتألفا) ذو العرش ، قال القفال ذو العرش أي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه ، وإن لم يكن على السرير ، وكما يقال ثل عرش فلان إذا ذهب سلطانه . وهذا معنى متفق على صحته ، وقد يجوز أن يكون المراد بالعرش السرير ، ويكون جل جلاله خلق سوراً في سمته في قاية العظمة والجلالة بحيث لا يعلم عظمته إلا هو ومن يظلمه عليه (ورأيها) المجيد ، وفيه فرائدان (أحدهما) الرغ فبكون ذلك صفة لله سبحانه ، وهو اختيار أكثر القراء والمفسرين لأن المجيد من صفات العلى والجلال ، وذلك لا يليق إلا بالله سبحانه ، والفصل والاعتراض بين الصفة والموصوف في هذا التحريم غير متبع (والفراة الثانية) بالخصص وهي فراة حمرة والكسائر ، فيكون ذلك صفة العرش ، وهؤلاء قالوا القرآن دل على أنه يجوز وصف غير الله بتجسيد حيث قال (بل هو قرآن مجيد) ورأينا أن الله تعالى وصف العرش بأنه كرم فلا يبد أيضاً أنه يصفه بأنه مجيد ، ثم قالوا إن عبد الله عظمته بحسب الوجوب الذاتي وبكل القدوة والحكمة والعلم ، وعظمة العرش ظهور في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وزكايه ، فإنه ليل العرش أحسن الأجسام زكياً وصورة (وعامها) أنه فقال لما يريد وفيه مسائل :

❖ المسألة الأولى ❖ فقال خير مبتداً محذوف .

❖ المسألة الثانية ❖ من التحريم من قال (وهو الثغور الورد) خبران لمبتداً واحد ، وهذا ضعيف لأن المقصود بالإسناد إلى المبتداً إما أن يكون مجموعاً أو كل واحد واحد منهما ، فإن كان الأول كان الخبر واحد الآخرين وإن كان الثاني كانت الفعلة لا واحد قبل فاعلين .

❖ المسألة الثالثة ❖ استج أصحابنا بهذه الآية في مسألة خلق الأفعال فقالوا لا شك أنه تعالى يريد الإيمان فوجب أن يكون فاعلاً للإيمان يقتضي هذه الآية وإذا كان فاعلاً للإيمان وجب أن يكون فاعلاً للكفر ضرورة أنه لا قاتل بالفرق ، قال القاضي ولا يمكن أن يستعمل بذلك على أن ما يريد الله تعالى من طاعة الخلق لابد من أن يقع لأن قوله تعالى (فما لما يريد) لا ينال إلا ما إذا وقع كان فعله دون ما إذا وقع لم يكن فعلاً له هذه ألفاظ القاضي ولا يخفى ضعفها .

❖ المسألة الرابعة ❖ استج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى لا يجب لأحد من المكلفين عليه شيء البتة ، وهو ضعيف لأن الآية دالة على أنه يفعل ما يريد ، فلم قلتم إنه يريد أن لا يعلى القنرب ،

❖ المسألة الخامسة ❖ قال القفال فما لما يريد على ما رآه لا يمتنع عليه سترض ولا غيره غالب ، فهو يدخل أولياء الجنة لا يمتنع منه مانع ، ويدخل أعداء النار لا يمتنع منه ناصر ، ويحمل الفعلة على ما يقاد إلى أن يجازيهم ويماجل بعضهم بالقنرب إذا شاء ، ويذب من شاء منهم

هَلْ لَكَ حَدِيثُ ابْنِ خُنُودٍ ۖ فَرَعُونَ وَتَمُودُ ۖ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۖ وَاقْتَهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُجِةٌ طُ ۖ بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۖ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۖ

في الدنيا وفي الآخرة يدل من هذه الأشياء ومن غيرها ما يريد .
قوله تعالى : ﴿ هَلْ لَكَ حَدِيثُ ابْنِ خُنُودٍ ، فَرَعُونَ وَتَمُودُ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ، وَاقْتَهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُجِةٌ طُ ، بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۖ ﴾ .
اعلم أنه تعالى لما بين حال أصحاب الاختلاف في تأذي المؤمنين بالكفار ، بين أن الذين كانوا انقلبوا كانوا أيضاً كذلك ، واعلم أن فرعون وتمود بدل من الجنود ، وأراد فرعون إياه ونومه كما في قوله من فرعون وملهم وتمود ، كما في بلاد العرب ، وفصمهم عنهم مشورة فذكر تعالى من المتأخرين فرعون ، ومن المتقدمين تمود ، والقصود بيان أن حال المؤمنين مع الكفار في جميع الأزمنة مستمرة على هذا النيج ، وهذا هو المراد من قوله ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ، ولا طيب قلب الرسول عليه السلام بحكاية أحوال الأولين في هذا الباب سواه بعد ذلك من وجه آخر ، وهو قوله (واقته من ورثهم محيط) وفيه وجه (أحدهما) أن الأفراد وحسب اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وسورته ، كالحائط إذا أحيط به من ورثته فقد عليه مسلطه ، فلا يجد مهرباً يقول تعالى ، فهم كذا في قبضتي وأنا قادر على إهلاكهم ومجاورتهم بالذهب على تكذيبهم إياك فلا يخرج من تكذيبهم إياك ، فليسوا بفوقوني إذا أردت الانتقام منهم (وثانيها) أن يكون المراد من هذه الإحاطة قرب هلاكهم كقول تعالى (وأخرى لم تحضروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله (وإذ قلنا لك إن ربك أساطير بالأناس) وقوله (وظنوا أنهم أحيط بهم) فهذا كله عبارة عن مشاركة إهلاكك ، يقول فيؤلا ، في تكذيبك قد شاركوا الملاك (وثالثها) أن يكون المراد واقته محيط بأعالمهم ، أي عالم بها ، فهو مرصود بمقامهم عليها ، ثم إنه تعالى سأل رسوله بعد ذلك بوجه ثالث ، وهو قوله (بل هو قرآن مجيد) وفيه مسائل :

﴿ مسألة أولى ﴾ لما قلنا هذا بما قبله ، هو أن هذا القرآن مجيد مصون عن التغير والتبدل ، فلا حكم فيه بفساده نوم وشغلة نوم ، وتأذي نوم من قوم ، امتنع تغييره وتبدله ، هو جيب الرضا به ، ولا شك أن هذا من أعظم موجبات التسلية .

﴿ مسألة الثانية ﴾ تقرأ ، (قرآن مجيد) بالإضافة ، أي قرآن رب مجيد ، وفرايحي بن يعمر في لوح والروح المراد ببنى اللوح فوق السبأ السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ ، وقرى ، محفوظ

بالروح صفة القرآن لما لنا (إنما نحن زنا الذكر وإنا له لحافظون) .

في المسألة الثالثة في أنه تعالى قال فيها (في لوح محفوظ) وقال في آية أخرى (إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون) فيحتمل أن يكون الكتاب المكتون واللوح المحفوظ واحدًا أم كونه محفوظًا يحتمل أن يكون المراد كونه محفوظًا عن أن يسه إلا المطهرون ، فاقال تعالى (لا يسه إلا المطهرون) ويحتمل أن يكون المراد كونه محفوظًا من اطلاع الخلق عليه سوى ملائكة المقربين ويحتمل أن يكون المراد أن لا يجرى عليه تغيير وتبدل .

في المسألة الرابعة في قال بعض الحكمين إن الروح هي روح الملائكة فيقرؤنه ولما كانت الأنبياء والآثار واردة بذلك وجب التصديق . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وحلى الله على سيدنا محمد وحلى آله وصحبه وسلم .



(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ يَكُونُ
وَأَيُّهَا مَا فِيهِ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② أَلَمْ نَجْعَلْ أَنْفُسَهُ ③ أَنْفُسُكَ ④ إِنَّ
كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ⑤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ والسما، والطارق، وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب، إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾
اعلم أنه تعالى أكثر في كتابه ذكر السما، والشمس والقمر لأن أحوالها في أشكالها وسيرها
ومطالعها ومخارجها عجيبة، وأما الطارق فهو كل ما أتاك ليلًا سواء كان كوكبًا أو غيره فلا يكون
الطارق نهارًا، والدليل عليه قول المسلمين في دعائهم: نعوذ بالله من طوارق الليل وروى أنه عليه
السلام ونهى عن أن يأتي الرجل أهله طروقًا، والعرب تستعمل الطروق في صفة الخيال لأن
تلك الحالة إنما تحصل في الأكثر في الليل، ثم إنه تعالى لما قال (والطارق) كان مضافًا
لا يستغنى سامعه عن معرفة المراد منه، فقال (وما أدراك ما الطارق) قال سفيان بن عيينة كل
شيء في القرآن ما أدراك فقد أخبر الرسول به وكل شيء فيه ما يدريك لم يخبر به كقوله (وما
يدريك لعل الساعة قريب) ثم قال (النجم الثاقب) أي هو طارق عظيم الشأن، رفيع القدر وهو
النجم الذي يندى به في ظلمات البر والبحر ويوقظ به على أوقات الأمطار، ومنها مساقن:

﴿ المسألة الأولى ﴾ إنما وصف النجم بكونه ناطقًا لوسوره (أدعاه) أنه يثقب الظلام
جنونه فينفذ فيه كما قيل دوى لأنه يدويه أي يذقه (وأنثيا) أنه يصلح من المشرق ناقدًا في
المغرب كالنسي، الذي يثقب النسي، (وأنثيا) أنه الذي يرى به التبعاطن فيثقب أي ينفذ فيه ويحرقه
(ورأينا) قاله الفراء: (النجم الثاقب) هو النجم المرتفع على النجوم، والعرب تقول الطائر إذا
لحق يطعن السماء ارتضاعًا قد ثقب.

﴿ المسألة الثانية ﴾ إنما وصف النجم بكونه طروقًا، لأنه يدو بالليل، وقد عرفت أن ذلك
يسمى طروقًا، أو لأنه يطرق الجنى، أي يصكه.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اختلطوا في قوله (النجم الثاقب) قال بعضهم: أشبه به إل جماعة النجوم

ثقل الطارق ، كما قيل (إن الإنسان لفي خسر) وقال آخرون : أنه نجم بهبه . ثم قال ابن زيد : إنه الثريا ، وقال الفراء : أنه زحل ، لأنه يقب بوجه سمك سبع سموات ، وقال آخرون : أنه الشهب الذي يرمي بها الشياطين ، لقوله تعالى (فأتبعه شهاب ثاقب) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ روى أن أبا طالب أن النبي ﷺ ، فأنقذه بجزء ولبن ، فبينا هو جالس يأكل إذا انحط نجم فامتد ما ثم ثراً ، ففرع أبو طالب ، وقال أي شيء . فقال هذا نجم رعى به ، وهو آية من آيات الله ، فحب أبو طالب ، ونزلت السورة .

واعلم أنه تعالى لما ذكر القسم به أتبعه بذكر القسم عليه ، (إن كل نفس لما عليها حافظ) وفي مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في قوله (لما) قرأه ابن جرير (أحدهما) قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والكسائي . وحسب تخفيف الميم (والثانية) قراءة عاصم وحمزة والنخعي بتشديد الميم . قال أبو علي الفاسي : من خفف كانت (إن) عنده المخفضة من التثنية . وللألم في (لما) هي التي تدخل مع هذه المخفضة لتخلص من إذ التثنية ، وما صلة كآتي في قوله (فيما راحة من الله) (وعما قيل) تكون (إن) متانية لنفس ، كما تلهاء مثله . وأما من قبل فتكون (إن) عنده التثنية ، كآتي في قوله (ما إن مكناكم) و (لما) في معنى إلا ، قال وتستعمل (لما) بمعنى ألا في موضعين (أحدهما) هذا (والآخر) في باب القسم ، تقول : سألتك بأله لما فعلت ، بمعنى ألا فعلت . وروى عن الأنضس والكسائي وأبي عبيدة أنهم قالوا : لم توجد لما بمعنى ألا في كلام العرب . قال ابن عرون قرأت عند ابن سيرين (لما) بالتشديد ، فأكرهه وقال : سبحانه الله ، سبحانه الله ، وزعم النخعي أن (لما) بمعنى إلا ، مع أن المخفضة التي تكون بمعنى ما موجودة في لغة هذيل .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ليس في الآية بيان أن هذا الحافظ من هو . وليس فيها أيضاً بيان أن الحافظ يحفظ النفس محاذاً . أما (الأول) فبأن أولان (الأول) قول بعض المفسرين : أن ذلك الحافظ هو الله تعالى . أما في التحقيق فلأن كل وجود سوى الله ممكن ، وكل ممكن فإنه لا يرجع وجوده على صده إلا لمرجع وينتهي ذلك إلى الواجب لذاته ، فهو سبحانه القيوم الذي يحفظه وإبقائه تبقى الموجودات ، ثم إنه تعالى بين هذا المعنى في السموات والأرض على العموم في قوله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) وبينه في هذه الآية في حق الإنسان على الخصوص وحقيقة الكلام ترجع إلى أنه تعالى أقسم أن كل ما سواه ، فإنه يمكن الوجود حدوث محتاج مخلوق مرهوب هذا إذا حان النفس على مطلق الذات ، أما إذا حانها على النفس المتبسة وهي النفس الحيرانية الممكن أن يكون المراد من كونه تعالى حافظاً لما كونه تعالى عالماً ، أو لما وموصلها إليها جميع متاعها ودافعاً عنها جميع مضارها .

(وأقول الثاني) أن ذلك الحافظ هم الملائكة كما قال (وروى طيغ حفظه) وقال عمر

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

وَالْفَرْأَبِ ﴿٧﴾

الجهن ومن الشمال قعيد ، ما بلقظ من قول (لأنه رقيب عتيد) وقال (وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين) وقال (له مفاتيح من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) .

(وأما البحث الثاني) فهو أنه ما الذي يحفظه هذا الحافظ ؟ فيه وجوه (أحدها) أنه يلاحظ الحفظة يكتبون عليه أعماله دقيقتها وجليلها حتى يخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً (وثانيها) (إن كل نفس لها عليها حافظ) يحفظ عملها ووزنها وأجلها ، فإذا استوفى الإنسان أجله ورزقه قبضه (الذرية) وحاصله يرجع إلى وعيد الكفار وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم (فلا تجعل عليكم أسماء تفسدكم هذا) ثم يصرّفون عن قريب إلى الآخرة فيجازون بها يستحقونه (وثالثها) (إن كل نفس لها عليها حافظ ، يحفظها من المطالب والمهلك فلا يصيبها إلا ما قدر الله عليها) (ورابعها) قال الفراء (إن كل نفس لها عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها إلى المقابر) وهذا قول الكلبي .

وأعلم أنه تعالى لما أقسم على أن لكل نفس حافظاً أراد بها ويد عليها أعمالها . فليفتح معنى لكل أحد أن يحمد ويسبي في تحصيل أهم المهمات ، وقد تعاقبت الشرائع والقول على أن أهم المهمات معرفة المبدأ ومعرفة المبدأ ، واغترقا على أن معرفة المبدأ مقدمة على معرفة المبدأ ، فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ .

فقال ﴿ فليَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾

وفي مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المذيق صب الماء ، يقال دققت المساء ، أي صبته وهو مدفون ، أي مصروب ، ومنذق أي منصب ، ولما كان هذا الماء مدفوناً اختلجوا في أنه لم يصف بأنه دافق على وجوه (الأول) قال الزجاج : معناه ذو اندفاق ، كما يقال : دراع وغارس ونابل ولاين وقامر ، أي دوع ودرس وليل ولين وثمر ، وذكر الزجاج أن هذا مذهب سيوري (الثاني) أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل ، قال الفراء : وأهل المجلد أفضل لمنا من غيرهم ، يحملون المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب الثمت ، كقوله سركاكم ، وهم ناصب ، وليل نائم ، وكقوله تعالى (في عيشة راضية) أي مرضية (الثالث) ذكر الخليل في الكتاب التدويب إليه دق الماء دقاً ودقواً إذا انصب بجرة ، واندق الكون إذا انصب بجرة ، ويقال في الطيرة عند انصباب الكون ونحوه دافق خير ، وفي كتاب قطرب : دق الماء يدق إذا انصب (الرابع) صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء على سيل المجاز .

﴿ المسألة الثانية ﴾ تقرأ : الصلب بفتح السين ، والصلب بضم السين . وفيه أربع لغات : صلب و صلب و صلب و صلب :

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ترائب المرأة عظام صدرها حيث تكون الفلادة ، وكل عظم من ذلك تربة ، وهذا قول جميع أهل اللغة . قال امرؤ القيس :

ترائبها مصفوفة كالسججل

﴿ المسألة الرابعة ﴾ في هذه الآية قرآن (أحدهما) أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل و ترائب المرأة . وقال آخرون : إنه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل و ترائبه ، واحتج صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين (الأول) أن ماء الرجل خارج من الصلب فقط . وماء المرأة خارج من الترائب فقط ، وعلى هذا لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب ، وذلك على خلاف الآية (الثاني) أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق (من ماء) الذي يوصف بذلك هو ماء الرجل . ثم عطف عليه بأن وصفه بأنه يخرج ، يعني هذا الماء من بين الصلب والترائب ، وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط (أجاب) القائلون بالقول الأول من الجهة الأولى : أنه يجوز أن يقال للشيئين المتباينين أنه يخرج من بين هذين غير كثير ، ولأن الرجل والمرأة عند اجتماعهما يهيدان كشيء واحد . فحسن هذا اللفظ هناك ، وأجابوا عن الثانية : بأن هذا من باب إطلاق اسم الجنس على الكل ، هذا كان أحد قسمي المني دافعاً لما في هذا الاسم على المجموع ، ثم قالوا : والذي يدل على أن الولد مخلوق من مجموع المائتين أن جنس الرجل وحده صغير فلا يكتفي ، ولأنه يرى أنه عليه السلام قال : إنما غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرًا وإعرد شبه إليه وإلى أخاه ، وإذا غلب ماء المرأة فالمرأة ولله أولادها . وهذا يشبهه وذلك يقتضي صحة القول الأول .

والنعم أن الملحدين طعنوا في هذه الآية ، فقالوا إن المراد من قوله (يخرج من بين الصلب والترائب) أن المني إنما يفصل من تلك المراضع فليس الأمر كذلك . لأنه إنما يتولد من منطقة المضم الرابع ، وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبعته وخاصيته ، فيصير مستعداً لأن يتولد منه مثل تلك الأجزاء . ولذلك فإن الممرض في الطعام يستولى الضعف على جميع أعضائه . وإن كان المراد أن معظم أجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف ، بل معظم أجزائه إنما يبرئ في الدماغ ، والدليل عليه أن صورته يشبه الدماغ ، ولأن أكثر منه يظهر الضعف أولاً في عينيه . وإن كان المراد أن مستقر المني هناك فهو حذيف . لأن مستقر المني هو أوعية المني وهي عروني ملتصقة بعضها ببعض عند البيهتين ، وإن كان المراد أن يخرج المني هناك فهو ضريب . لأن الحسن يدل على أنه ليس كذلك (الجواب) لا شك أن أعضاء الأعضاء موزونة في توازن المعنى هو الدماغ ، والدماغ خليفة هو الخنازير وهو في الصلب ، وله شدة كبيرة فآذلة

إِنِّهٗ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿١٠﴾

إلى مقدم الدن وهو التربة ، فهذا السبب خصه الله تعالى هذين العنوين بالذكر ، على أن كلامكم في كيفية تولد النشأ ، وكيفية تولد الأعضاء من النشأ بعض الرجم ، والظن الضعيف ، وكلام الله تعالى أولى بالقول .

المسألة الخامسة ﴿١٠﴾ تدبر في مواضع من هذا الكتاب أن دلالة تولد الإنسان عن الطعنة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل ، لوجود (أحدهما) أن التركيبات المعجبة في بدن الإنسان أكثر ، فيكون تولده عن المادة البديعة أهل على لقادر المختار (وثانها) أن اطلاع الإنسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعها على أحوال غيره ، فلا حرم كانت هذه الدلالة أنهم (وثانها) أن مشاهدة الإنسان لخلق الأحياء في أولاده ولولاد سائر الحيوانات دائمة ، فكانت الاستدلال به على الصانع المختار أقوى (وثانها) وهو أن الاستدلال بهذا الباب كما أنه يدل قطعاً على وجود الصانع المختار الحكيم ، فكذلك يدل قطعاً على صحة تاييد والمشيروا ، وذلك لأن حدوث الإنسان إما كان بسبب اجتزاع أجزاء كانت منفردة في بدن الواحد ، إلى في جميع تلكه ، فلا بد من الصانع على جميع تلك الأجزاء المنفردة متى خلق منها إنساناً سرباً ، وجب أن يخل إليه بعد موته وتفرق أجزائه لا بد وأن بقدر الصانع على جميع تلك الأجزاء وجد لها سقاً سرباً ، كما كان أولاً ولهذا السر لما بين تعالى دلالة على المبدأ ، فرج عليه أيضاً دلالة على صحة المبدأ .

فقال ﴿١٠﴾ إنه على رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿١٠﴾ وفيه مسألتان :

المسألة الأولى ﴿١٠﴾ الضمير في أنه للخلق مع أنه لم يتقدم ذكره . والسبب فيه وجهان (الأول) دلالة خلق عليه ، والمعنى أن ذلك الذي خلق قادر على رجعه (الثاني) أنه وإن لم يتقدم ذكره قطعاً ، وإنما تقدم ذكر ما يدل عليه . معناه ، وقد تقرر في بداهة القول أن القادر على هـ قد انصرفات ، هو الله سبحانه وتعالى ، فذلك كان ذلك في غاية الظهور وكان كالمذكور .

المسألة الثانية ﴿١٠﴾ لرجع . وهو رجعت الشيء ، رُجِعَ رَدُّهُ . والكتابة في قوله على رَجْعِهِ إلى أي شيء يرجع ؟ فيه وجهان (أولها) وهو الأقرب أنه راجع إلى الإنسان ، والمعنى أن الذي قدر على خلق الإنسان فإبداءه ، حسب أن بقدر بعد موته على رده حياً ، وهو كقوله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وقوله (وهو أمدد عليه) (وثانها) أن الضمير غير مائل إلى الإنسان ، ثم قال بجاءه قادر على أن يرد المني إلى الإحليل . وقال بحكمة التصحاك على أن يرد المني إلى الصاب . وروى أيضاً عن الضحاك أنه قادر على رد الإنسان ما كان قبل . وقال مقاتل بن حيان ، إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب . ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا

يَوْمَ تَبْيَضُّ السَّرَائِرُ ﴿١٠٠﴾ قَالَهُ مَنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠١﴾

إلى الطرفة ، واعلم أن القول الأول لصح ، ويشهد له قوله (يوم تبيض السرائر) أي أنه نادر على يوم القيامة ، ثم إنه سبحانه لما أتاهما الشيطان على جهة القول بالذم والغبطة ، وصف حاله في ذلك اليوم فقال ﴿ يوم تبيض السرائر ، قَالَهُ مَنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ وقوله سائر :

﴿ المسألة الأولى ﴾ (يوم) منصوب بوجه ومن جعل الضمير في وجهه للسا ، وقصر بوجه إلى محرمه من الصلب والتراتب أو إلى الحجة الأولى نصب الطرف بقوله (قَالَهُ مَنْ قُوَّةٍ) أي ماله من قوة ذلك اليوم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ (تبيض) أي تبيض ، والسرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات ، وما ألقى من الأعمال ، وفي كيفية الابتلاء والاعتبار بها أقول :

(الأول) ما ذكره الفضل معنى الاختبار هنا أن أعمال الإنسان يوم القيامة تعرض عليه ويظهر أيضاً في الصحيفة التي كتبت الملائكة فيها تفاصيل أعمالهم فيعلم أن المذكر هل هو مطابق للكتاب ، ولما كانت المحاسبة يوم القيامة راقدة على هذا الوجه جاز أن يسمى هذا المعنى ابتلاء ، وهذه التسمية غير بعيدة لعباده لأنها ابتلاء واعتبار ، وإن كان عالمًا بتفاصيل ما عملوه وما لم يعملوه . (والوجه الثاني) أن الاختلال إنما يستحق عليها التراب والعقاب لوجوبها ، فرب فعل يكون ظاهره حسناً وباطنه فيجاً ، وربما كان بالعكس ، فاعتبارها ما يعتبر بين تلك الوجوه المتعارضة من المعارضة والترجيح ، حتى يظهر أن الوجه الرابع ما هو ، والمرجوح ما هو .

(الثالث) قال أبو مسلم جوت يقع على إظهار الشيء ويقع على امتداحه كقوله (ونيسر أخباركم) وقوله (وإني لنسركم) ثم قال المفسرون (السرائر) التي تكون بين الله وبين العبد تخبر يوم القيامة حتى يظهر غيرها من سرها ومؤدبها من ضيقها . وهذا معنى قوله ابن جرير رضي الله عنهما : يبدى الله يوم القيامة كل سر منها ، فيكون زبناً في الوجوه وشيناً في الوجوه ، يعني من أذاعها كان وجهه مشرفاً ومن ضيقها كان وجهه أغبر .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ دلت الآية على أنه لا قوة للعبد ذلك اليوم ، لأن قوة الإنسان إما أن تكون له لدانته أو مستفادة من غيره ، فالأول مني بقوله تعالى (قَالَهُ مَنْ قُوَّةٍ) والثاني مني بقوله (وَلَا نَاصِرٍ) والمعنى ماله من قوة يدفع بها عن نفسه ما حل من المذاب (ولا ناصر) ينصره في دفعه ولا شك أنه زجر وتحذير ، ومعنى دخوت من في قوله (مَنْ قُوَّةٍ) على وجه التي تقبل ذلك وكثيره ، كأنه قيل ماله من شيء من القوة ولا أحد من الأنصار .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ يمكن أن يفسر هذه الآية في نفي الصفات ، كقوله تعالى (واضوا يوماً لا يخزي نفس عن نفس شيئاً) إلى قوله (وَلَا هُمْ يَصْهَرُونَ) ، (الجواب) ما تقدم ،

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ۝ فَتَلَوْنَ فُصْلًا ۝ وَمَا هُوَ بِالتَّحْرِتِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ تَهْلِيلُ الْكَافِرِينَ أَتَهْلِكُهُمْ رُوبًا ۝

قوله تعالى : والسماء ذات الارجع ، والأرض ذات الصدع ، إنه لقول فصل ، وما هو باخول لهم يكيدون كيدا ، وأكيد كيدا ، فهل الكافرين أمهلهم روبا ؟
اعلم أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من دليل التوحيد ، ولما قد أتم ذم آخر ، أما قوله (والسماء ذات الارجع) فتقول : قال الزجاج الارجع المطر لأنه يحيى ويشكر . واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة مرجع في أن الارجع ليس اسما موضوعا للمطر بل معنى رجعا على سبيل المجاز ، ولحسن هذا المجاز وجوه (أحدها) قال لفظا كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ، ووصل الحروف به ، فكنا المطر لكونه عائدا مرة بعد أخرى معنى رجعا (وثانيها) أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض (وثالثها) أنهم أرادوا التفاضل فسموه رجعا ليرجع (ورابعها) أن المطر يرجع في كل عام ، إذا عرفت هذا فنقول للفسرين أقوال (أحدها) قال ابن عباس (وتسمي ذات الارجع) أي ذات المطر يرجع لمطر بعد مطر (وثانيها) رجوع السماء إعطاء الجبر الذي يكون من سعتها حالا بعد حال على مرور الأزمان رجعه رجعا ، أي تعطيه مرة بعد مرة (وثالثها) قال ابن زيد هو أنها ترد وترجع شيئا وقرأ بعد مضيقها ، والقول هو الأول ، أما قوله تعالى (والأرض ذات الصدع) فاعلم أن الصدع هو الشق ومنه قوله تعالى (يومئذ يصدعون) أي ينفرون والفسرين أقوال قال ابن عباس ينشق عن التيات والأشجار ، وقال مجاهد : هو الجبلان بينهما شق وطريق نازف ، كما قال تعالى (وجعلنا فيها نجايا سبلا) وقال الليث : الصدع بذات الأرض . لأنه يصدع الأرض لتصدع به . وعلى هذا معنى التيات صدعا لأنه صادرع الأرض ، واعلم أنه سبحانه كما جعل ، كيفية خلقه الجبروت دليلا على معرفته البذر المعاد ، ذكر في هذا الهم كيفية خاتمة التيات ، فالسماء ذات الارجع كالآب ، والأرض ذات الصدع كالآدم وكلاهما من التسم العظيم لأن نعم الله سبحانه موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر تشكروا ، وعلى ما يبيت من الأرض كذبت ، ثم إنه تعالى أردف هذا القسم بالمقسم عليه فقال (إنه لقول فصل) وقبه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في هذا الضمير قولان :

(الأول) ما قاله المحقق وهو أن المأمي أن ما أخبركم به من قولي على إيمانكم في يوم

الذي ثبت في سائركم قول فضل وحق .

(والثاني) أنه عائد إلى القرآن أي القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان ، والاولى لأن عود الضمير إلى الله ككرر السالف أولى .

في المسألة الثانية ﴿ قول فضل ﴾ أي حكم يفصل به الحق عن الباطل ، ومنه فصل الخصومات وهو فصلها بالحكم ، ويقال هذا قول أصل أي قاض للمراء والبراع ، وقال بعض المفسرين مثناه أنه جد حتى لقوله ﴿ وما هو بالقول ﴾ أي بالقلب . والمعنى أن القرآن أول بالجد . ولم ينزل بالعب ، ثم قال ﴿ وما هو بالقول ﴾ والمعنى أن شأن الفصل عند يذكر على سبيل الحد والاحتياط تشابه وقد يكون على غير سبيل الحد وهذا الموضع من ذلك . ثم قال ﴿ إنهم يكيدون كيداً ﴾ وذلك التأكيد على وجوه . منها نفاق الكذبات كقولهم إنا هي إلا حادنا الله يا . من يحيي العظام وهي رميم . أجعل الآلهة إلهاً واحداً . لولا زل هذا القرآن على رجل من القريين نعم . فهي تلي عليه تكرة وأصلاً . ومنها بالظن فيه بكونه ساحراً وشاعراً وجنوناً . ومما يقصد قوله على ما قاله ﴿ وإذا يحكم بك الذين كفروا لينبشوك أم ينزلوك ﴾ ثم قال ﴿ رأيك كيداً ﴾ .

واعلم أن التأكيد في حق الله تعالى محمول على وجوه : (أحدها) دفعه فصال كيد الكفرة عن عود عليه الصلاة والسلام . ويقابل ذلك تأكيد نصرته وإعلا . وبه نسبة لأحد المتغالبين ماسم كقوله تعالى ﴿ وجوزا سنة سنة منلها ﴾ وقال الشاعر :

ألا لا يجهل أحد عاب فنهج فون جهل الخاطبا

وقوله تعالى ﴿ فسوا الله فأناسهم ، يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ (رواها) أن كدهم تعالى هم هو أماله (بهم) على كدهم حتى يأخذهم على غرة . ثم قال ﴿ فقول الكافرين ﴾ أي لا تدع بهلاكهم ولا تدعهم . ثم قال ﴿ فأناسهم ﴾ أي أن ذلك الإيهام إذا مور به قليل . فقال ﴿ أمهلهم وريداً ﴾ مكره وخالف بين العطين في زيادة التأكيد من الرسول عليه الصلاة والسلام والتصبر وهما مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال أبو عبيدة : إن تكبير رويد دود . وإنشد :

يئس ولا تكلم المصاعا مشبه كأنه نسل يئس على دود

أي على مئة ودمق وثلاثة . وذكر أبو نيل في باب أسماء الأفعال رويداً رويداً رويداً رويداً ، ومناه أمهل وأرق . قال المحررون رويد في كلام العرب على ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون اسماً للأمر كقولك رويد رويداً رويداً رويداً أي خله ودعه وأرق به ولا تصرف رويد في هذا الوجه لأنها غير متحركة (والثاني) أن يكون بمنزلة سائر المصادر ويضاف إلى ما يندم كما تضاف المصادر نحو رويد رويد . كما قول ضرب زيد قال تعالى ﴿ ضرب الرقاب ﴾ . (والثالث) أن يكون أمناً منصوباً كقولك ساروا سيراً رويداً ، ويقولون أيضاً ساروا رويداً ، عندون المنحوت

ويقيمون رويداً مقامه كما يفعلون بدائر السموات المشككة ، ومن ذلك قول العرب ضعه رويداً أى وضعه رويداً ، وتقول المرحن يعاج النى ، النى رويداً ، أى علاجه رويداً ، ويجوز فى هذا الوجه أمران (أحدهما) أن يكون رويداً حالاً (والثانى) أن يكون بدءاً وإن أطمت السموات لم يجر أن يكون للحال ، والذي فى الآية هو ما ذكرنا فى الوجه الثالث ، لأنه يجوز أن يكون نعتاً للبصير كأنه قيل إمهالاً رويداً ، ويجوز أن يكون للحال أى أهلهم غير مستعجلين .

في المسألة الثانية : منهم من قال (أهلهم رويداً) أى يوم القيامة وإنما صغر ذلك من حيث علم أن كل ما هو آت قريب ، ومنهم من قال : أهلهم رويداً أى يوم بدر واللام لأولى ، لأن الذى جرى يوم بدر وفى سائر العزوات لا يعلم : نكل ، وإذا حل على أمر لا حرفة غم النكل ، ولا ينتفع مع ذلك أن يدخل فى جملة أمر الدنيا ، وإنما لهم يوم بدر وغيره . وكل ذلك زجر وتحويل ففهم ، وكما أنه تحذير لهم فهو ترغيب فى خلاف طريقهم فى الصلوات ، وأنه سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(٨٧) سُورَةُ الْاَعْلٰى مَكِّيَّةٌ
وَرَبِّهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①
الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ②
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③
وَالَّذِي أُنْزَلَ عُرْسَهُ عَشْرَى ④

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ صبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي أنزل عرسه عشرى . ﴾
لعله هناك أسمى ﴿ اعلم أن قوله تعالى (صبح اسم ربك الأعلى) فيه مسائل :
﴿ المسألة الأولى ﴾ في قوله (اسم ربك) قولان (أحدهما) أن المراد الأمر بتزكية اسم الله وتقدسيه (وثاني) أن الاسم صلة والمراد الأمر بتزكية الله تعالى . أما على الوجه الأول ففي اقتضائهما (أحدهما) أن المراد به اسم ربك عن أن تسمى به غيره ، فيكون ذلك نبياً على أن يدعى غيره باسمه ، كما كان المشركون يسمون الصنم باللات ، وسيدته برحمان الجبابرة (وثانيها) أن لا يفسر أسماءهم بما لا يصبغ تيرته في الله سبحانه نحو أن يفسر الأعلى بالعلو في المكان والارتفاع والاستغراق بل يفسر الله تعالى بالفهم والافتقار والاستواء ، الاستقلال ، (وثالثها) أن يعان عن الابتدال والذكر لأعلى وجه الشرح والتعظيم . ويدل عليه أن يذكر تلك الأسماء عند الغفلة وعدم الوخوف على مسانها وحفاظتها (ورابعها) أن يكون المراد بـ صبح باسم ربك ، أي بحمده وأسمائه التي أنزلها عليك وعرفك بأسمائها كقوله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) وتظهر هذا التأويل قوله تعالى (صبح باسم ربك العظيم) ومقصود الكلام من هذا التأويل أكرام : (أحدهما) صبح اسم ربك الأعلى ، أي صل باسم ربك ، لا كما يصلي المشركون بالملك والجن والشمس والجنات (والثاني) أن لا يذكر الرب إلا بأسماء التي ورد التزويج بها ، قال المراد : لا فرق بين (صبح اسم ربك) وبين (صبح باسم ربك) قال الواحدى وفيهما فرق لأن معنى (صبح باسم ربك) زكاه الله تعالى يذكر اسمه الأمر عن تنزيهه وعلوه عما يفوق المبالغون ، و (صبح اسم ربك) أي زكاه الامم من السموات (وجميعها) قال أبو مسلم المراد من الاسم هنا الصفة ، وكذا في

قوله تعالى (وفي السماء الجبري فادعوه بها) أما على الوجه الثاني وهو أن يكون الاسم صلة ويكون المعنى سبح ربك وهو اختيار جمع من المحققين ، قالوا لأن الاسم في الحقيقة لفظة وزلفة من حروف ولا يجب ترتيبها كما يجب في الله تعالى . ولكن المذكور إذا كان في غاية العظمة لا يذكر هو بل يذكر اسمه فيقال سبح اسمه ، وعبد ذكره ، كما يقال سلام على المجلس العالي ، وقال لبيد :

إلى الجول ثم اسم السلام عليكما

أي السلام وهذه طريقة مشهورة في اللغة ، ونقول على هذا الوجه تسبيح الله بجملة وجهين (الأول) أن لا يماثل السكافار معاملة يقدمون بسببها على ذكر الله بما لا ينبغي على ما قال (ولا نسب) الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله ودوا بغير علم) ، (الثاني) أنه عبارة عن تزيين الله تعالى عن كل ما لا يليق به ، في ذاته وفي صفاته وفي أسمائه وفي أحكامه ، أما في ذاته فإن يعتقد أنها ليست من الجواهر والأعراض ، وأما في صفاته ، فإن يعتقد أنها ليست متناهية ولا فائضة ، وأما في أسمائه فإن يعتقد أنه مالك ، طاق ، فلا اعتراض لأحد عليه في أمر من الأمور ، وقالت المعتزلة هو أن يعتقد أنه كل ما فله فهو صدرات حسن ، وأنه لا يعمل القبيح ولا يرضى به ، وأما في أسمائه فإن لا يذكر سبحانه إلا بالأسماء التي ورد التوقيف بها ، هذا عندنا وأما عند المعتزلة فهو أن لا يذكر إلا بالأسماء التي لا تهم تعصاً بوجه من الوجوه سواء ورد الإذن بها أو لم يرد ، وأما في أحكامه فهو أن يعم أنه ما كنا نتفع بعدم إليه . بل إما نحن إنما نكتبه على ما هو قولنا ، أو رعاية مصالح السادة على ما [هو] قول المعتزلة .

المسألة الثانية ﴿ من الناس من يمسك هذه الآية في أن الاسم نفس المسمى ، فأقول إن الخوض في الاستدلال لا يمكن إلا بعد تلخيص على النزاع ، فلا بد هنا من بيان أن الاسم ما هو والمسمى ما هو حتى يمكننا أن نخوض في الإسم هل هو نفس المسمى أم لا ، فنقول ، وإن كان المراد من الإسم هو هذا اللفظ ، وبالمسمى تلك الذات ، فالصالح لا يمكنه أن يقول الاسم هو المسمى ، وإن كان المراد من الاسم هو تلك الذات ، وبالمسمى أيضاً تلك الذات كان قولنا الاسم نفس المسمى ، هو أن تلك الذات نفس تلك الذات ، وهذا لا يمكن أن يتزاع فيه عاقل ، فقلنا إن هذه المسألة في اصطلاح كبرك . وإن كان كذلك كان الخوض في ذكر الاستدلال عليه أرك وأبعد إلى هنا دقية ، وهي أن قولنا اسم الله تعالى جعلناها اسماً لكل ما دل على معنى غير ، ففهم زمان ، والاسم كذلك ولزم أن يكون الاسم اسماً لنفسه فهو الاسم نفس المسمى فمثل هذا الأولين ذكرنا ذلك فاشتبه الأمر على المتأخرين ، وخطونا أن الاسم في جميع المواضع نفس المسمى ، هذا حاصل التحقيق في هذه المسألة ، وليرجع إل الكلام السابق ، قالوا الذي يدل على أن الاسم نفس المسمى أن أحداً لا يقول سبحانه اسم الله وسبحان اسم ربنا ففني سبح اسم ربك سبح ربك ، والرب أيضاً اسم فهو كان غير المسمى ليرجح أن يقع التسبيح عليه ، وأعلم أن هذا الاستدلال ضيق لما بينا

في المسألة الأولى أنه يمكن أن يكون الأمر وارداً بتسبيح الاسم ، ويمكن أن يكون المراد تسبيح المسمى وذكر الاسم صلة فيه . ويمكن أن يكون المراد تسبيح باسم ربك كما يقال (سبح باسم ربك العظيم) ويمكن أن المعنى سبح ربك بذلك اسمائه .

❖ **المسألة الثالثة** ❖ روى عن علقمة بن عامر أنه لما نزل قوله تعالى (سبح اسم ربك العظيم) قال لئلا يروى الله صلى الله عليه وسلم ، أجدلونها في ركوعكم ، ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال : أجدلونها في سجودكم ، ثم روى في الأخبار أنه عليه السلام كان يقول في ركوعه : سبحان رب العظيم ، وفي سجوده : سبحان رب الأعلى ، ثم من العلماء من قال إن هذه الأساليب تدل على أن المراد من قوله (سبح اسم ربك) أي صلى باسم ربك ، وبهذا كد هذا الاحتمال بإطلاق الله - من على أن قوله تعالى (فسبحان الله حين تدعون) وحين تصبحون) وروى في بيان أوقات الصلاة .

❖ **المسألة الرابعة** ❖ فراعلى عليه السلام (سبحان ربك الأعلى ، الذي خلق مسرى) ولعل الوجه فيه أن قوله (سبح) أمر بالتسبيح فلا بد وأن يذكر ذلك التسبيح وما هو إلا قوله سبحان رب الأعلى .

❖ **المسألة الخامسة** ❖ تمسكت النجدة في إثبات العلم بالمكان بقوله (ربك الأعلى) والحق أن العلم بالجهة على الله تعالى محال ، لأنه تعالى إنما يكون متاهياً أو غير متاه ، فإن كان متاهياً كان طرفه القوي متاهياً ، فكان طرفه جهة فلا يكون هو - سبحانه أعلى من جميع الأشياء ، وأما إن كان غير متاه فالقول بوجود أبعاد غير متاهية عياناً وأيضاً لأنه إن كان غير متاه من جميع الجهات يلزم أن تكون ذاته تعالى محاطة بانقذورات تدلى الله عنه ، وإن كان غير متاه من بعض الجهات ومتاهياً من بعض الجهات كان الجانب المتأخر متاهياً ، الجانب غير المتأخر فيكون مركباً من جزأين ، وكل مركب ممكن ، فواجب الوجود لذاته ممكن الوجود ، وهذا محال ، فثبت أن العلم بها ليس بمعنى العنق في الجهة ، بل يؤكد ذلك أن ما قبل هذه الآية وما بعدها يتأني أن يكون المراد هو العلم بالجهة ، أما ما قبل الآية فليس تعبر عبارة عن كونه في غاية البعد عن العالم ، وهذا لا يناسب استحقاق التسبيح والثناء والتعظيم . أما العلم بمعنى كمال القدرة والتفرد بالخلق والإبداع فيناسب ذلك ، والسورة هنا مدكوته إتيان وصفه تعالى بما لا يحد بسحق الخد والثناء والتعظيم ، وما جاء من هذه الآية لأنه أراد بـ (الأعلى) بقوله (الذي خلق فسوى) والحالفة تناسب القول بحسب القدرة لا العلم بحسب الجهة .

❖ **المسألة السادسة** ❖ من الملاحظين من قال : بأن القرآن مشهور بأن كماله بين أحدهما عظيم والآخر أعلى منه ، أما العظيم فقوله (سبح باسم ربك العظيم) وأما الأعلى منه فقوله (سبح اسم ربك الأعلى) فهذا يقتضى وجود رب آخر يكون هذا أعلى من الله إليه .

واعلم أنه لما دلت الدلائل على أن الصانع تعالى واحد سقط هذا القول ، ثم نقول ليس في

عبد الآزہ کہ ۔ جہنہ و تعالیٰ اعلیٰ من رب آخر ، بل انیس ہے (اذا انہ اعلیٰ ، ثم لاقیہ فلو یلأت
(الاول) کہ انہ نہ ہی اعلیٰ و اعظم من کل ما یصفیہ بہ الوصفون ، و من کل ذکر
یذکر بہ اللہ اکبر ، بخلاف کبریتہ اعلیٰ من ہر لفظ و ادراکات ، و اصناف آلاءہ و نعمتہ اعلیٰ
من ہر عباد شکر ، و انوار حقہ اعلیٰ من ملأ ذلک الخالق ۔

(الذي لم ين توله) (الأعلى) عذب على استحقاقه التوبة من كل نقص فكأنه قال سبحانه (الأعلى) أي فإنه المالك على كل شيء عذابي وسلطاني وقدرتي . وهو كما تقول احتجب الحر المولى لمقل أي اجتمعت أسباب كونه من مريد للمقل .

والمبدأ هو أن يكون المراد الأعلى للعلماء، لأن المراد والأمر الكبير.

السؤال السابعة: روى أنه عليه السلام كان يحب هذه السورة، يقول: «لو علم الناس علمي مسح اسمي لمكان الأذى لودعته أحدكم» - عشرة مرة، وروى: «أن عائشة سرت لأعرا، يوصل أصحابه قرا» - مسح اسمي لمكان الأذى، الذي يدر على الحصى، فأخرج منها خمسة أسماء: من بين صفاتي وحده، أنيس ذلك فأدور على أن يجزي الفتوى. (الابن الأثير) - «فقلت عائشة لآل عائكة: ولا زالت أمناؤكم في ليلة واثقة أملا».

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى) ، وَالَّذِي فَسَّاهُ (ي) فَاعْتَمِدَ عَلَيْهِ سَاحِقَةُ السَّحَابِ وَتَعَالَى مَا أَسْرَعَ مَا تَجَرَّجَ ، فَكَانَ مَعَهُ تِلْكَ الْقَوْلُ : (الْإِنْسَانُ عَمَلٌ بِالْأَيْدِي) ، وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجُودِ الْوَلَدِ (الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى) ، وَالَّذِي فَسَّاهُ (ي) ، وَاعْتَمِدَ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِالْخُلُقِ وَالْهَدْيَةِ هِيَ الطَّارِيقَةُ الْمُسْتَقْدَمَةُ عَلَى أَكْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ (الَّذِي خَلَقَنِي إِذْ لَا يَدْرِي) ، وَحَكَى عَنْ عِيسَى (وَعَرَفَ أَنَّهُ قَالَ فَوْسَى) وَهَارُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (فَمَنْ دَعَا بِمُوسَى) ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَبِّمَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَيَاةً ثُمَّ هَدَى) ، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ تَعَالَى يُدْعَى مَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ فَوَقَّعَهُ (أَمَّا أَتَسْمَعُ) ، وَالَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ (ي) هَذَا (إِشَارَةٌ إِلَى الْخُلُقِ) ، ثُمَّ قَالَ (أَلَمْ أَرْبُكَ إِلَّا كَرَمًا) ، (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) ، وَهَذَا (إِشَارَةٌ إِلَى أَعْدَائِهِ) ، ثُمَّ يَدْعُو إِلَى إِعَادَةِ كَرَمِكَ الْخَلْقَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، فَقَالَ (الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى) ، وَالَّذِي فَسَّاهُ (ي) ، وَاعْتَمِدَ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ طَرِيقَةٍ كَثِيرًا مَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْعَجَائِبَ وَالْمُرَاتِبَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَثِيرٌ ، وَمَتَاعِدَةُ الْإِنْسَانِ لَهُ ، وَاطَّلَاعُهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَا جَرَمَ كَانَتْ أَدْوَى فِي الدَّلَالَةِ تَجَمُّعُ هَذِهِ مَعَانِي :

في المسألة الأولى قوله (خلق موسى) يحتل أن يريد به الناس خاصة، ويحتمل أن يريد
الحيوان، ويحتل أن يريد كل شيء حي، فمر حله على الإنسان ذكر للتورية وجرها (أحدها)
أنه جعل مات مدنية مدنية وحافة حرة، على ما قال (لقد خنت الإنسان في أحسن تقويم)
وأن جعل نفسه بسبب خلقه إياه، فقال: عبادك الله أسمن الحالفين). (ولأنها) أن كل حيوان

فانه مستمد لنوع واحد من الافعال فطرية ، وغير مستمد لآثار الاعمال . اما الإنسان فانه خلق بحسب بكماله أن يأتي بجميع افعال الخيرات بواسطة آلات مختلفة فالتسوية إشارة إلى هذه (والثاني) أنه بما أن تكليف القوام بأداء التبادلات ، وأما من جهة على جميع الخيرات . قال المراد أنه أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من أعضاء والآلات وحواس . وقد استصحبنا نقول في هذا الباب في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وأما من جهة على جميع الخلق قلت ، قال المراد من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكّنات عالم بجميع المعلومات . خلق ما أراد على وفق ما أراد موصفاً بوصف الأحكام والإيمان ، وما عن تفصيل والاضطراب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرأ الجمهور (فخر) مشددة وقرأ التكساني على التخييف ، أم إفراده التشديد فالتخفيف أنه من كل شيء بقدر معلوم . وأما التخييف فقال الفقهاء معناه مخيف فهدى وتوابعه : أنه خلق هدى . وملاك ما خلق ، أي أنصرف فيه كيف شاء وأراد ، وهذا هو الملك فهداه لتسوية ومصلحه . ومنهم من قال هما إيمان بمعنى واحد . وعليه قوله تعالى (فهدونا نعم الهدى) (فهدونا نعم الهدى) بالتشديد والتخفيف .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إن قوله (فهدى) يتناول الخيالات في دراتها وحداثتها وكل واحد على حسب قدر سموات والكواكب والسموات والفلوات والنبات والحيوان والإنسان بمقتدر مخصوص من الجنة والطعم ، وهدى لكل واحد منها من الدار مدد معلومة ومن الصفات والألوان والمعلوم والروائح والأبواب والأوصاف والخس والتنجيم والسموات والنفوس والنفوس والنفوس والنفوس والنفوس على ما قال (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) وتفصيل هذه الفكرة بما لا ينبغي إشرحه أعيدت ، بل أنظم كلمة من أعني أعليين إلى أسفل الدارين . تفسير هذه الآية . وتفصيل هذه الفكرة .

أما قوله (فهدى) فالمراد أن كل مراح منه مستمد لقوة خاصة وكل قوة لها لا تفسخ إلا لفعل معين ، فالتسوية والتفريق عبارة عن تصرف في الأجزاء الجسمية وتركيبها على وجه خاص لا يجهل ذلك بعد الخلق تلك القوى ، وقوله (فهدى) عبارة عن خلق تلك القوى في تلك الأجزاء بحيث تذكر كل قوة مصدر الفعل معين . ويحصل من مجموعها تمام المصلحة . والمفسرين فيه وجوده . قال مقاتل : هدى الله كل الأنبياء كيف يشاء بهم . وقال آخرون هدايته ورعاه . وقال آخرون هدى الإنسان سبيل الخير والشر والهدى والشفقة . وذلك لأنه جعله حساساً إدراكاً لما كان من الإقدام على ما يضره والإحجام عما يضره كما قال (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) وقال (ونفس وحاسوا لها) أنهم الجور والحق والهدى : هدى الله المؤمنين في الرحمة من هذه الفسوخ وقال القرطبي قدر هدى وأصله : ما كنيت به ذكر (أهداهما) كقولهم (إرأيت كيف فعلت أمي) وقال آخرون الهداية بمعنى الهدى إلى الإيمان كقولهم (وأهدى الله ديني) أي تدينه . وقد دعى الكل إلى الإيمان ، وقال

سَفَرْتُكَ فَلَا تَسْقُ ① إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ②

أخبرون مدى أن دفع بأمره على نوحه وحلّ كبرائه . وموت صديقه . وروايته . وذلك لأن الدين يرى في العلم أنما عكسه منصفه . وفي لاجهة من العلم أنما عكسه . وقال قتادة في قوله (قوله) : إن الله تعالى ما أكره عبداً على معصيه . ولا من صلاته . ولا رخصها له ولا أمرها . ولكن رضى منك تطاعة . وأمركم ما . وما كره من المعصية . وأمر أن هذه الأفعال على كثرتها لا تخرج عن قسمين . قسم من حال قوله (قوله) : على ما يثبت الدين كقولته (وهو صفة التحديق) . وهم من حمله على ما رجع إلى أصابع الأيدي . والأول (قوله) : لأن قوله (قوله) : على ما يثبت الدين . وأما قوله تعالى (والذي أخرج المرعى) . فاعلم أنه . جاء لما بين ما يخص به الناس أنبه بذكر ما يخص به غير الناس من الدم : فكل (والذي أخرج المرعى) : أي هو العائد على إنبات الشعب لا الأصنام التي عبثها الكفرة . ومزج ما تحرمه الأرض من الثناء . ومن الخمر والذروع والخشب . قال ابن عباس المرعى المشكول الأحرار . ثم قال : جعله غداً أحمر . وفيه مسائل :

① المسألة الأولى : العناء ما ليس من الثناء فأنه الآية والماله والوث له الزاج . وقال طرب واحد العناء الخيانة .

② المسألة الثانية : الحرف السواد . وقال بعضهم الأعراس هو الذي يضرب إلى السواد إذا أصابت وطولة . وفي أخرى فولان (أحدهما) : أنه قلت الثناء أي حال به بعد الخسرة بما أدى تغير إلى السواد . وسبب ذلك السواد أن (أحدهما) : أن أذهب إلى ما يجب عدمه . السواد البرد على الهواء . ومن شأن البرودة أنما ينقص الرطب والسود . فأنس (وثالثها) : أن يعمل العليل فيلصق بها أجرا . كدرة مسودة (وثالثها) : أن يعمل الخرج ما هو من الخسرة . فكثير منسود (القول الثاني) : وهو أن يخرجه حراره وأن يذهب منه . وهو أن يكون الخسرة من الأسود للعدة خضرته . كما قيل (مدها من) : أي سوداوان شدة خضرته . والقدر الذي أخرج المرعى أحمرى بجله غداً . كقولته (وأن يجعل له عرجاً قتيلاً) : أي أن لا يملك من له عرجاً .

قوله تعالى : سَفَرْتُكَ فَلَا تَسْقُ . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ . يعلم الجهر وما يخفى . ①
علم أنه تعالى لما أمر محمداً (ص) أن يبعث الرسل إلى من يشاء عليه السلام أن ذلك التسميع لا يتم ولا يمكن إلا بإذن الله تعالى . فأنه من القرآن . لما بدأ أن التسميع الذي يليق به هو الذي يرضيه نفسه . فلا حرم كان يذكر القرآن في حب خفاة أن نفس فأزال الله تعالى ذلك الخوف عن قلبه بقوله (سَفَرْتُكَ فَلَا تَسْقُ) وفيه مسائل :

في المسألة الأولى في قال الواحدى (سنقرئك) أى سنحكك قارئاً بأن تلكم القراءة تلا نسي ما تقرؤه ، والمعنى بحمدك قارئاً لتقرأ تقرؤه فلا تنساه ، قال جاحد ومقاتل والسكبي : كان عليه السلام إذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك أسنانه مخافة أن ينسى ، وكان جبريل لا يفرغ من آخر الوحي حتى ينكم هو بلوله بحافة التبيان ، فقال تعالى (سنقرئك فلا تنسى) أى منامك هذا القرآن حتى تحفظه ، ونظيره قوله (ولا تجعل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) وقوله (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ثم ذكروا في كيفية ذلك الاستفراغ والتعلم وجوهاً (أحدها) أن جبريل عليه السلام سيقراً عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظاً لا تنساه (وثانيها) أنا نشرح صدرك وتقرى خاطرك حتى تحفظ بالمرّة الواحد حفظاً لا تنساه (وثالثها) أنه تعالى لما أمره في أول السورة بالتدريج فكأنه تعالى قال : وانظرب على ذلك ودم عليه ، فإن سنقرئك القرآن الجامع له لوم الأولين والآخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك ونجمه في ذلك ، ويسرك للبرى وهو العمل به .

في المسألة الثانية في هذه الآية يدل على المعجزة من وجهين (الأول) أنه كان رجلاً آمياً لم يحفظ لهذا الكتاب الطويل من غير دراسة ولا تكرار ولا كثرة ، غارق العادة فيكون معجزاً (الثاني) أن هذه السورة من أواسط ما نزل بمكة ، وهذا إخبار عن أمر عجب غريب مخالف لقاعدة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا إخباراً عن تعجب يكون معجزاً ، لما قوله (فلا تنسى) فقال بعضهم (فلا تنسى) مداه الهوى ، والآنف مزينة للعاصلة ، كقوله (السبيل) يعنى فلا تغفل فوائده وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أنه أن يذكره ، والقول المشهور أن هذا خير والمعنى سنقرئك إلى أن نصير صحبت لا تنسى ، ونحن التبيان ، كقولك سأكسوك فلا تنسى أى قاضى العرى ، واحتج أصحاب هذا القول على ضعف القول الأول بأن ذلك القول لا يتم إلا عند التزام مجازات في هذه الآية منها أن التبيان لا يفتقر عليه إلا الله تعالى ، فلا يصح ورود الأمر والنهى به ، فلا بد وأن يجعل ذلك على الموافقة على الأشياء التى تنافى التبيان مثل الدراسة وكثرة التذكر . وكل ذلك عدوله عن ظاهر المفظ . ومنها أن تجعل الآنف مزينة للعاصلة وهو أيضاً خلاف الأصل ومنها أنا إذا جعلناه خبراً كان معنى الآية بشارته إياه بأنى أمهاتك بحيث لا تنساه ، وإذا جعلناه نبأً كان مناه أن الله أمره بأن يروا حب من الأسباب المساعة من التبيان وهى الدراسة والقراءة ، وهذا ليس فى البشارة وتغظيم حاله مثل الأول . ولأنه على خلاف قوله (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أما قوله (إلا ما شاء الله) فيه احتمالان (أحدهما) أن يقال هذا الاعتناء غير حاصل فى الحقيقة وأنه عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئاً . قال السكبي : فإنه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية شيئاً ، وعمل هذا التقدير بذكرى الغرض من قوله (إلا ما شاء الله) (أحدهما) التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال تعالى (ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله) وكان تعالى يقول : أنا مع أى عالم بجميع الماهومات وعالم بمواقب الأمور على التفصيل لا أخبر عن

وَنَيْسِرُكَ لِلْبَصْرِ ﴿٥١﴾

وقوع شيء في اثنين إلا مع هذه الكلمة فأت وأهلك بإحدى أوليها (وثانيها) قال القرطبي أنه تعالى لما شاء أن ينشئ محمد عليه السلام شيئاً ، إلا أن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير شيئاً لذلك أقدر عليه ، كما قال (وإن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم إننا لنطلع بآية مما شاء ذلك وقال الحمد عليه السلام (لئن أشركت ليحطنن عليك) مع أنه عليه الصلاة والسلام ما أشرك البتة ، وإنما فائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرف قدره حتى يعلم أن عدم الإيمان من فضل الله وإحسانه لا من إزفه (وثالثها) أنه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جود رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي قبلاً كان أو كثيراً أنت بكون ذلك هو المستثنى ، فلا حرم كان يأنخ في الثبوت والحفظ واليقظة في جميع المراتع ، فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاءه عليه السلام على اليقظة ، في جميع الأحوال (رابعها) أن يكون الترخيص من قوله (إلا ما شاء الله) نفي النسيان رأساً ، كما يقول الرجل لصاحبه : أنت سبسي فيما أمرك إلا فيما شاء الله ، ولا يقصد استثناء شيء (الثاني) أن قوله (إلا ما شاء الله) تقدم استدلاله في الحقيقة ، وعلى هذا فيجوز تحتمل الآية وجوهاً (أحدها) قال الزجاج : إلا ما شاء الله أن ينشئ ، فإنه ينشئ ثم يذكر بعد ذلك : فإذا قد بنشئ ولكنه يشترط فلا ينشئ شيئاً كلياً وإنما ، وروى أنه أسقط آية في قرآنه في الصلاة ، لحسب أني إنما نسخت ، فسأله فقال أنشأتها (وثانيها) قال مقاتل : إلا ما شاء الله أن ينشئ ، ويكون المراد من الإنشاء هنا تسخيره ، كما قال (ما نسخ من آية أو ذهب ما يتخير منها) ويكون المعنى (إلا ما شاء الله أن تضاء على الكوفاة كلها ، فبأمرك أن لا تغراء ولا تفعل به ، فيصير ذلك شيئاً أفسياه ، وذواله عن الصدور (وثالثها) أن يكون معنى قوله (إلا ما شاء الله) القلة والندرة ، وبشرط أن لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع ، بل من الإداب والسنن ، فإنه لو بني شيئاً من الواجبات ولم يشترط أنه أدى ذلك إلى الخلل في الشرع ، وإنه غير جائز .

الثاني قوله تعالى (إنه يعلم الجهر وما يخفى) فيه وجهان (أحدهما) أن الذي أنه سبحانه علم بجهرك في القرارة مع قراءة حبري عليه السلام ، وعلم بالسر الذي في قلبك وهو أنك تحذف اللينين ، فلا تحذف أبناً أكفبك ما تحذف (والثاني) أن يكون المعنى : فلا تنس إلا ما شاء الله أن يبيح ، فإنه أعلم بمصالح العبد ، فمخ جسد يعلم أن الصلاة في النسخ .

قوله تعالى : ﴿ ونيسرك للبصري ﴾ فيه مسائل :

﴿ فاستأله الأولى ﴾ البصري هي أعمال الخير التي تؤدي إلى البصر ، إذا عرفت هذا فنقول : للفسرين فيه وجوه (أحدها) أن قوله (ونيسرك) معطوف على (ستفرك) وقوله (لأنه يعلم

فَذَكَرَ إِن نَّمَعْتَ الذِّكْرَى ۝

المجهر وما يخفى (انراض ، والتفسير : ستروك فلا تسي ، وتوكل الطريقة التي هي أسهل وأيسر . يعني في حفظ القرآن) وثانيها (قال ابن مسعود : انبصرى الجنة ، والمعنى بترك العمل القوي اليسا) وثالثها (نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتسلمه وتكمل به (ورايها) توكلت الشريعة وهي الخليفة للملة السمعة ، والوجه الأول أقرب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ مسائل أن يسأل فيقول العبادة المتبادرة أن يقال جعل الفعل للفلائي ميسراً لفلائي ، ولا يقال جعل فلان ميسراً للفعل الفلائي فإلّا يفتقد فيه ؟ ههنا (الجواب) أن هذه العبارة كما أنها اختيار القرآن في هذا الموضع ، وفي سورة القبل أيضاً . فكلنا هي اختيار الرسول في قوله عليه السلام : « اعلموا فكل ميسر لما خلق له » وفيه لطيفة عالية ، وذلك لأن ذلك الفصل في نفسه ماهية ممكنة قابلة للوجود والعدم على السوية ، فإذا دام القادر بقي بالنسبة إلى فعلها وتركها على السوية استنع صدور الفعل عنه ، فإذا ترجع جانب الدفاعية على جانب التاركية ، فينبذ يحصل الفعل ، فثبت أن الفعل ما لم يجب لم يوجد ، وذلك الرجوعان هو المسمى باليودير . فثبت أن الأمر بالتعظيم هو أن الفاعل يصير ميسراً للفعل ، لا أن الفعل يصير ميسراً للفاعل ، فيبطل من له تحت كل كلمة حكمه خفية ومربح يجب بهر القول .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إما قال (ونيسرك اليسرى) تنون التظيم لشكون عظمة المظهر دالة على عظمة العظماء ، ظهير قوله تعالى (إنا أنزلناه ، إنا عن نزولنا الذكر ، إنا أعطيناك الكوثر) دلت هذه الآية على أنه سبحانه فتح عليه من أبواب التيسير والتمهيد ما لم يفتح على أحد غيره ، وكيف لا وقد كان صبيلاً لا أب له ولا أم له نشأ في قوم جهال ، ثم إله تعالى جعله في أمهاته وأقوال فعوة للمؤمنين ، وهدياً للخلق أحسن .

أما قوله تعالى ﴿ فذكر إن نعمت الذكرى ﴾ فاعلم أنه تعالى لما نكل ييسر جميع مصالح الدنيا والآخرة أمر دعوة الخلق إلى الحق . لأن كمال حال الإنسان في أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه تآمراً و فوق الخاتم ، فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام ناساً بمقتضى قوله (ونيسر اليسرى) أمر بأن يحمل نفسه فوق الخاتم بمقتضى قوله (فذكر) لأن الله كبر بمقتضى تكبير الخافضين وهداية الجامعين ، ومن كلام كذلك كان ناساً للكمال ، فكان تآمراً و فوق الخاتم ، وهما مؤالات : (الذوال الأول) أنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى الكل صديب عليه أن يذكركم سواد نعمتهم الله كرى أولم تنصمهم ، فالمراد من تعابره على الشرط في قوله (إن نعمت الذكرى) ؟ (الجواب) أن الملقى بأن على النبي . لا يلزم أن يكون عدماً عند عدم ذلك الشيء . ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله (ولا تنكروا خباياكم على البغاة إن أردن تعصاً) ومنها قوله (واشكروا لله إن كنتم

سَبِّحْهُ مَنْ يَخْشَى ﴿١﴾

(يا عبادي) ومنها قوله (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم) فان أخطر جائز إن لم يوجد الخوف . ومنها قوله (إن لم يجدوا كتاباً رهاقاً) وأرهق جائز مع الكفاية . ومنها قوله (فلا جناح عليكم أن يفرحوا إن هذا أن يقرئها حدود الله) والمراجعة مأخوذة بدون هذا الظن . إذا عرفت هذا فقول ذكرنا لذكر هذا الشرط فوائد (إدخالها) أن من يقرأ فلا لعمري فلا شك أن الصورة التي علم بها (أفهام) تلك الوسيلة إلى ذلك الغرض . كان إلى ذلك العمل أقرب من الصورة التي علم بها عدم ذلك الإحصاء . فلذلك قال (إن نعمت الله كرى) (وإنها) أنه تعالى ذكر أشرف الخلق . وانه على الأخرى كقوله (سربل تفكير آخر) وتفكير (قد ذكر إن نعمت الله كرى) لم يلم نعم (وإنها) أن يقرئها منه العبد على الانتفاع بالذكري . كما يقول المراء لهم (إذا بين له الحق) . فمأثور صحته لك (رب) كنت تعقل فيكون مراده انبسط على القول والانتفاع (وإنها) أن هذا يجري مجرى تنبأ الرسول (عليه السلام) أنه لا تفهم الله كرى كما يقال قرئ نوع فلا أن أسألك . والحق وما أراه يجيدك (وإنها) أنه عليه السلام دعاه إلى الله كثيراً . وكما كان دعواه أكثر كل عتوم أكثر . وكان عليه السلام يخفف حسرة على ذلك أقبل له (وما أشرف عليهم بغيره) . قد ذكر ما قرأ من يخاف (وإنها) إذا كان كبير العام واجب في أول الأمر فاعلم التذكير فاعلمه إنما يجب عند رجاء حصول المقصود فلما لم يفلح فيه هذا الشرط .

(الشيء الثاني) كالتطبيق بالشرط إنما يمتنع في حق من يكون جاهلاً بالعراقب . أما علام اليوم فكيف يليق به ذلك ؟ (الجواب) روى في الكتب أنه تعالى كان يقول لموسى (هؤلاء هم أولادك) لعله يشكر الله عز وجل . وأما أمه أنه لا يتذكر ولا يخشى . فأمر الدعوة والبصيرة . وعنه تعالى بالنبات وعرف الأور غير ولا يتذكر بناءً أحدهما على الآخر .

(الشيء الثالث) كذا كبير الأمور بهل مضبوط مثل أن يذكرهم عشرات مرات . أو غير مضبوط . وحسن كيف يكرر الخروج عن عبادة التكليف ؟ (الجواب) أن الضابط فيه هو العرف والاعتدال . نوله تعالى : ﴿ سَبِّحْهُ مَنْ يَخْشَى ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن المراد في أمر المداة على ثلاثة أقسام منهم من قطع بصحة . ومنهم من جرد وجوده وسكته غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات . ومنهم من أسر على إنكاره وقطع بأنه لا يكون بالغبان الأولان يتكونان في حادثة لها . وأما القسم الثالث فلا خشية له ولا خوف إذا عرفت ذلك ظهر أن الآية تعمّل بغير : (أحدهما) أن يقال الذي يخشى هو الذي يكون عارفاً بالله وعارفاً بكمال قدرته وعلمه وحكمته . وذلك يقتضي كونه قاطعاً بصحة المداة

ويحبها الأشقي ١١١ الذي يصلّي آثار الكبري ١١٢

وله (ك) قال تعالى: إلهنا يحيي الله من عباده المخلصين بكلمة الله تعالى: وقد ذكر إن نعمت الله (ك) بين في هذه الآية أن الذي أنعم الله (ك) من هو: ولو ما كان الانتفاع إله (ك) موباً على حصول الخشية في القلب، ومعدلات القلوب بما لا يتخلل لأحد عنها إلا الله، بحاله وجب على الموصول تعميم الدعوة لخصه لا لغيره، فإن المقصود من (ك) من يسمع بالكبر، ولا يسلّي إليه إلا بتعميد (ك) الذي إن يقال إن الخشية كانت للعلماء، وأنه وقهر غير العلماء، والأكابر الخلق من دونهم غير معنيين، والمعاد فهم قليل، وقد عذر أبو القاسم في الذين لهم العلم بالدين، كانت العبادة شريطة لغير العلماء، ثم من كثرة آمن العلماء، ومن يعبدون الناس، هذا القادر وقابله بينه وبين غيره، ذلك مما لا يكون أو إن كان فهو في غاية التبرؤ والقليل، ثم إن الإيمان إذا جمع الخوف منه (يصلّي آثار الكبري) وأنه (لا يوثق به) ولا يثق به، وإنما كسر قلبه فلا بد وأن يستمع وينفع أشد، فخلق في أقاله الأحرار، وأما الذين انصرفوا بناد، وتركت الخلق الكبر فلا حول لهم، فالذين شر كثير، فمن هذا الوجه كان قوله: وقد ذكر إن نعمت الله (ك) موجب تعميم الكبر.

وله (المادة الثالثة) كـ: تسب في قوله: وقد ذكر إن نعمت الله (ك) معنى حرف يدكر، سوف من الله وأحب كقولك (معموداً) (ك) تسب، وتعتبر أن يكون المعنى أن من حتى الله فله يدكر وإن كان بعد حين، بما يستعمله من القدر والقدار فهو بعد حلول الله يدكر، والله أعلم.

وله (المادة الرابعة) كـ: الذي إنما يسعى تركه إذا كان قد فعله، أي لا شيء، وهذه الحالة غير حاصلة للكفار فكيف من الله تعالى ذلك، وإذا ذكر، وحرابه) أن قوة الملائكة وخبرها، فأنك لا ذلك إلى كان حاصلاً، ثم إنه زال بسبب القلب والقدار، فلهذا استعمل الله تعالى ما ذكر.

وله (المادة الخامسة) كـ: قيل عزت هذه الآية في عثمان بن عفان، وقيل عزت في أن أم مكتوم لما غرله تعالى في ويحبها الأشقي، الذي يصلّي آثار الكبري كـ: فاعلم أن هذا أقسام الخلق ثلاثة: ... فون والمؤمنين والمعادين، ... بأن الله عز وجل لا بد وأن يكون لها حرف وحشة، وصاحب الخشية لا بد وأن يستمع إلى الدعوة وينفع بها، فيكون الأشقي هو المأمور الذي لا يستمع إلى الدعوة ولا ينفع بها، وهذا قال تعالى: ويحبها الأشقي، الذي يصلّي آثار الكبري) وفيه مسائل:

وله (المادة الأولى) كـ: كرواي تفسير الباق (الكبري)، جوعاً (أحداه) قال الحسن: الكبري الزجرهم، والصغرى ناز الدنوب (والأول) أن في الآخرة نواهاً وحركات، ومخالفة كل أن في الدنيا، ومن معنيين مخالفة، وكذا أن الكابر أشقي البصائر، لأن يصلّي أعظم البرايا (والثاني)

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣٠ ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٣١

أَنَّ الْبَارَ الْكَبِيرَ هِيَ الْقَابُ الْمَقْبُورِ ، وَهِيَ مُصِيبُ الْكَافِرِ عَلَى مَا قَالُوا تَعَالَى (إِنَّ الْمَاتِفِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْبَارِ) .

(الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ) قَالُوا : إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي الْوَلِيدِ وَهِيَ وَأَيُّ وَاسْتَدَلُّوا أَنَّ الْعَبْرَةَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ لَا تَخْصِمُ مِنَ السَّبَبِ ، لِأَنَّهَا وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ هَذَا التَّرْتِيبَ بِالْإِيمَانِ عَقْلِيٌّ .

(الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ) قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ عَنْهَا فَمُسَمَّنٌ (أَحَدُهُمَا) الَّذِي يَذْكُرُ وَيُحْيِي (وَالثَّانِي) الَّذِي يَهْلِي بِشَارِ الْكَبِيرِ ، لَكِنْ وَجُودُ الْآخِرِ - بِسَبَبِيٍّ وَحَرْدَانِيٍّ - مُكْتَرِفٌ حَالٌ هَذَا الْقَصْدُ ؟ (وَجَوَابُهُ) أَنَّ أَعْظَمَ الْأَشْيَاءِ لَا تَنْفَعُهُ وَجُودُ الْأَشْيَاءِ إِذَا قَدْ تَجَرَّى مِثْلُ هَذَا الْمَنْظَرِ مِنْ غَيْرِ مُشَارِكَةٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) وَقِيلَ الْمَعْنَى : وَبَيْنَهُمَا الشَّقِيُّ يَهْلِي بِكُلِّ مَا فِي قَوْلِهِ (هُوَ أَهْلُونَ عَلَيْهِ) أَيْ هِيَ عَلَيْهِ . وَمِثْلُ قَوْلِ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَّكَ السَّجَادَ بَنَى لَنَا) بَنَى دَعَانَهُ أَيْ عَزَّ وَأَعْلَى .

هَذَا مَا قِيلَ لِكُلِّ التَّحْقِيقِ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ تَعَالَى ثَلَاثَةٌ : الْعَارِفُ وَالْمَعْرُوفُ وَالْمُعَادَى فَالْمُعَادَى هُوَ الْعَارِفُ ، وَالْمَعْرُوفُ لَهُ بَعْضُ الشُّفَاةِ وَالْأَشْيَاءُ هِيَ الْمُسَائِدَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (هُوَ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الدَّخْرُ وَلَا يَهْمِي بِالْإِيَّاءِ وَبَيْنَهُمَا) .

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى فَهُوَ مُسَمَّنٌ : (أَحَدُهُمَا) لَا يَمُوتُ فَيُسْتَرْجَعُ وَلَا يَحْيَى حَيَاةً تَنْفَعُهُ ، كَمَا قَالَ (لَا يَفْضِي عَلَيْهِمْ فَمَوْتُهُمْ لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ التَّرْبِيقِ يَقُولُ الْبَنِيَّيْنِ : (الْإِلَهَ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا هُوَ يَشِئُ) (وَالثَّانِي) أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ فِي الْبَارِ تَعْبِيرٌ فِي خَلْقِهِ فَلَا تَخْرُجُ مِمَّا يَمُوتُ ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَوْجِدٍ مِنَ الْجَسَمِ فِيهَا .

(الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ) إِنَّمَا قِيلَ (ثُمَّ) دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ أَعْظَمُ وَأَعْلَى مِنْ تَهْلِيٍّ هِيَ مُتَرَاخٍ عَنْهُ فِي مَرَاتِبِ الشُّفَاةِ .

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : (هُوَ أَفْلَحَ) مَنْ تَزَكَّى فَهُوَ قَبِيحٌ وَجْهَانٌ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ تَعَالَى لَا ذَكَرَ وَجْهًا مِنْ أَعْرَاضٍ عَنْ النِّظَرِ وَالشَّأْنِ وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى ، أَيْ بِمَعْنَى الْوُجُودِ لَمْ يَزَكَّ ، وَتَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ شَرِّكَ (وَالثَّانِي) وَهُوَ قَوْلُ الرَّجَاحِ تَكَرَّرَ مِنَ التَّفَرُّدِ ، لِأَنَّ مَعْنَى أَرْكَبِي الْإِيمَانَ الْكَبِيرَ ، وَهَذَا الْوَجْهَ مُتَعَدِّدٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (هُوَ أَفْلَحَ) الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (أَمَّا تَهْلِيُّ الْإِيمَانِ تَعَالَى لِكَوْنِهِ خَالِصًا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ الْبَقَرَةِ (وَأَلُوكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) وَأَمَّا الْوَجْهَ الْأَوَّلُ فَهُوَ مُتَعَدِّدٌ وَجْهَيْنِ : (الْأَوَّلُ) أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَمُوتُ فِي الْآيَةِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَنْهُ عَلَمًا أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ التَّزَكَّى عَمَّا مَرَّ ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ الْكَفَرُ ، فَعَلَّمَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا (قَدْ

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٢٣﴾

أُطْلِعَ مِنْ تَرْكِي (عَنْ الْكَافِرِ الَّذِي مَرَّ ذَكَرَهُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ) (وَالثَّانِي) أَنَّ الْإِسْمَ الْمُنَاطَى يَهْتَرَفُ إِلَى الْمَسْحِيِّ الْكَافِلِ ، وَأكَلِ أَوَاقِ التَّرَكِيَةِ هُوَ تَرْكِيَةُ الْقَلْبِ عَنْ ظِلَّةِ الْكُفْرِ فَرَجِبَ صَرْفَ هَذِهِ الْمُنَاطَى إِلَيْهِ ، وَبِئْسَ كَيْدٌ هَذَا تَنَازُلِيٌّ يَدْرُوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ مَعْنَى (تَرْكِي) نَوَلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ فِيهِ مَسَائِلٌ :

﴿ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى ﴾ ذِكْرُ الْمَعْرُوفِ فِيهِ وَجُوهًا . (أَحَدُهَا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذِكْرُ مَعَادِهِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ مَعْنَى رَبِّهِ فَصَلَّى لَهُ . وَأَقُولُ هَذَا التَّفْسِيرَ مَتَعَيْنٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرَاتِبَ أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِ ثَلَاثَةٌ (أَوَّلُهَا) إِزَالَةُ مَعَادِهِ الْقَلْبِيَّةِ عَنْ قَلْبِهِ (وَثَانِيهَا) اسْتِحْضَارُ مَعْرِفَةِ إِقْدَامِ تَعَالَى بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَاسْمَاتِهِ (وَثَالِثُهَا) الْإِسْتِخْلَافُ عَنْهُ .

﴿ وَالثَّانِيَّةُ الْأُولَى ﴾ فِي قَوْلِهِ يَأْتِي تَرْكِيَةً فِي قَوْلِهِ (فَهَذَا مُنْجَسٌ مِنْ تَرْكِي) .

﴿ وَثَانِيهَا ﴾ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) قَالَ الْقَائِدُ بِالْقَلْبِ لَيْسَ إِلَّا الْمَعْرِفَةُ .

﴿ وَثَالِثُهَا ﴾ الْخَبْرُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (فَصَلَّى) (فَعَلِي) فَإِنَّ الصَّلَاةَ بَعَادَةٌ عَنْ التَّوَضُّعِ وَالْمُسْتَوْجِعِ فَمِنْ اسْتَشَارَ قَلْبَهُ بِمَعْرِفَةِ جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَكِبَرِيَّاتِهِ ، لَا يَدْرِي أَنَّ يَضَرُّهُ فِي جَوَارِحِهِ وَأَعْضَائِهِ أَوْ الْخَضُوعِ وَالْمُسْتَوْجِعِ .

﴿ وَثَانِيهَا ﴾ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْعَسْرِينَ قَوْلَهُ (فَهَذَا أُطْلِعَ مِنْ تَرْكِي) بِمَعْنَى مَنْ تَعَصَّدَ قَبْلَ مَرُورِهِ إِلَى الْعَلِيِّ (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) بِمَعْنَى تَمَّ حَالِي صَلَاةِ الْعَلِيِّ بِسَدِّ ذَلِكَ مَعَ الْإِسْلَامِ . وَهَذَا قَوْلٌ عَكْرَمَةٌ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ وَأَبْنُ حَبِيزٍ وَابْنُ عَرَبٍ وَدُرَوَيْ ذَلِكَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ فِيهِ إِسْكَالٌ مِنْ وَجْهِهِ (الْأَوَّلُ) أَنَّ عَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ تَقْدِيمُ ذِكْرِ الصَّلَاةِ عَلَى ذِكْرِ الزَّكَاةِ لَا تَقْدِيمُ الزَّكَاةِ عَلَى الصَّلَاةِ (وَالثَّانِي) قَالَ التَّعَلِيُّ هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا عِيدٌ وَلَا زَكَاةٌ فَطَرَّ ، أَجَابَ الْوَاسِعِيُّ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَمْسُحُ أَنْ يَقَالَ لِمَا كَانَ فِي مَدِينَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ أَوْ عَلَى مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ (وَثَانِيًا) قَالَ مَقَاتِلٌ (فَهَذَا أُطْلِعَ مِنْ تَرْكِي) أَيُّ تَعَصَّدَ مِنْ مَالِهِ وَذَكَرَ رَبَّهُ بِالْثَوْبِ جَدِي فِي الصَّلَاةِ فَصَلَّى لَهُ ، وَافْتَرَقَ بَيْنَ هَذَا التَّوَجُّهِ وَمَا قَبْلَهُ أَنَّ هَذَا بِتَنَازُلِ الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ الْمَرْغُوبَتَيْنِ ، وَالْوَحْدَةُ الْأُولَى لَيْسَ كَذَلِكَ (وَثَانِيًا) فَهَذَا أُطْلِعَ مِنْ تَرْكِي ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ زَكَاةُ الْمَالِ بَلْ زَكَاةُ الْأَعْمَالِ أَيْ مِنْ تَهَلُّقِ أَعْمَالِ مِنَ الزَّيْلِ وَالْإِفْهَامِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمَذْمُومَ أَنْ يَقَالَ فِي الْمَالِ ذِكْرٌ وَلَا يَقَالَ تَرْكِي قَالَ تَعَالَى (وَمَنْ تَرْكِي فَأَنَّهُ يَتْرِكُ لِنَفْسِهِ) ، (وَثَانِيًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) أَيْ كَبَّرَ فِي حُرُوحِهِ إِلَى الْعَلِيِّ وَحَالِي صَلَاةِ الْعَلِيِّ (وَثَانِيًا) الْمَعْنَى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فِي صَلَاتِهِ وَلَا تَكُونُ صَلَاتُهُ كَصَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ حَيْثُ يَرْتَوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا طَلِيلًا .

بَلْ تَوَثُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٥﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَتَقَى ﴿١٦﴾ إِنَّ هَذَا لَنِي أَنْصَبُ حِفْ

الأولى ﴿١٥﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ العزم : استجوا هذه الآية على رجوع تكبيرة الافتتاح ، واحتج أبو حنيفة رحمه الله بما على أن تكبيرة الافتتاح ليست من الصلاة ، قال لأن الصلاة مقطوعة عليها والمصنف يستدعي المغاربة ، واحتج أيضاً بهذه الآية على أن الافتتاح جزئ كل اسم من أديانهم وأجاب أصحابنا بأن تقدير الآية ، وصل ذكر اسم ربه ولا فرق بين أن تقول أكرمتني فزرتني وبين أن تقول أكرمتني ، ولأن حنيفة أن يقول : ترك العمل بفناء التعقيب لا يجوز من غير دليل (والأولى) في الجواب أن يقال الآية تدل على مدح كل من ذكر اسم الله صلى عليه وليس في الآية بيان أن ذلك الله ذكر هو تكبيرة الافتتاح . فقل المراد به أن من ذكر الله ، فإنه وذكر نوابه وعقبه دعا بذلك إلى صل الصلاة ، فليقل بأن الصلاة التي أحد أحوالها التكبير ، وحقيقة يدفع الاستدلال . ثم قال تعالى ﴿ بَلْ تَوَثُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ وفيه قرأتان : قراءة العامة بالثاء ، وبؤ كده حرف إلى ، أي بل أنتم توثرون عمل الدنيا على عمل الآخرة . قال ابن ميمون : إن الدنيا أضمرت ، وفعل لنا طعامنا وشرابنا وسائر ما ولذاتها ووجعنا ، وإن الآخرة تغيب لنا وروبنا عنا ، فأخفنا بالمعجل وتركنا الإجل ، وقرأ أبو هريرة (تَوَثُّونَ) بالياء يعني الأثني .

ثم قال تعالى ﴿ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَتَقَى ﴾ ونعمه أن كل ما كان ذمراً وأتقى فهو أثر ، فيلزم أن تكون الآخرة أثر من الدنيا وهم كانوا يوثرون الدنيا ، وإنما قلنا إن الآخرة خير لوجود (أحدها) أن الآخرة مشتملة على السعادة الجسمانية والرحمانية ، والدنيا ليست كذلك ، فالآخرة خير من الدنيا (وثانها) أن الدنيا لها غلوة بالآلام ، والآخرة ليست كذلك (وثانها) أن الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، والباقي خير من الفاني .

ثم قال ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي أَنْصَبُ ﴾ الصنف الأول ﴿ واختلوا في المصادر إليه لفظ هذا مهم من قال جميع السورة ، وذلك لأن السورة مشتملة على الترحيب والتسوية والوعيد على تكفير بالله ، والوعيد على طاعة الله تعالى .

ومهم من قال بل المشار إليه هذه الإشارة هو من قوله (هـ أطلع من ترى) إشارة إلى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغي . أما القوة النظرية فمن جميع العقائد الفاسدة ، وأما في القوة العملية فمن جميع الأخلاق الذميمة .

وأما قوله (وذكر اسم ربه) فهو إشارة إلى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى ، وأما قوله (فصل) فهو إشارة إلى تكميل الجوارح وتزويدها بطاعة الله تعالى .

صحف إبراهيم وموسى

وأما قوله (أن تقرأوا الحيلولة الدينية) فهو إشارة إلى الرجوع عن الانحرافات إلى الدنيا .
وأما قوله (والأخيرة حبر وأنى) فهو إشارة إلى الترغيب في الآخرة وفي ثواب الله تعالى .
وهذه أمور لا يجوز أن تختلف . اختلاف المزارع . فهنا السب قال (إن هذا لفي الصحف الأولى)
وهذا الوجه كما ناكه بالدقل فالحبر بدل عليه . روى عن أبي ذر أنه قال : فأتيت هل في الدنيا ما
في صحف إبراهيم وموسى ؟ فقال اقرأ بالباء ذر (فقد أطلع من ركي) وقال آخرون إن قوله هذا إشارة
إلى قوله (والأخيرة حبر وأنى) وذلك لأن الإثارة راسمة إلى أقرب المذكورات وذلك هو
هذه الآية . وأما قوله (إنى الصحف الأولى) فهو بطور لقوله (وإني لفي زمر الأولين) وقوله
(نخرج لكم من الدين ما رضى به موعدا) .

وقوله تعالى في صحف إبراهيم وموسى ثم فيه هولاء (أحدهما) أنه يان لقوله (في الصحف
التي أول) و (الثاني) أن المراد أنه مذكور في صحف جميع الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى .
روى عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أرسل الله من كتاب ؟ فقال مائة وأربعة
كتاب . على آدم عشر صحف وعلى نوح ثمانين صحيفة وعلى إسماعيل ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم
عشر صحائف والنوراني والاعرج والزبور والفرفران . وقيل إن في صحف إبراهيم : يدعى لفائف
أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بمراميه مقبلاً على شأنه . والله سبحانه وتعالى أعلم . وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(سورة العاشية)

(وهي عشرون وست آيات مكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ۝١٥ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢٥ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣١

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(هل أتاك حديث العاشية ، وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة)

(علم أن في قوله (هل أتاك حديث العاشية) مسائل :

(المسألة الأولى) ذكروا في العاشية وجوهاً (أي أرواحاً) أنها القيامة من قوله (يوم يبعثهم الله) وإنما سميت القيامة بهذا الاسم ، لأن ما أحاط بالشئ من حجب جهالة فهو غاش له ، والقيامة كذلك من رجوع (الأول) أنها فرد غير المخلق بذاته وهو كقوله تعالى (أفاستأثروا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) (والثاني) أنها تغشى الناس جميعاً من الأولين والآخرين . (والثالث) أنها تغشى الناس بالأحوال والشعائد (القول الثالث) العاشية هي الدار التي تغشى وجوه الكفرة وأهل الدار قال تعالى (وتغشى وجوههم النار) ومن يفهم غيابة (وهو قول سيد ابن حنبل ومقاتل) (القول الثالث) العاشية أهل الدار يمشون فيها والاولى أقرب ، لأن على هذا التقدير يصير المعنى أن يوم القيامة يكون لبعض الناس في الشقاوة وبعضهم في السعادة . (المسألة الثانية) إنما قال (هل أتاك) وذلك لأنه تعالى عرف رسول الله من حالها ، وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا نومه جارحاً به على التفصيل ، لأن الغفل إن دل فإنه لا يدل إلا على أن حال الصفة بخلافه لحال المصلحة . وأما كفاية تلك التماثيل فلا سبيل للمعلل إليها ، فلما عرفه الله تفصيل تلك الأحوال ، لا حرم قال (هل أتاك حديث العاشية) .

لما قوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة) فاعلم أنه وصف لأهل الشقاوة ، وفيه مسائل :

(المسألة الأولى) المراد بالوجوه أصحاب الوجوه وهم الكفار ، يدلل أنه تعالى وصف الوجوه بأنها حاشية عاملة ناصبة ، وذلك من صفات المكلف ، لكن المتصريح بظاهر في الوجه بملقته الوجه لذلك ، وهو كقوله (وجوه يومئذ ناضرة) وقوله (غاشية) أي ذليلة قد عراهم الخزي والهوان ، فإما قال (وتو نرى إذ المجرمون ناكسو أرواحهم) وقال (وتراهم يهرعون)

تَفْصِيلُ نَارًا حَامِيَةً ①

طليحاً عاصمين من النار (ينظرون من طرف حتى) وإنما يظهر الدل في الوجه ، لأنه عند الكبر الذي على الرأس والذراع ، وأما العاصمة فهي التي تعمل الأعمال ، ومعنى التصب التدوير في العمل مع التصب في المسألة الثانية في الوجوه الممكنة في هذه الصفات الثلاثة لا يزيد على ثلاثة ، لأن إما أن يخال هذه الصفات بأسرها حاصلة في الآخرة ، أو هي بأسرها حاصلة في الدنيا ، أو بعضها في الآخرة وبعضها في الدنيا (وأما الوجه الأول) وهو أنها بأسرها حاصلة في الآخرة فهو أن الكفار يكونون يوم القيامة عاصمين أي دائرين ... الدنيا في الدنيا تكبرت عن عبادة الله ، وعاملين لأنها تعمل في النار عللاً تصب فيه وهو جرحها للسلاسل والأغلال الثقيلة ، على ما قال (في سلسلة ذريعتها سبعون ذراعاً) وغوصها في النار كما غوص الإبل في الوحل بحيث توثق عنه نارة وتوقش فيه أخرى والتدغم في حر جهنم والوقوف عراء حفاة جباة عطاشاً في الرمحات قبل دخول النار في يوم كان مقداره ألف سنة ، وناصين لأنهم دائماً يكونون في ذلك المصير قال الحسن هذه الصفات كان يجب أن تكون حاصلة في الدنيا لاجل الله تعالى ، فلما تكن كذلك ملطها الله عليهم يوم القيامة على سبيل العقاب (وأما الوجه الثاني) وهو أنها بأسرها حاصلة في الدنيا ، فقبل ثم أصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان والمجوس ، والمعنى أنها شتمت الله وعلمت وأصابت في أعمالها من الصوم والحائض والتجود الزايع ، وذلك لأنهم لما اعتقدوا في الله ما لا يليق به فكأنهم أطاعوا ذاتاً موصوفة بالصفات التي تخلوها بهم في الحقيقة ما عبدوا الله وإنما عبدوا ذلك المخلخل الذي لا وجود له ، فلا جرم لاتنظيم تلك العبادة أصلاً (وأما الوجه الثالث) وهو أن بعض تلك الصفات حاصلة في الآخرة وبعضها في الدنيا ففيه وجوه (أحدها) أنها حاصلة في الآخرة ، مع أنها كانت في الدنيا عاصمة ناصية ، والمعنى أنها لم تنفع بسماها وتصبها في الدنيا ، ولا تمتنع وصفهم ببعض أوصاف الآخرة ، ثم يذكر بعض أوصاف الدنيا ثم يباد ذكر الآخرة ، إذا كان المعنى في ذلك مفهوماً فكأنه تعالى قال : وجوه يوم القيامة حاصمة ، لأنها كانت في الدنيا عاصمة ناصية في غير طاعة الله ، فهي إذن تعمل نوا حامية في الآخرة (ثانياً) أنها عاصمة عاصمة في الدنيا ، ولكنها ناصية في الآخرة ، فطهرها في الدنيا غرضها الداعي لها إلى الإعراض عن لذات الدنيا وميلاتها ، وعملها هو صلاحها وصونها ونفسها في الآخرة هو منافاة العذاب على ما قال تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا ينتظرون) وفردى طاعة ناصية على الضم ، وأعلم أنه تعالى بعد أن وصفهم بهذه الصفات الثلاثة شرح بعد ذلك كيفية مكائهم ومشرهم وعلتهم فدو باقة منها .

أما مكائهم فقوله تعالى ﴿ تعمل نوا حامية ﴾ يقال عمل بالنار يصل أي لزمها واحترق بها

انشئ من عين آنية ﴿١﴾ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴿٢﴾

وقرى: يصحب النار، وحيث قوله (إلا من هو مال الحبيب) وقرأ أبو عمرو وعاصم رفع ثلثه من أصله النار لقوله (ثم الحبيب صنوه) وقوله (وأصلوه جهنم) وصنوه مثل أصلوه، وقرأ قوم نصلي بالتشديد، وقيل المصلي عند العرب، أن يحفر واسفراً فيجدهموا فيه زمراً كثيراً، ثم يمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه، فلما ما يشري فوق البحر أو على القلعة أو في النور، فلا يدس مصلي، وقوله (حامية) أي تده أو تدهت، وأجبت المدة الطويلة، فلا حر يبدل حرها، قال ابن عباس: قد حبت فهي تلتقي على أحد أذنه.

وأما مشروم فقله فقال ﴿نشئ من عين آنية﴾ الآية التي قد انتهى حره من الإبناء بمعنى أنما خير، وفي الحديث: وأن رجلاً أخرجه من الجنة ثم يخطئ رقاب الناس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم آتيت وأديت، وظهر هذه الآية قوله (يطوفون فيها وبين هم آت) قال المفسرون: إن حرها بلغ إلى حيث لم وقت منها قطرة على جبال الدنيا لذات.

وأما طعامهم فقله فقال ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ واحذفوا في أن الضريع، ما هو على رجوه (أحدها) قال الحسن: لا أدري ما الضريع ولم أسمعه فيه من الصحابة شيئاً (وثالثها) روى عن الحسن أيضاً أنه قال: الضريع بمعنى المضرع كالآليم والسميع والبديع بمعنى المزال والمسمع والمذبح، ومنه إلا من طعام يعلم على أن يضرعوه ويذلوها عند تناوله لما فيه من الحسرة والحرارة والحرق (وثالثها) أن الضريع ما يابس من الصبرق، وهو جنس من الشوك نزعوا الإبل ما دام رطبا، فإذا يابس تحلته وهو سم قاتل، قال أبو ذؤيب:

دعى الصبرق الزبان حتى إذا ذوى رجاد طرباً عاد عنه الحافض

جمع غموص وهو الخائل من الإبل، وهذا قول أكثر المفسرين وأكثر أهل اللغة (ورابعها) قال الخليل في كتابه، ويقال للولادة إلى على المظلم تحت اللحم هي الضريع، فيكأنه تعالى وصفه بأنه، فلا حرم لا يسن ولا يفي من جوع (و خامسها) قال أبو الجوزاء: الضريع السلا، ويقرب منه ما روى عن سعيد بن جبير أنه شجرة ذات شوك، ثم قال أبو الجوزاء: وكيف يستمر من كان يأكل الشوك أو في الحبر الضريع شيء، يكون في الشوك شبه الدرة كسر من الصبر، وأنز من الجنة وأشد حر من النار، قال الفراء: ولتقص من ذكر هذا الشراب وهذا الطعام، بيان غاية ذلهم وذلك لأن القوم لما أنتموا في تلك السلاسل والأغلال تلك المدة الطويلة عطاشاً جاعاً، ثم ألغوا في النار فرأوا فيها ماء وشيئاً من النبات، فأحب أولئك القوم تمكن حاجهم من العطش والجوع فوجدوا الماء سحياً لا يروى بل يشوى، ووجدوا النبات لا يبيع ولا يقي من جوع، فأبسوا وانقطعت أطعمتهم في إزالة ما لهم من الجوع والعطش، كما قال (وإن يستنبشوا فثاقوا بما كالميل

لَسَعِيَهَا رَاضِيَةً ١١٠ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١١١ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْنِيَةٍ ١١٢

(والثاني) في باطنهم وهو قوله تعالى (لعلها راضية) وفيه تأويلان (أحدهما) أنهم
 حمدوا أنفسهم واجتهادهم في العمل لله . لما فازوا بسببه من العاقبة الحريصة كالرجل بعمل العمل
 فيجزي عليه بالجميل . ويظهر له منه عاقبة حمودة فيقول : ما أحسن ما نمت . ولقد وفقت للصواب
 فيها صنعت فبني على عمل نفسه وبرهانه (والثاني) المراد للواب سببها في الدنيا راضية إذا
 شاهدوا ذلك الثواب . وهذا أولى إذ المراد أن الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا
 حتى لا يريدوا أكثر منه . وأما وصف دار الثواب . فأنهم لأن الله تعالى وصفها بأمر ربعة :
 (أحدها) قوله (في جنة عالية) ويحتمل أن يكون المراد هو العلو في المكان . ويحتمل
 أن يكون المراد هو العلو في الدرجة والشرف والمقضية . أما المنو في المكان فذلك لأن الجنة
 درجتها أعلى من بعض . قال عطاء المدرجة مثل ما بين السماء والأرض .

(وثانيها) قوله (لا تسمع فيها لأغنية) وفيه مسئلتان :
 (المسئلة الأولى) في قوله لا تسمع ثلاث قرأت (أحدها) فراعاهم حمزة والكسائي
 بالنار على الخطأ لأغنية بالصب والمخاطب هذا الخطأ . يحتمل أن يكون هو التي ~~يخجل~~ وأن
 يكون لا تسمع بالمخاطب مبرأ لأغنية . وهذا بعيد السماع في الخطأ كقوله (وإذا رأيت ثم
 رأيت) وقوله (إذا رأيتهم حديثهم) ويحتمل أن تكون هذه الدار عائدة إلى وجوه . والمعنى
 لا تسمع الوجود فيها (لاغنة) و (لثها) قرأ أبو داود بالفتح بالفتح المنقوعة من فوق مبروعة على التأنيث لأغنية
 الرفع (والثاني) قرأ ابن كثير وأبو عمرو لا يسمع بالياء المنقوعة من تحت مضمومة على التذكير
 لأغنية بالرفع . وذلك جائز لو جاز (الأول) أن هذا الضرب من الموانع إذا تقدم قوله . وكان بين
 الفعل والإسم حائل كالتذكير . قال الشاعر :

إن امرأ غره فسكن واحدة بعدى وبمدك في الدنيا لعمرو

(والثاني) أن المراد بالأغنية اللغو والتأنيث على اللفظ والتذكير على المعنى .
 (المسئلة الثانية) في لعلها راضية في قوله (لاغنة) ثلاثة أوجه (أحدها) أنه يقال : لعل يفر
 لفرأ ولاغية . فالأغنية واللغو شيء واحد . وثبتا كذا الوجه بقوله سبحانه (لا يسمعون فيها
 لغوا) . (والثاني) أن يكون صفة والمعنى لا يسمع كلمة لأغنية (والثالث) قال الأخفش لأغنية أي
 كلمة ذات صوت كما تقول فارس وذارع لصاحب الفرس والذرع . وأما أهل التصدير فأنهم وجوه
 (أحدها) أن الجنة مفرجة عن اللغو لأنها منزل جبرائيل الله تعالى وإنا نالوها بالجد والحق لا باللغو
 والباطل . وهكذا كل مجلس في الدنيا شريف مكرم فانه يكون مبرا عن اللغو وكل ما كان يبلغ في
 هذا كان أكثر جلالة . هذا ما فرده القفال (والثاني) قال الزجاج لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحققة

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٥﴾ فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعَةٌ ﴿١٦﴾ وَأَكْوَابٌ مُوَضَّعَةٌ ﴿١٧﴾ وَنَحَارٌ
مُصْفُوعَةٌ ﴿١٨﴾ وَزُرَّاقٌ مُبْثُوثَةٌ ﴿١٩﴾

والشاهد على الله تعالى على ما رزقهم من العليم الدائم (والثالث) عن ابن عباس يريد لا أسمع فيها كذباً ولا جهناً ولا كفرأ بالله ولا شياً (والرابع) قال مقاتل : لا أسمع بعضهم من بعض الخاف عند شراب كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا الخمر وأحسن الوجه ما قرره الفحول (الخامس) قال الفاسي القفوي مالا فائدة فيه . قاله تعالى في عنهم ذلك ويندرج فيه ما يوقى ساءه على طريق الأولى . (الصفعة الثالثة للجنة) قوله تعالى : ﴿ فيها عين جارية ﴾ قال صاحب الكشف يريد عيوناً في غاية الكثرة كقوله (علت نفس) قال الفحول : فيها عين شراب جارية على وجه الأرض في غير محدود ونجوى لهم كما أرادوا ، قال الكلبي : لا أدرى بلاء أو غيره .

(الصفعة الرابعة) قوله تعالى ﴿ فيها سرور مرفوعة ﴾ أي عالبة في الهواء ، وذلك لأجل أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من أشهى المأكول ، وقال خازن بن مصعب بلغنا أنها بعضها فوق بعض فيرتفع ما شاء الله فإذا جاء ولي الله يجلس عليها تطاينت له فإذا استوى عليها ارتفعت إلى حيث شاء الله ، والأول أول ، وإن كان الثاني أيضاً غير متع لأن ذلك بما كان أعظم في سرور المكلف ، قال ابن عباس هي سرور الزواجر من ذهب مكللة بالبرجد والهدر والياقوت مرصعة في أسيا .

(الصفعة الخامسة) قوله تعالى ﴿ هوأ كواب موضوعة ﴾ الكواب الكيزان التي لا يرى لها قال قتادة فهي دون الإباريق . وفي قوله (موضوعة) وجوه (أحدها) أنها معدة لأهلها كالرجل يتنص من الرجل شيئاً فيقول هو هذا موضوع بمعنى معد (وثانيها) موضوعة على ساقاة العيون الجارية كلما أرادوا الشرب وحدودها معلومة من الشرب (وثالثها) موضوعة بين أيديهم لاستجابتهم إياها بسبب كونها من ذهب أوفضة أو من جواهر ، ولقد فهمنا الشرب منها (ورابعها) أن يكون المراد موضوعة عن حد التكبر أي هي أو ما أطحن الصغر والكبر كقوله (قدروها تحديراً) .

(الصفعة السادسة) قوله تعالى ﴿ ونحار مصفوعة ﴾ . النحار هي الوسائد في قول الجميع واحدها نمرة بضم النون . وزاد القراء سماها عن العرب نمرة بكسر النون ، قال الكلبي وسائد مصفوفة بعضها إلى جانب بعض أيها أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى أخرى .

(الصفعة السابعة) قوله تعالى ﴿ وزراري مبثوثة ﴾ بنى البسط والفتافس واحدها ذرية وزري بكسر الزاي في قول جميع أهل اللغة ، وتفسير مبثوثة مبسوطة ، مشدودة أو مفرقة في الجالس

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ .
اعلم أنه تعالى لما حكم بحجج يوم القيامة ونعم أهل النجاة إلى قسمين الأشقياء والسعداء ووصف أحوال العريقين وحكم أنه لا حول إلى إجابات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم ، لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال (أفلا ينظرون إلى الإبل) وجه الاستدلال بذلك على صحة المبدأ أي بطل على وجود الصانع الحكيم ، ومن ثبوت ذلك فقد ثبت القول بصحة المبدأ . (أما الأول) فلأن الأجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها بالوصف الذي لأجله استأثر على الآخر ، لا بد وأن يكون لتخصيص محض من إيجاد قادر ، ولما رأينا عند الأجسام عترة على وجه الإيهان والإحكام علنا أن ذلك الصانع عالم ، ولما علمنا أن ذلك الصانع لا بد وأن يكون مخالفاً خلقه في نعت المجازة والحدوث والإمكان علنا أنه غنى ، فهذا يدل على أن العالم صانعاً قادراً عالمياً غنياً فوجب أن يكون في غاية الحكمة ، ثم إذا ترى أساس بعضهم مخالفاً إلى الله عز وجل فإن الإنسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه ، بل لا بد من بدء يكون كل واحد من أهلها مشغولاً بهم آخر حتى ينظم من يحوزهم مصلحة كل واحد منهم ، وذلك لا ينظم لا يحسن إلا مع التكليف المتمثل على الوعد والتوعد ، ذلك لا يحصل إلا بالامت والقبالة وخلق الجنة والنار ثبت أن إقامة الدلالة على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيامة لهذا السبب ذكر الله دلائله ثم حد في آخر هذه السورة ، فإن قيل طمى بجانبة بين الإبل والسماء والحيال والأرض ، ثم لم بدأ بذكر الإبل ؟ قلنا فيه وجهان : (الأول) أن جميع المنوعات متساوية في هذه الدلالة وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها وأي واحد منها ذكر دون غير ، كان هذا السؤال عائداً ، فوجب انكم بمقولة هذا السؤال على جميع التقدير ، وأيضاً طلل الحكمة في ذكر هذه الأشياء التي هي غير متساوية تنبيه على أن هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع بل هو عام في الكل على ما قال (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ولو ذكر غيرها لم يكن الأمر كذلك لا جرم ذكر الله تعالى أمراً غير متساوية بل متباينة جداً . تنبيهاً على أن جميع الأجسام العلوية والسفلية صغرها وكبرها حسناتها وقبحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم ، فهذا وجه حسن مقول وعليه الاعتماد (الوجه الثاني) وهو أن بين ما في كل واحد من هذه الأشياء من المنافع والخواص الدالة على الحاجة إلى الصانع الخبير ، ثم نرين أنه كيف يجانس بعضها بعضاً . (أما المقام الأول) فنقول الإبل له خواص منها أنه فعالة جعل الحيوان الذي يقتنى أصناماً شتى فتارة يقتنى ليؤكل لحمه وغاراً فيشرب لبنه وتارة ليحمل الإنسان في السفر وتارة

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٩٥ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ٢٠٠ وَإِلَى
الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠١

ليقتل أمتعة الإنسان من بله إلى الله وتارة ليكون له به زينة وجمال وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإنزال . وقد أبان الله عز وجل عن ذلك بقوله (أولم يروا أننا خلقتنا لهم مما علمت أيدينا أنزلناهم طاماً إلى الكون . وذلك لعلمهم فيها ركونهم ومما يأكلون) ، قال (والأنعام خلقنا لكم فيها دفء ومما تشربون منها لتكونون ساجدين) ولكم فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون ، وتحمل أنفعكم إلى بله لم تكونوا بالعبه إلا بشئ الأنفس) وإن شقاً من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب (وثانيها) أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه (إلا تلك الخصلة لأنها إن جمعت حلوة سقت فأرادت الكثير ، وإن جمعت أكرهه أضعفت وأضربت الكثير . وإن جمعت ركونية أضعفت لأن يقطع بها من المنافع المديدة فلا يمكن قطعه بغيره . وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتهاد من اللواتي بها لا يجترى . حيوان آخر ، وإن جمعت حرارة امتنع بعمل الأحوال فيكونه حتى لا يستغل بها سراحها . ومما أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات روعاً في قلب العرب ولذلك قالهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً . وكان الواحد من بنيكم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاغر الذي جاره من المكان الجديد أعطاه مائة بغير . لأن ابتلاء العبد هذه أشد من ابتلاء الدين من غيره . ولهذا قال تعالى (وكنتم فيها رجال حين يريحون وحين يسرحون) ومما أنزلت كثرة مع جماعته في المفاضة فضلاً الطريق فذهبوا حلالاً وتبوءوا فكان ذلك الجبل يطالع من مثل إلى نزل ومن جانب إلى جانب والجميع كانوا يمشونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمكان طويل فمحصوا من ثمره أربعين فذلك ما يجيران أنه بالمرأة الواحدة كيف انعمت في خلقه صدرة تفك المداومة حتى أن الذين يخرجون من الغلاء إلى الالهة إلى فدان ذلك الجران العندى إليه . ومما أهاهم كونها في غاية القوة على العمل ميانة (فردا في الاتياد والطاعة لا تضطرب الحوائث كالصبي الصغير . ومما فيه تميزها أيضاً في أنها تعمل عليها وهي باركة ثم تقوم . فبها الصفات الكثيرة الموجودة فيها) فلو جوب على الداعلي أن ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود المنافع الحكمية سبحانه . ثم إن العرب . بأعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها وناورها ومضارها . فلهذه الأسباب حسن من الحكم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقها .

ثم قال تعالى (وإلى السماء كيف رُفِعَتْ) أي رفعاً بعيد الذي بلا إحدساك وبغير عمد .

(وإلى الجبال كيف نصبت) أي نصباً ثابتاً من راسخة لا تزل ولا تزول .

(وإلى الأرض كيف سطحت) سطحةً بتبوء وترطائه . فهي مهاد المتقلب عليها ، ومن

فَذِكْرٌ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿١٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر ﴾ .

أعلم أنه تعالى لما بين الدلائل على صحة التوحيد والمعاد ، قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (فذكر إنما أنت مذكر) وذكّر الرسول إنما يكون بذكر هذه الأدلة وأمثالها والبحث على النظر فيها والتحذير من ترك تلك ، وذلك بحث منه تعالى لرسوله على التذكير والتحذير على كل عارض منه ، ويعلن أنه إنما يسد لذلك دون غيره ، فهذا قال (إنما أنت مذكر) .

قوله تعالى : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ قال صاحب الكشف (بمسيطر) بسلط ، كقوله (وما أنت عليهم بجبار) وقوله (ألمأت نكركم الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقيل هو في لغة نعيم مفتوح الظاهر على أن سيطر شديد عديم ، والمعنى أنك ما أمرت إلا بأمر كبير ، فلما لم تكن مسلطاً عليهم حتى تغتلبهم ، أو تسيطرهم على الإيمان فلا ، قالوا ثم قد خنت الآية التعليل ، هذا قول جميع المفسرين ، والكلام في تفسير هذا الحرف قد تقدم عند قوله (أم هم الميسطرون) .

أقوله تعالى : ﴿ إلا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر ﴾ فبقية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في الآية قولان (أحدهما) أنه استثناء حقيق ، وحل هذا التصدير بهذا الاستثناء ، استثناء عمدة في الاستعلاء (الأول) أن يقال التصدير : فذكر إلا من تولى وكفر (والثاني) أنه استثناء على الضمير في (عليهم) والتصدير : لست عليهم بمسيطر إلا من تولى ، واعتراض عليه بأنه عليه السلام ما كان جازماً بأمر أو بألفاظ (وجوابه) لعل المراد أنك لا تصير مسلطاً إلا على من تولى (أقول الثاني) أنه استثناء منقطع عما قبله ، كما تقول في الكلام : بعدنا تذكر الدلم ، إلا أن كثيراً من الناس لا يرغب ، فكيفنا بهذا التصدير لست بمسيطر عليهم ، فكيف من تولى منهم فإن الله بعصه العذاب الأكبر الذي هو عذاب جهنم ، قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعاً حسن دخول أن في المستثنى ، وإذا كان الاستثناء متصلاً لم يحسن ذلك ، ألا ترى أنك تقول عندى مائة إن إلا درهم ، فلا تدخل عليه أن ، وهنا يحسن أن ، فإليك تقول إلا أن من تولى وكفر فيعذبه الله .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرئ : (إلا من تولى) على التثنية ، وفي قراءة ابن مسعود (وأنه يعذبه) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إنما جاء العذاب الأكبر لوجوه (أحدها) أنه قد بلغ حد عذاب العذاب وهو الأكبر ، لأن ما عداه من عذاب النفس دون ، ولهذا قال تعالى (ولنزيدهم من العذاب إلا الذي دون العذاب الأكبر) . (وثانيها) هو العذاب في التهلكة الأسفل في النار (وثالثها) أنه قد

إِنَّ الْبَنَىٰ إِيَّاهُمْ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٥١﴾

يكون العذاب الأكبر حاصلاً في الدنيا ، وذلك بالقتل وسبي الغربة وغنيمة الأموال ، القول الأول أولى وأقرب .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَنَىٰ إِيَّاهُمْ ﴾ ثم إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿ وهذا كانه من صفة قوله (فيضبه) الله تعالى لا أكبر) وإنما ذكر تعالى ذلك ليذكر به عن قلب النبي ﷺ قوله على كفرهم ، فقال : حَسْبُ حِسَابِهِمْ ، وإن علموا وكذبوا وجحدوا فإن مرحومهم إلى الموعد الذي وعدنا . فإن عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (وفيه سؤال) وهو أن محاسبة الكفار إما تكون لإبصال العذاب إليهم وذلك حق الله تعالى ، ولا يجب على المظلم أن يستوفي حق نفسه (والجواب) أن ذلك واجب عليه إما بحكم الوعد الذي يمتنع وقوع الخلف فيه ، وإما في الحكمة ، فإنه لو لم ينقم المظلم من الظالم لكان ذلك شيباً بكونه تعالى راضياً بذلك الظلم وتعالى الله عنه ، فهذا الديب كانت المحاسبة واجبة وهما سائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فقرأ امر جعفر المديني (إياهم) بالتنديد . قال صاحب الكشف : وجهه أن يكون تبعاً لا مصدراً أي يدل من الإياب ، أو يكون أصلاً أي أولاً فداً من أوب ، ثم قيل (يواباً) كدبره في دون ، ثم قيل : ما فعل بأصل سيد .

﴿ المسألة الثانية ﴾ تأتية تقديم الطرف للتنديد بالوعد . فإن (إياهم) ليس إلا إلى الحار المتندر على الانتقام ، وأن حسابهم ليس يوجب إلا عليه ، وهو الذي يحاسب على التقير والقطيعين ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تِلْكَ الْقُرْآنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيْلٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَالْأَيْلِ إِذَا بَسَرٍ ④
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ جَهَنَّمَ ⑤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿والفجر، وليالٍ عشر، والشفع والوتر، والليل إذا بَسَر، هل في ذلك قسم لذي جهنم﴾ . اعلم أن هذه الأتية التي أقسم الله تعالى بها لا يدرك أن يكون فيها إنا فائدة دينية مثل كونها دلائل باهرة على التوحيد ، أو فائدة دنيوية توجب هدأ على الشكر ، أو مجموعها ، ولأجل ما ذكرناه اختلغا في تفسير هذه الأشياء اختلافا شديداً ، فكل أحد فسر بما وآه أعظم درجة في الدين ، وأكثر منفعة في الدنيا .

أما قوله (والفجر) فذكر واقع وجوهاً (أحدها) ما روى عن ابن عباس أن الفجر هو الصبح المعروف ، فهو اخبار الصبح الصادق والكاذب ، أقسم الله تعالى به لما يحصل به من انضواء الليل وظهور الضوء ، وانشراح الناس ومناظر الحيوانات من الطير والوحوش في طلب الأرزاق ، وذلك مشاكل للنشور والموت من قبورهم ، وفيه تجربة لمن تأمل ، وهذا كقوله (والصبح إذا أسفر) وقال في موضع آخر ، والصبح إذا شمس ، وتدمع في آية أخرى بكونه ضالماً له ، هذا (قال الإصباح) ومنهم من قال المراد به جميع النهار إلا أنه دل بالابتداء على الجمع ، نظيره (والضحى) وقوله (والنهار إذا تجلى) و (وثانيها) أن المراد نفس صلاة الفجر (وما أقسم بصلاة الفجر إلا ما صلاة في مفتح النهار وتندمع لما ملائكة النهار وملائكة الليل كما قال تعالى (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أي تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار القراءة في صلاة الصبح (وثالثها) أنه بحر يوم معين ، وعلى هذا فنقول ذكرها وجوهاً (الأول) أنه بحر يوم النحر ، وذلك لأن أسرار الماسك من خصائص ليلة إراهم ، وكأنه العرب لا تدع الحج وهو يوم عظيم بأن الإنسان فيه بالقربان كان الحاج يريد أن يتوب بذبح نفسه ، فلما عجز عن ذلك عدى نفسه بذلك القران .

كما قال تعالى (وقد بناء مذبح عظيم) (الثاني) أراد بحر ذي الحجة لأنه قرن به عرفة (وليل عشر) ولأنه أول شهر هذه العبادة العظيمة (الثالث) المراد بحر المحرم ، لأنهم به لأنه أول يوم من كل سنة وعند ذلك يحدث أموراً كثيرة ما يشكروا بتسعين كالحج والصوم والزكاة واستئناف الحساب بشهور الأمانة ، وفي الخبر أن أعظم الشهور عند الله المحرم ، وعن ابن عباس أنه قال بحر السنة هو المحرم لحمل جنة المحرم بحر (ورأيت) أنه عني به فجر فليكون أتى بفجر منها المياه ، وفيها حياة الخلق ، أما قوله (وليل عشر) فبها مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إما جاءت منكزه من بين ما أسسم الله به لأنها ليل مخصوصة بفنائز لا تحصل في غيرها ، والخبر ما والتذكير دال على التخصيص العظيمة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكرها فيه وجهاً (أحدها) أنها عشر ذي الحجة لأنها أيام الاختفال بهذا المشرك في الجنة ، وفي الخبر ما من أيام تعمل الصالح فيه أفضل من أيام العشر (وثانيها) أنها عشر المحرم من أوله إلى آخره ، وهو تنبيه على شرف تلك الأيام ، وفيها يوم عاشوراء ولصومه من الفضل ما ورد به الأحبار (وثالثها) أنها عشر الأواخر من شهر رمضان ، أقسم الله تعالى بها الشرف وأنها ليلة القدر ، إذ في الخبر ما يروى في العشر الأخير من رمضان ، وكان عليه الصلاة والسلام ، إذا دخل العشر الأخير من رمضان شد الثوب ، وأيقظ أهله أي كفف عن الجماع وأمر أهله بالصلاة ، وأما قوله (وتشفع والوتر) ففيه مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ تشفع والوتر ، هو الذي تسب العرب الحسا والزكاة وتساعة الزوج والفرد ، قال يونس أهل تعالي يقولون الوتر بالتفخ في العدد والوتر ما كسر في الفسل وتسم قول وتر بالكسر فيما مضى ، وتقول أوتره أوتره ، أي جملته وترأ ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ومن استعبر بوتره ، والكسر قراءة الحين والاعشى وابن عباس ، والتفخ قراءة أهل المدينة وهي لغة حمزية .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اضطرب المفسرون في تفسير تشفع والوتر ، واكثروا به ، ونحن نرى ما هو الأقرب (أحدهم) أن التشفع يوم الشعر والوتر يوم عرفة ، وإنما أقسم الله بهذا لشرفها ، أما يوم عرفة فهو الذي عليه يدور أمر الحج كأي الحديث الحج عرفة ، وأما يوم البحر فيقع فيه قربان وأكثر الأمور الحج من الطواف لله ، وحض ، والخلق والزمي ، ويرى يوم تشفع هو يوم الحج الأكبر ، وما أحسن هذه الروايات هذه الفضائل لا حرم أقسم الله بها (وثانيها) أن أيام التشريق أيام بقية أعمال الحج فهي أيام شريفة ، قال الله تعالى (وإذا كروا لله في أيام مسدودات ، فمن يعمل في يومين فلا يؤثم عليه) والتشفع هو يومان بعد يوم الحز ، الوتر هو اليوم الثالث ، ومن ذهب إلى هذا القول قال حمل تشفع والوتر على هذا أولى من حملهما على العيد وعرفة من وجهين (الأول) أن العيد وعرفة دخلتا في العشر ، لرجح أن يكون المراد بالتشفع والوتر غيرهما

(ثاني) أن بعض أعمال الشفع إما يحصل في هذه الأيام ، لحمل القصد على هذا بقيد القسم بجميع أيام أعمال الشفاعة (وثالثها) الوز آدم شفع زوجته ، وفي رواية أخرى الشفع آدم زوجته ، والوزن هو الله تعالى (ورابعها) الوز ما كان وزناً من الصلوات كالغروب والشفع ما كان شفعاً منها ، وفي عمران بن حصين عن النبي ﷺ أن قال : هي صلوات منها شفع وسما وزر ، وأما أقدم الله بها لأن الصلاة تالية للايمان ، ولا يخفى قدرها ومجتها من العبادات (وخامسها) الشفع هو المخلوق كذا لقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وقوله (وخلقناكم أزواجاً) والوز هو الله تعالى ، وقال بعض الشكاهين لا يصح أن يقال الوز هو الله زوجوه (الاول) أنا يمين أن قوله (والشفع والوزر) تفديره رب الشفع والوزر . فيجب أن يراد بالوزر المروب وهو الله تعالى (الثاني) أن الله تعالى لا يذكر مع غيره على هذا الوجه بل يظلم ذكره حتى يتميز عن غيره ، ويؤى أن عليه الصلاة والسلام سمع من يقول الله ورسوله فهذه ، وقال : قل الله ثم رسوله ، قالوا وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن الله وزر يجب الوزر ، ليس تقطع به (وسادسها) أن شيئاً من المخلوقات لا يشفع تن كونه شفعا ، وزناً فمكانه يقال أقدم رب الفرد الزوج من خلقه فدخل كل الخلق تحت ، ونظيره قوله (فلا أقدم على تبصرون وما لا تبصرون) (وسابعها) الشفع درجات الجنة وهي ثمانية ، والوزر دركات النار وهي سبعة (وثامسها) شفع صدقات المخلوق كالنمل والجهل والعمى والبصر والإرادة والكراهية والحياة والموت ، أما الوزر فهو سعة الحق وجود بلا عدم ، حياة بلا موت ، علم بلا جهل ، قدرة بلا عجز ، عز بلا ذل (وثامسها) المفراد بالشفع والوزر ، نفس العدد فكانه أقدم الحساب الذي لا بد للخلق منه وهو تنزلة الكتاب والدين الذي من الله ، على العباد إذ قال (علم بأهول ، علم الإنسان ما لم يعلم) ، وهذا (تتمه الدين) ، وكذلك بالحساب ، يعرف موقيت العبادات والأيام والشهور ، قال تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقال (لتمنوا عند فتن من والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق) (وعشرها) قال مقاتل الشفع هو الأيام والمال والوزر هو الزم الذي لا ينسب منه وهو يوم القيامة (الحادي عشر) الشفع كل نبى له امتنان من محمد وأحمد والنسج وعيسى ويونس وحده والوزر كل نبى له اسم واحد مثل آدم ونوح وإبراهيم (الثاني عشر) الشفع آدم وحده ، والوزر مريم (الثالث عشر) الشفع المبعوثون الاثنى عشرة ، التي لجرها الله تعالى موسى عليه السلام والوزر ، الآيات السبع التي أوتى موسى في قوله (ولقد آتينا موسى سبع آيات بنات) ، (الرابع عشر) الشفع أيام غار واووز نبأهم لقوله تعالى (سبع نبات وثمانية أيام حموا) (الخامس عشر) الشفع هم زوج الإناث عشر لغزله تعالى (جعلن في القباير رجلاً) والوزر الكواكب السبعة (السادس عشر) شفع الشهور الذي يتم ثلاثين يوماً ، والوزر الشهور الذي يتم تسعة وعشرين يوماً (السابع عشر) شفع الأعضاء والوزر تغليب ، قال تعالى (ما جعل نفعاً لرحل من قطين في جوفه) ، (الثامن عشر) الشفع الشفتان

والوزن اللسان قال تعالى (ولساناً وشفتين) (التاسع عشر) الشفع السجدتان والوزن الركوع (المشرون) الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوزن أبواب النار لأنها سبعة ، وأعلم أن الذي يدل عليه الظاهر ، أن الشفع والوزن أمران مترادفان ، أقسم الله تعالى بهما ، وكل هذه الوجوه التي ذكرناها عمتل ، والظاهر لا إشعار له بشيء من هذه الأشياء على التعيين ، فإن ثبت في شيء منها غير من رسول الله ﷺ أو إجماع من أهل التأويل حكم بأنه مر المراد ، وإن لم يثبت ، فيجب أن يكون الكلام على طرفة الجواز لا على وجه القطع ، ولغافل أن يقول أيضاً إن أحسن الكلام على الشكل لأن الألف واللام في الشفع والوزن تخيد المصوم ، أما قوله تعالى (والليل إذا يسر) فبه مسائلتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إذا يسر ، إذا مضى كقوله (والليل إذا أدبر) وقوله (والليل إذا اعلمس) وسرها ومضيها وانقضاؤها أو يقال سراً ما هو السير فيها ، وقال قتادة (إذا يسر) أي إذا جاء ، وأقبل .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أكثر المفسرين على أنه ليس المراد منه ليلة مخصوصة بل المصوم بدليل قوله (والليل إذا أسفر - والليل إذا اعلمس) ولأن نعمة الله يتعاقب الليل والنهار واختلاف مقاديرها على الحقائق عظيمة ، فصح أن ينسب به لأن فيه تنبيهاً على أن تعاقبهما بتدبيره مدبر حكيم عالم بجميع المعلومات ، وقال مقاتل هي ليلة المزدلفة فقوله (إذا يسر) أي إذا يسر فيه كما يقال ليل نائم لوقوع النوم فيه ، وليل ساهر لوقوع السهر فيه ، وهي ليلة يقع السرى في أولها عند الدفع من عرفات إلى المزدلفة ، وقد أخرها كما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يقدم مضطج أهله في هذه الليل ، وإنما يجوز ذلك عند الثأني رحمه الله به نصف الليل .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال الزجاج قرئ : (إذا يسر) بإثبات الياء ، ثم قال وحذفها أحب إلينا لأنها فاصلة والقواصل تحذف منها الياءات ، ويعدل عليها الكسرات ، قال القراء : والعرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسرة ما قبلها ، وأنشد :

كفكك كعب ما يبقى درهماً جرداً وأخرى تعطف بالذنب الدما

إذا جاز هذا في غير الفاصلة فهو في الفاصلة أولى ، فإن قيل لم كان الاختيار أن تحذف الياء إذا كان في فاصلة أو قافية ، والمحرق من نفس الكلمة ، فوجب أن يثبت كما أثبت سائر الحروف ولم يحذف ؟ أجاب أبو علي فقال القول في ذلك أن القواصل والقوافي موضع وقف والوقف موضع تغير فلما كان الوقف تنبيه في الحروف الصحيحة بالتضعيف والإنسكان وروم الحركة فيها ظهرت هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ، وأما من أثبت الياء في يسرى في الوصل والوقف فإنه يقول الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف في الاسماء نحو قاضٍ وغاز ، تقول هو يقضى وأنا أنقض فتثبت الياء ولا تحذف .

قوله تعالى : ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ فيه مسائلتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المحجر العقل سمى به لأنه يمنع عمر الوقوع فيها لا ينبغي كما مضى عقلاً ونهية

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١٠﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿١١﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا
 فِي الْبَلَدِ ﴿١٢﴾ وَنَعْمَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّخْرِ بِالْمَرَادِ ﴿١٣﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٤﴾
 الَّذِينَ طَعَنُوا فِي آلِكَرِيمِ ﴿١٥﴾ فَاصْنُ فَوْفَ السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ قَصَبٌ مِّنْ عَمَلِكُمْ رَبُّكَ
 مُوَسَّطٌ عَذَابٍ ﴿١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٨﴾ بِالْمِرْصَادِ

لأنه يفعل ويصنع ويصعد من الإحصاء وهو الضبط ، قال الفراء والعرب يقول : لا بد من جرد إذا
 كان ظاهراً لنفسه صليحاً أو كاذباً أحد من مؤلفي حيزت علي الرحمن ، وعلى هذا معنى العقل جرداً
 لأنه يجمع بين التخييل من الجهر وهو الجمع من الشيء بالتعيين فيه .

في المسألة الثانية في قوله (عل في ذلك قسم) استعمله والمراد به التأكيدي كمن ذكر حجة
 بأمره ، ثم قال من أين ذكرته حجة ؟ ونعني أن من كان داليل على أن ما أقسم أنه تعالى به من
 هذه الأشياء فيه عذاب ودلائل على وقوعه والتروية ، هو حقيق بأن يقدمه بدلالة على خاتمه .
 قال القاضي وهذه الآية تدل على ما قلنا . أن القسم واقع بهذه الأمور لأن هذه الآية دالة
 على أن هذا ما قلنا في القسم . ومعنى أن الدالة في القسم لا تحصل إلا في القسم نفسه ، ولأن القسم
 قد ورد بأن يحلف بما هو الأكمل .

قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك عاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . ونمود
 الذين جاءوا بالصخرة بالمراد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طعنوا في البلاد . ما أكثروا فيها الفساد .
 فصب عليهم ربك عذاب . إن ربك بالمرصاد ﴾ .

واعلم أن في جواب القسم وحيث (الأول) الدجرات القسم هو قوله (إن ربك بالمرصاد)
 وما بين الموضعين مفسر من بينهما . (الثاني) قل صاعب فكشفت القسم شبه محذوف وهو
 لتعدين الكافرين . يدل عليه قوله تعالى (ألم تر . إن ربك . صب عليهم ذلك عذاب) وهذه
 أول من توجه الأول لأنه لما لم يتبين للقسم عليه ذهب الوجه إلى كل واحد . وكان يدخل في
 التعريف ، وهذا ما بعده بين عذاب الكافرين ذلك على أن القسم شبه أولاً هو ذلك .

أما قوله تعالى (ألم تر) فله مسائل :

في المسألة الأولى في قوله (ألم تر) لأن ذلك مما لا يهمل أن يراه الرسول وإنما أطلق لفظة
 الرؤية منها على العلم ، وذلك لأن أخبار عاد ونمود وفرعون كانت مقولة بالأنوار أما عاد ونمود
 فقد كانا في بلاد العرب وأما فرعون فقد كانوا يسكنون من أهل الكتاب ، وبلاد فرعون أيضاً

متصلة بأرض الرب وخير التواتر بفيد العلم الضروري ، والعلم الضروري جار مجرى الرؤية في القوة والجلال . واجد عن الشبهة ، فذلك قال (إرم) بمعنى لم تعلم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (إرم) (وإن كان في الظاهر خطاباً لله صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل من علم ذلك ، والمقصود من ذكر الله تعالى حكايتهم أن يكون زجراً للكفار عن الإغما على مثل ما أدى إلى هلاك عاد وثمود وفرعون وفرومه . وليكون بعثاً للمؤمنين على الثبات على الحق الإنسان .

قوله تعالى : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ حفيظة مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أنه تعالى ذكر هنا قصة ثلاث فرق من الكفار المتقدمين وهي عاد وثمود وفرعون على سبيل الإجمال حيث قال (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ولم يبين كيفية ذلك العذاب . وذكر في سورة الحاقة بيان ما بهم في هذه السورة فقال (ذموا ثمود فاهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر . إلى قوله - وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالحاققة) الآية .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أعلمه هو عاد بن عرمس بن إرم بن سام بن نوح ، ثم إسم جدهم الحفيظة عاد اسم القبيلة كما يقال لسي حاتم هاتم واسم نعيم نعيم ، ثم قالوا للتقدمين من هذه القبيلة عاد الأولى قال تعالى (وأنه أهلك عاد الأولى) والمثأخرين عاد الأخيرة ، وأما إرم فهو اسم جد عاد ، وفي المراد منه في هذه الآية أقران (أسدنا) أن التقدمين من قبيلة عاد كانوا يسعون بصاد الأولى لذلك يسعون بإرم نسبة لهم باسم جدهم (والثاني) أن إرم اسم للذيهم التي كانوا فيها ثم قبل تلك المدينة هي الإسكندرية وقيل دمشق (والثالث) أن إرم أعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنارة وعلى هيئة القصور ، قال أبو الهيثم : الأروم قبور عاد ، وأشد

جها أروم كعروادى البحث

ومن الناس من علم في قول من قال إن إرم هي الإسكندرية أو دمشق ، كان لأن منازل عاد كانت بين عمان إلى حضرموت وهي بلاد الرمال والحقاف ، كما قال وإذا ذكر أحبا عاد إذ أشقر فرومه بالإحقاف) وأما الإسكندرية ردمشق فليست من بلاد الرمال .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إرم لا تصرف قبيلة كانت أو أرضاً لتعريف وإنشئت .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ في قوله (إرم) وجهان وظنك لأننا إن جعلناه اسم لقبيلة كان قوله (إرم) عطف بيان لعاد ولهذا بأهم عاد الأولى القديمة وإن جعلناه اسم البلدة أو الأعلام كان التعدير بما أهل إرم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . كما في قوله (ولستأل القرية) وبدل عليه قراءة ابن الزبير بما إرم على الإضافة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قرأ الحسن (إرماد إرم) مضطحين وقرئ (إرماد إرم) يسكون الزاء هل

التخفيف كما قرئ . (برزكم) وقرئ . (بماؤ إرم ذات العباد) بإضافة (إرم) إلى (ذات العباد) وقرئ . (بماؤ إرم ذات العباد) بدلاً من فعل ربك ، والتقدير : ألم تراكب فعل ربك بما جعل ذات العباد وميماً ، أما قوله (ذات العباد) ففيه مسائلان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في إعرابه وجهان ، ذلك لأننا إن جعلنا (إرم) اسم القبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين يسكنون الأودية والنجار والحقاب ، لا بد فيها من العباد ، والعباد بمعنى العمود . وقد يكون جمع العمود أو يكون المواد بذات العباد أنهم حوالا الأجسام على تكديدهم فتودم بالاعادة وقبل ذات البناء الزريع ، وإن جعلناه اسم البلد ، فالمعنى أنها ذات أساطين أي ذات أبرية مرفوعة على العمود وكانوا يملكون الأعمدة فيصنعونها وينون فوقها القصور ، قال تعالى في وصفهم (أنبتون بكل ربع آية تمتون) أي علامة وشاة ربياً .

﴿ المسألة الثانية ﴾ روى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فلما قهرتهم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها . فسمع بذلك الجنة فقال ابني مثلهما ، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثمانية سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة فصورها من الذهب والفضة وأماطها من الزرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأثمار ، فلبسهم بنوعها سائر إليها بأهل ملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا . وعن جديده ابن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوصل إلى جنة شداد فدخل ما قدر عليه وما كان هناك وبلغ خبره مدعوة فاستعصره وقص عليه ، فبعث إلى كعب فسأله ، فقال هي إرم ذات آة عاد ، وسيد علم أرسل من المسلمين في زمانك أمر أنشقر قصير على ساحبه نال وعلى عتفه نال ، فخرج في طلب إبل له ، ثم لفت فأبصر ابن (أبي) قلابة فقال هذا والله هو ذلك المريع

أما قوله (انشي لم يخلق مثله في البلاد) فالتعظيم في مثله إلى ماذا يعود ؟ فيه وجوه : (الأولى) (لم يخلق مثله) أي مثل عاد في البلاد في عظم الجنة وشدة القوة ، كان حوالا الرجل منهم أروماته فراع وكان يحمل الصخرة العظيمة فينقلها على الجمع فهلكوا (الثاني) (لم يخلق مثله) دينة شداد في جميع بلاد الدنيا ، وقرأ من التزبر (لم يخلق مثله) أي لم يخلق الله مثله (الثالث) أن المكنافة عائدة إلى العباد أي لم يخلق مثلي تلك الأساطين في البلاد ، وعلى هذا عالمها جمع عمد ، والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فإنه فسأل بين أنه أعطاكم بما كفرتم وكذبتم أنزل مع الذي اعتصموا به من هذه الوجوه ، فلأن شكرنا خاطئين من مثل ذلك أهمل الكفار إذا أقدم على كفرهم مع ضعفكم كان أولى . أما قوله فسأل (وتعود الذين جاؤا بالخير بالواد) فسأل النبي : الأجوب فماتك انشي . كما يجاب الجواب بقسال جانب يعوب جواباً وزاد الفرار بحبب حبيباً وبذلك جيت قلابة جرياً أي جئت قهراً وقطعتها . قال ابن عباس كانوا يحربون البلاد فيجبتون منها يرباً وأموالاً وما أرادوا من الأبنية . قال (وتحتون من الجبال ميماً) قبل أول من تحت الجبال والعهود والرخام

نمود ، وبذا ألقوا سبعاً من مدبنة كلام الحجاز ، وفعله (بالواد) قال مقاتل جرادى الغرى ،
وأما قوله تعالى (وفرعون ذي الأوتاد) فلا يتصل فيه مذكور في سورة ص ، ونقول
الآن فيه وجه (أحدها) أنه سمي ذا الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا
نزلوا (وثانيها) أنه كان يذهب الناس ويشهدوا به إلى أن يموتوا ، روى عن أبي هريرة أن فرعون
وتت لامرأته أربعة أوتاد وحمل على صدورهم رجا واستقبل بها عين الشمس فرقت رأسها إلى
السماء وقالت رب ان لي عندك بيتاً في الجنة ، فخرج الله عن بينها في الجنة فرأته (وثالثها) ذي
الأوتاد ، أى ذي الملك والرجال ، كما قال الشاعر :

في ظل ملك راسخ الأوتاد

(ورابعها) روى قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن تلك الأوتاد كانت ملاعب
يلعبون تحتها لأجله ، وأعلم أن كلامهم معتدل ، فكذلك ، فبأنه تعالى لم يرد أنه كل ذلك وما
تعظم به الشدة والقول والكثرة لم يمنع من ورود هلاك عظيم بهم ، ولذلك قال تعالى (الذين ظفروا
في البلاد) وفيه مسائل :

❖ المسألة الأولى : يحتمل أنه يرجع تخمين (في فرعون خاصة) لأنه به ، ويحتمل أن يرجع
إلى جميع من خدمه ذكرهم ، وهذا هو الأقرب .

❖ المسألة الثانية : أحسن الوجوه في إعرابه أن يكون في محل نصب على الإهم ، ويجوز أن يكون
مرفوعاً على [الإختيار] أى [هم الذين ظفروا أو يجروراً] على وصف الله أودين عاتقهم وفرعون .

❖ المسألة الثالثة : ظموا في البلاد ، أى صموا المصطفى وتجرأوا على أيديهم المأثور بن مبرور
مطاعهم قوله تعالى (فأكثروا فيها القدر) ضد الصلاح فكذا كان الصلاح يتناول جميع أفعالهم
الخير ، فاعاد يتناول جميع أفعالهم الأثم ، فمن عمل بغير أمر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد
ثم قال تعالى (نصب عليهم ربك سوط عذاب) وأعلم أنه يقال نصب عليه السوط وغشاه وقده ،
وذكر السوط إشارة إلى أن ما أعله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقصاص إلى ما أعد لهم في
الآخرة ، كالسوط إذا نيس إلى سائر ما يذهب به ، قال أفاضى وشبه نصب السوط الذي يتوارى
على المضروب فيه ملكه ، وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال إن ضد الله أسراطاً كثيرة فأظلم
بسوط منها ، بمن قبل : أنيس لأن قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها
من دابة) يقتضى تأخير العذاب إلى الآخرة فكيف اجتمع بين هاتين الآيتين ؟ فلما هذه الآية
تقتضى تأخير تمام الجزاء إلى الآخرة والوفاء في الدنيا شي من ذلك ومقدمة من مقدماته ، ثم قال
تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تقدم عند قوله (كانت مرصداً) ونقول : المرصاد المكان الذي يقرب
فيه المرصد فعال من رصد ، كما يقال من رقد ، وهذا مثل لإرصاده المعصاة والنقاب وأنهم لا يغفونوه ،
وعن بعض العرب أنه قيل له : أين ربك ؟ فقال بالمرصاد ، والمفسرين فيه وجوه (أحدها)

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ

﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنِ ﴿١٦﴾

قال الحسن برصد أعمال بني آدم (وإنه) قال نفراد : إليه المصير . وهذا الرجوعان عائدان للزمنين والكافرين . ومن المفسرين من يخص هذه الآية إما برصد الكفار ، أو برصد الصالحين . أما الأول فقال الزجاج برصد من كفر به ودخل عن طاقته بالعدايب . وأما الثاني فقال الزجاج برصد لأهل الظلم والمنصبية . وهذه الوجوه متعارفة .

قوله تعالى : ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ . يقول ربّي أكرم . وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربّي أهل .

اعلم أنّ قوله ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ متعلق بقوله ﴿إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ﴾ كما أنه قيل إنه تعالى لما مرّ صاد في الآخرة . فلا يريد إلا الشيء للأخروء فأما الإنسان فإنه لا يسمه إلا الدنيا ولها شهواتها . وفي وجه الراحة في الدنيا يقول ربّي أكرمني . وإن لم يجد هذه الراحة يقول ربّي أهلي . وفي قوله تعالى في صفة الكفار (يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْغَالِبِينَ) وقال (ومن الناس من بعد الله على حرف . فإن أصابهم خير أطاعوا به . وإن أصابهم فتة أعقب على وجهه) وهذا خطأ من وجوه (أحدها) أن سعادة الدنيا وشقاوتها في مقابلة ما في الآخرة من السعادة والشقاوة كالقطرة في البحر . فالتنعيم في الدنيا لو كان شديداً في الآخرة لستعظم ليس بسعادة . والمآثم المحتاج في الدنيا لو كان شديداً في الآخرة لكانت ليس بالعاقبة ولا شقاوة . إذ التمتع في الدنيا لا يجرى نه أن يحكم على نفسه بالسعادة والشكر . والمآثم في الدنيا لا يجرى نه أن يحكم على نفسه بالشقاوة واللعن . (وإنه) أن حصول النعمة في الدنيا وحصول الآلام في الدنيا لا يدل على الاستعفاف وأنه تعالى كثيراً ما يرجع على العصاة والكفرة . بل لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . ولما يحكم المصلحة . وإما على سبيل الاستخراج والشكر . وقد يعين على هذا ما ذكرنا . فلا ينبغي للمرء أن يظن أن ذلك لجرائه (وإنه) أن المذم لا ينبغي أن يقول عن الدنيا . فالأمر بخواتمها . والغير والمحتاج لا ينبغي أن يفعل عما به عليه من الذم التي لا حد لها . من سلامة ليدن والغفل والذين دفع الآفات والآلام التي لا حصر لها ولا حصر . ولا ينبغي أن يفهم على نفسه الإهانة مطلقاً (وربما) أن النفس قد ألقت هذه الهوان . فتي حصلت هذه المشبهات والذات صعب عليها الانقطاع عنها وعدم الاستغراق فيها . أما إذا لم يحصل ثلاثين شيء من هذه المصوبات رجعت ثلاث أمّات إلى الله . وثلاثين عبودية لله . وكان وجدان الدنيا مدأ للحرمان من الله . فكيف يجوز الفضل بالشقاوة والإهانة عند عدم الدنيا . مع أن ذلك

أعظم الوسائل إلى أعظم السمات (وإناسها) أن كثرة المعاناة صيب لك كد الحجة ، وتأكّد الحجة سبب نيا كد الإثم عند الفراق ، فكل من كان وجداه لدنيا أكثر وأدوم كانت عينه لها أشد ، فكان تألمه بفراقهما عند الموت أشد ، والذي ياتخذنا بهذا ، إذن حصول لذات الدنيا سبب للألم الشديد بعد الموت ، وعدم حصولها سبب للسعادة الشديدة بعد الموت ، فكيف يقال إن وجدان الدنيا سعادة وفقدانها شقارة ؟ .

والعلم أن هذه الوجوه إنما تفصح مع الغول نباتات تبعث روحانياً كان أو جسمانياً ، فأما من يشكر الموت من جميع الوجوه فلا يستقيم على قوله شيء من هذه الوجوه ، بل يزعم القاطع بأن وجدان الدنيا هو السعادة وفقدانها هو الشقارة ، ولكن فيه دفيقة أخرى وهي أنه ربما كان وجدان الدنيا الكثيرة سبباً لفقدانها وبالذات والوقوف في أوضاع العذاب ، وربما كان الحرمان سبباً لقلة السلامة ، على هذا التقدير لا يجوز أيضاً شكر الموت من جميع الوجوه أن ينضى على صاحب الدنيا بالسعادة ، وعلى هذا الطولان ، وربما ينكشف له أن الخصال يسد ذلك بالعدد ، وفي الآية - واللات :

(الذي لا أول له) قوله (وأما الإنسان) المراد منه شخصين معينين أو المجلس ؟ (الجواب) فيقولان (الاول) أن المراد منه شخصين معينين ، عروى عن ابن عباس أنه حدثنا بن ربيعة ، وأبو حذيفة ابن المنيرة ، وقال القاسمي هو أن من غلب ، وقال مقاتل زلات في أمية بن خلف (والقول الثاني) أن المراد من كان موصوفاً بهذا الوصف وهو المكافئ الجاحد ليوم الجزاء .

(الذي لا ثاني له) كيف سمي وسط الزوق وتقدره ابتلاء ؟ (الجواب) لأن كل واحد منهما اختبار فريد ، فإذا وسط له هذا اختبار جاءه أشكر أم يكفر ، وإذا هو عليه هذا اختبار حاله أصبح أم يفرغ ، فالحكمة فيهما واحدة ، ونحوه قوله تعالى (وبلواكم بأشروا والخير فتنة) .

(الذي لا ثالث له) لما قال (ما كرمه) فقد صحح أنه أكرم ، وأثبت ذلك ثم إنه لما حكى عنه أنه ما ، (ربني أكرمني) ذمه عليه فكيف أجمع بينهما ؟ (والجواب) لأن كلمة الإنكار هي قوله (كل) فلم لا يجوز أن يقال إنما مختصة بقوله (ربني أعزروا) سداً أن الإنكار عائد إليهما معاً ولكن فيه وجوه ثلاثة (أحدها) أنه اعتقد حصول الاستحقاق في ذلك الإكرام (الثاني) أن نعم الله تعالى كانت حادثة قبل وجدان المال ، وهي نعمة سلامة البدن والعقل والدين ، فلما لم يعرف بالنعمة إلا عند وجدان المال ، عابها أنه ليس غرضه من ذلك شكر نعمة الله ، بل التلصص بالدنيا والتكفر بالأموال والأولاد (الثالث) أن نعمة الله بالدنيا وإعراجه عن ذكر نعمة الآخرة يدل على كونه منكراً فأباحت ، فلا جرم استحق الهم على ما حكى الله تعالى ذلك ، فقال (ودخل جنته وهو خاف لنفسه ، قال ما أظن أن نبي هذه أبدأ ، وما أظن شاة قائمة) إلى قوله (وأكثرن بالذي خلقك من تراب) .

﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ١٧٠ وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ١٧١
وَأَنْتُمْ كُونُوا الْفُرَاتِ أَكْلًا لَمًّا ١٧٢ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حِبَائِكُمْ ١٧٣

(الدُّوَالِ الرَّابِعُ) لم قال في القسم الأول (إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه) وفي القسم الثاني (وإذا ما ابتلاه فقد ربه) وذكر الأول بالفاء والثاني بالواو (والجواب) لأن ربه الله سابق على غضبه وابتلاءه بأنهم ساقى على ابتلاءه بزال الآلام ، فالله تعالى على كثرة ذلك القسم وقوله الثاني على ما قال (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) .

(الدُّوَالِ الْخَامِسُ) لما قال في القسم الأول (فأكرمه فيقول رب أكرم) يجب أن يقول في القسم الثاني (فأعانه) فيقول (رب أعان) لكنه لم يقل ذلك (والجواب) لأنه في قوله (أكرم) صادق وفي قوله (أعان) غير صادق فهو ظن فة الدنيا وتغييرها إعانة ، وهذا جهل واعتقاد فاسد ، فكيف يحكى الله سبحانه ذلك عنه .

(الدُّوَالِ الْسَّادِسُ) ما معنى قوله فقد ربه ؟ (الجواب) ضيق عليه بأن جمده على مقدار الضيق ، وقرى : فقد على التخفيف وبالتشديد أى قهر ، وأكرم وأعان يسكون التثنية في الوقت فيمن ترك الباء في المدرج مكاناً منها بالكسرة .

قوله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ، وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ، وَأَنْتُمْ كُونُوا الْفُرَاتِ أَكْلًا لَمًّا ، وتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حِبَائِكُمْ .

واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم تلك الشبهة قال (كَلَّا) وهو ردع للافسان عن تلك المقالة . قال ابن عباس المعنى لم ابتلاه بالغي لكرامته على ، ولم أنه يأنقر لما ربه على . بل ذلك إما على مذهب أهل السنة ، فمن بعض الفضل أو أخذ بالمشقة ، والحكم الذي نزع عن التعليل بالعلل ، وإما على مذهب المذلة نسب مصالح حقيقة لا يعلم عليها إلا هو ، فتدبر مع على الكثرة لكرامته ، ويقتضى على المؤمن لا لحواله ، ثم إنه تعالى لما حكى من أقوالهم تلك الشبهة قال بل لهم فعل هو شر من هذا القول ، وهو أن الله تعالى يكرهم بكثرة المال ، فلا يؤذون ما يؤرمهم فيه من أكرام اليتيم ، فقال (يَلْ لَا يَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ) وفي مسائل :

﴿السَّأَلَةُ الْأُولَى﴾ قرأ أبو عمر (يكرمون) وما بعده بالياء المنفوعة من تحت ، وذلك أنه لما تقدم ذكر الإنسان ، وكان يراد به الجنس والكثرة ، وهو تعالى لطفه الغيبة حل يكرمهم ويحرم عليه ، ومن قرأ بالياء فتقدير على علم بالحجج ذلك .

﴿السَّأَلَةُ الثَّانِيَّةُ﴾ قال مقاتل كان قد آمن بن مظلون فبنا في حجر أمية بن خلف ، فكان يصفه عن حقه .

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ

واعلم أن ترك ذكر كرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجهه (أحده) ترك بره ، وإليه الإشارة بقوله (ولا تخاضون على طعام المسكين) (والثاني) دفعه عن سقته الثابت له في الميراث وأكل ماله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَمَا كُنْزُ الثَّرَاثِ أَكْلًا لِمَا) و (الثالث) أخذ ماله منه وإليه الإشارة بقوله (وتحبون المال حباً جاحاً) أي تأخذون أموال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتضعونها إلى أموالكم ، أما قوله (ولا تخضون على طعام المسكين) قال مقاتل ولا تلهيهم مسكياً ، والمعنى لا تأمرون بإضاعه كقولك تعالى (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين) ومن قرأ (ولا تخاضون أراد تعاضون تخذف تاء تتعاضون ، والمعنى (لا يحض بضمك بهذا) وفي قراءة ابن مسعود (ولا تخاضون) بهم التاء من الحاجة .

أما قوله (وَمَا كُنْزُ الثَّرَاثِ أَكْلًا لِمَا) فحقه مسائل :

في المسألة الأولى يحفظوا أصل الثروات وراث ، والتاء تبدل من الواو المضرومة بحر فتحها ووجاه من واجهت .

في المسألة الثانية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجمع الشريعة ومنه كنية مطروحة وحبر معلوم ، والأكل بلم تحريف نيج له لتمامه يأكل ، ويقال لست ما على الخمر أن أكله أجمع ، فعنى الله في الآية الجمع ، وأما التفسير فبه وجه (أحدها) قال الواحدى والمفسرون يقولون في قوله (أكلًا لِمَا) أي شديداً وهو حل معنى وليس بتفسير ، وتفسيره أن الله مبطل جعل ثبات الأكل ، والمراد به الضاعل أي أكل لا مالاً جاحاً كأنهم يستخرجونه بالأكل ، قال الزجاج كانوا يأكلون أموال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إسراراً وبدواً ، فقال الله (وَمَا كُنْزُ الثَّرَاثِ أَكْلًا لِمَا) أي ثرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكون جميعه ، وقال الحسن أي يأكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم ، فيجمعون نصيب غيرهم إلى نصيبهم (وثانيها) أن المال الذي يبقى من الميت بعده حلال ، وبهذه شبهة وبهذه حرام ، فلو ارث بلم الكل أي بعض البعض ويأخذ الكل وبأكله (وثالثها) قال صاحب الكشاف ، ويعوز أن يكون الدم منجواً إلى الوارث الذي طهر بالمال مهلاً من غير أن يبرق فيه جوده فيصرف في أضافه وبأكله أكلًا لِمَا وأمساً ، جامعاً بين ألوان التفضيات من الإطعمة والأشربة والنفقات ، كما يفهمه الوارث البطالون .

قوله تعالى : (وتحبون المال حباً جاحاً) فاعلم أن الجمع هو الكثرة يقال جمع الشيء بجمع جوارح فقال ذلك في المال وغيره فهو شيء جمع وجام ونال أو حمود جمع بجمع أي بكثرة ، والمعنى : وتحبون المال حباً كثيراً شديداً ، حين أن سرهم على الدنيا فط وأنهم عادلون عن أمر الآخرة .

قوله تعالى : (كلا إذا دُكَّت الأرض دَكًّا دَكًّا) وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ، وجى بومض

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ بِحَبْمٍ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ الْإِنْسَانُ وَآلِي لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣٥﴾

بحبم يومئذ يذكّر الإنسان وآل له الذكرى .

اعلم أن قوله (كلا) دافع لهم عن ذلك وإنكار إقدام أى لا يبنى أن يكون الأمر هكذا في الحرص على الدنيا ونصرامة وأجهد على تفصيلها ولا تسكال عليها وترك الاستغناء وجمعها من حيث تنبأ من حل أو حرام ، ونوم أن لا حساب ولا جزاء . إن من كان هذا حاله يندم حين لا تنفع الندامة ويذم أن لو كان أسمى غيره في التقرب بالأعمال الصالحة ولم استأن من المال إلى الله تعالى ، ثم بين أنه إذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاثة فإنه يحصل ذلك البنى وذلك الدامة .

(الصفة الأولى) من صفات ذلك اليوم قوله (إنادكت الأرض ذكادكا) قال الخليل الهك كسر الحافظ والجبل والد كذاك رمل مثليد ، ودحل دك شديد التوضد على الأرض ، وقال المبرد الهك حصا المرتفع باليسط ، والذك سداهم الذعير إذا انخرش في طاهره ، وناقة ذكادكا كانت كذلك ومت الله كان لا ستوائه في الانقراض . فمعنى الهك على قول الخليل كسر كل شئ . على وجه الأرض من جبل أو حجر حين زلزلت فلم يبق على ظاهرها شئ . وعلى قول المبرد حسناه أنها استوت في الانقراض فذهبت دورها وقصورها وسائر أبنيتها حتى تصير كالصحرة الماسدة ، وهذا معنى قول ابن عباس : تعد الأرض يوم القيامة .

واعلم أن التكرار في قوله (ذكادكا) حسنه ذكادكا بعد ذك كقولك حسنه باباً باباً وذلك حرفاً حرفاً أى كرر عليها الهك حتى صارت حسداً متوراً . واعلم أن هذه التذكير لابد وأن يكون متأخراً عن الزلزلة ، فإذا زلزلت الأرض وزلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكاً بعد تحريك فاستكرت الجبال التي عليها وانهدمت التلال وأنتقلت الأغواد وصارت ملساء ، وذلك عند انقضاء الله بنا وهذا قال تعالى (يوم زحف الزاجفة تدهم الزادفة) وقال (وحذت الأرض والجبال فذكادكا واحدة) وقال (إذا وجت الأرض رجاءً وجت الجبال بساً) .

(الصفة الثانية) من صفات ذلك اليوم قوله (وحذرك واهك مدعاً مدعاً)

واعلم أنه ثبت بالدليل القلي أن الحركة على الله تعالى محال ، لأن كل ما كان كذلك كان جسمياً والجسم مستحيل أن يكون ذريعاً فلا بد فيه من التحويل ، وهو أن هذا من باب حذف المضائق وإقامة الخلف إليه مقامه . ثم ذلك المضائق ما هو ؟ فيه وجوه (أحدها) وجاد أمر ديك بالحاسبة والمجوزاة (وثانيها) وجاد قهر ديك كما يقال جادنا بنو أمية أى قهرهم (وثالثها) وجاد حلائل آيات ربك لأن هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر النظم وحلائل الآيات . فمن مجيئنا مجيئاً لم تنخبنا لأن تلك الآيات (وراجمها) وجاد ظهور ربك ، وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورة فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق . فليس (وجاد ربك) أى زالت الشبهة وانقضت

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ هِجْرَتِي ﴿٦٦﴾

التذكرك (عاشم) أن هذا تذييل لاهور آيات الله وتبين آثار قهره وسلطانه ، مثلت حانه في ذلك بحال الملك إذا حضر نفسه ، فإنه يظهر بجمود حضوره من آثار الحبيبة والسياسة مالا يظهر بحضور عداكره كلها (وعاشم) أن الرب هو الحق ، وأهل ملكه هو أعظم الملائكة هو مربي لاسي ^{بالحق} . ما كان هو المراد من قوله (وجاء ربك) أما قوله (والمالك حقاً حقاً) فالمعنى أنه تزول ملائكة كل حال فيصطفون صفاتاً بعد صف هذين بالجن والإنس .

(الصفة الثالثة) من صفات ذلك اليوم قوله تعالى (وحى) بربهم بهم (وطهيرة قوله تعالى (ورزت الجنة للثاوين) قال جماعة من المفسرين . حى بها يوم القيامة منومة إسجين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يحرسونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرذ شرقة (ورزت) أي ظهرت حتى وآها الخلق ، وعلم الكفار أن مصيره إليها . نحن قال (يومئذ يذكر الإنسان) وأعلم أن تقدير الكلام : (إذا دكت الأرض ، وحصل كذا وكذا فيومئذ يذكر الإنسان . وفي تذكرة وجوه (الأول) أنه يذكر ما غرط فيه لأنه حين كان في الدنيا كانت منه تحصيل الدنيا ، ثم إنه في الآخرة يذكر أن ذلك كان ضلالاً ، وكان الواجب عليه أن تكون منه تحصيل الآخرة (الثاني) يذكر أي ينظر ، والذي أن ساكن ينظر في الدنيا فيصير في الآخرة متعظاً ويقول (يا ليتني لم أكن كذا) (الثالث) يذكر ثوب وهو مروي عن الحسن . ثم قال تعالى (وأن له لهم الذكري . وقد جاءه رسول مبين) : وأعلم أن بين قوله (يذكر) وبين قوله (وأن له الذكري) تارة فلابد من إظهار المعنى والمعنى ومن أين له منفعة الذكري .

ويخرج على هذه الآية مسألة أصولية ، وهي أن يقول التوبة عندنا عبر واجب على الله تعالى ، وقالت التوبة : هو واجب . فنقول الدليل على قول أن الآية دلت معنا على أن الإنسان يعلم في الآخرة ما كان الذي عمله في الدنيا لم يكن أصح له وإن الذي تركه كان أصح له ، وهما طرف ذلك لايدوان يندم عليه ، وإذا حصل الندم فقد حصلت التوبة ، ثم إنه تعالى فيكون تلك توبة نافعة بطول (وأن له الذكري) فدلنا أن التوبة لا يجب عقلاً فوقها ، فإن بين التوبة وبين الندم على أناسهم لا لوجه فيها بل لوجوب العقاب عليها ، إلا جرم ما كانت التوبة صحيحة ؟ فذا التوبة لما علموا أن الندم على التوبة لا بد وأن يكون لوجه فيه حتى يكون نافعاً وحسب أن يكون ندوم واقعاً على هذا الوجه ، حيث لا يكونون آمنين بالتوبة الصحيحة مع عدم قبولها فصح قولنا ثم شرح تعالى ما يقوله هذا الإنسان فقال تعالى : يقول يا ليتني قدمت هجرتي في وقتين :

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَذَابَ أَحَدٍ (١٥) وَلَا يُوقِنُ وَعَذَابَ أَحَدٍ (١٦)

﴿ المسألة الأولى ﴾ الآية تأويلات :

(أحدهما) (باليتنى قدمت) في الدنيا التي كانت حياتي فيها مقطعة ، الحياتي هذه اتى من دأمة غير مقطعة ، وإنما قال (الحياتي) ولم يقل لهذه الحياة على معنى أن الحياة كلها ليست إلا الحياة في الدار الآخرة ، قال تعالى (وإن الدار الآخرة لى الخيرات) أى لى الحيات .

(ولئيبها) أنه تعالى قال في حق الكافر (وبأنه مات) من كل مكان وما هو بميت) وقال (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) وقال (ويتجسس الآسني الذي يصل الدار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى) فهذه الآية دلت على أن أهل النار في الآخرة كأنه لأحياء لهم ، والمعنى فياليتنى قدمت محلاً يوجب نخوتي من النار عني أكون من الأحياء .

(ولئيبها) أن يكون المعنى : فياليتنى قدمت وقت حياتي في الدنيا ، كفرائك جنته لعسر ليال تخلون من رجب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ استدل المتذوق بهذه الآية على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقاً بغيرهم وإرادتهم وأهم ما كانوا محجرين عن اطمانات مجزئين على المعاصي (وجهواهم) أن فاهم كان معلقاً بغيرهم ، اقتصرهم إن كان معلقاً بغيرهم لزم التسلل ، وإن كان معلقاً بغيره فذلكم يخل الاعتزال . قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَذَابَ أَحَدٍ ، وَلَا يُوقِنُ وَعَذَابَ أَحَدٍ ﴾ وفيه مسالكان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قراءة العامة يذهب ويوقن بكسر اللين فمعها قال مقاتل مثله : فهو مذهب لا يذهب عذاب الله أحد من الخلق ولا يوقن وثاني الله أحد من الخلق ، والمعنى لا يبلغ أحد من الخلق كيلاع الله في العذاب والوقن ، قال أبو عبيدة هذا التفسير ضعيف لأنه ليس يوم القيامة يعذب سوى الله فكيف يقال لا يذهب أحد في مثل عذابه ، وأجيب عن هذا الاعتراض من وجهه (الأول) أن التفسير لا يذهب أحد في الدنيا عذاب الله الكافر يومئذ ، ولا يوقن أحد في الدنيا وثاني الله الكافر يومئذ ، والمعنى مثل عذابه ووثاقه في الآخرة والمباينة (الثاني) أن المعنى لا ينزل يوم القيامة عذاب الله أحد ، أى الأمر يومئذ أمره ولا أمر غيره (الثالث) وهو قول أبي علي التفسير أن يكون التفسير لا يذهب أحد من الزبانية بل ما يذهبونه . قال الضمير في عذابه عائد إلى الإنسان ، وثراً الكسائي لا يذهب ولا يوقن قطع العين فيها راحته أبو عبيدة ، وعن أبي عمرو أنه دج (أي في آخر عمره ، لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها بالفتح والتفسير الإنسان الموصوف ، وقيل هو أبي بن خلف وهذه القراءة تميران (أحدهما) لا يذهب أحد مثل عذابه ولا يوقن بالمداسل والأغلال مثل وثاقه ، لتأنيبه في كفره وفساده (والثاني)

يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿١٨﴾

أنه لا يذب أحد من الناس عذاب الكافر ، كقوله (ولا تزدوا وزره وازره وزر أخرى) قال الواحدي وهذه أولى الأقوال .

﴿ المسألة الثانية ﴾ العذاب في القرآنين بمعنى التعذيب والرائي بمعنى الإيقان ، كالعطاء بمعنى الإعطاء ، في قوله : [أ كفراً بعد رد الموت عن] وبعد هذائك المسألة الرضا

قوله تعالى : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ . اعلم أنه تعالى لما وصف حال من أطاع إلى الدنيا ، وصف حال من أطاع إلى معرفته وعبوديته ، فقال (يا أيها النفس) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ تقدير هذا الكلام . بقوله الله الذم (يا أيها النفس) بما أن يكلمه إكراماً له كما كلم موسى عليه السلام (وعلى لسان ملك ، وقال الغزال : هذا وإن كان أمراً في الظاهر لكنه غير في المعنى ، والتقدير أن النفس إذا كانت مطمئنة رجعت إلى الله . وقال الله لها (ادخل في عبادي وادخلي جنتي) قال وغير الأمر بمعنى الخير كثير في كلامهم ، كقولهم : (إذا لم تشع ما صنع ما شئت) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الاطمئنان هو الاستقرار والثبات ، وفي كفة هذا الاطمئنان وجوه (أحدها) أن تكون متيقنة بالحق ، فلا يتخلطها شك ، وهو المراد من قوله (ولكن يعلمن قطبي) (وثانيها) انفس الآمنة التي لا يستترها خوف ولا حزن ، ويشهد لهذا تفسير قراءة أبي ابن كعب يا أيها النفس الآمنة المطمئنة . وهذه الحالة تختص عند الموت عند سماع قوله (ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة) وتحصل عند البحث ، وعند دخول الجنة لا عالة (وثالثها) وهو تأويل مطابق للحقائق المتقنة ، فقول القرآن والبرهان تطابقاً على أن هذا الاطمئنان لا يحصل إلا بذكر الله ، أما الفرائض فقولها (ألا يذكر الله تخطئ القلوب) وأما البرهان فمن وجهين (الأول) أن القوة العاقلة إذا أضحت تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات ، فتكلم وحصل إلى سبب يكون هو ممكناً لذاته طالب العقل له سبب آخر ، فلم يقف العمل عند ، بل لا يزال يتفرع من كل شيء إلى ما هو أعلى منه ، حتى ينتهي في ذلك الترتيب إلى واجب الوجود لذاته فمقطع الحاجات ، ومنتهى الضرورات ، فلا وفقت الحاجة بونه ونفت العقل عنده والطمأن إلى الله ، ولم يقفل عنه إل ضيقه ، وإذا كلما كانت القوة العاقلة باطنة إلى شيء من الممكنات ملتهمة إليه استحال أن تستقر عنده ، وإذا نظرت إلى جلال واجب الوجود ، وعرفت أن الكل منه استحال أن تنقل عنه ، فكيف أن الاطمئنان لا يحصل إلا بذكر واجب الوجود (الثاني) أن حاجات العبد غير متناهية وكل ما سوى الله تعالى نهر متشاهي البقاء والقوة إلا يؤمد الله ، وغير المتشاهي لا يصير مجزئاً

بالشأن . فلا بد في مقابلة حاجة السجد التي لا نهاية لها من كمال الله الذي لا نهاية له . حتى يحصل الاستقرار ، فثبت أن كل من أثر معرفة الله لأشئ . غير الله فهو غير مطمئن ، وأثبت نفسه نفساً مطمئنة ، أما من أثر معرفة الله لأشئ . سواه ففقد من النفس المطمئنة ، وكل من كان كذلك كان أنه بالله وشوقه إلى الله وبقاؤه بالله وكلامه مع الله ، فلا يجرم مخاطب عند مفارقه الدنيا بقوله (ارجعي إلى ربك راضية مرضية) وهذا كلام لا يفتضح إلا بتفحص الإنسان به إلا إذا كان كمالاً في القوة التذكيرية الإلهية أوفى التجريد والتفريد .

في المسألة الثالثة : اعلم أن الله تعالى ذكره علق النفس في القرآن فقال (ونفس وما سواها) وقال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) وقال (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قوة أعين) وقارة وصفتها بكونها أمانة بالسوء ، فقال (إن لنفس لأمانة بالسوء) وقارة بكونها لواءة ، فقال (بالنفس الأمانة) وقارة بكونها مطمئنة كما في هذه الآية . واعلم أن نفس ذاتك وحقيقة تلك وهي التي تدبر إليها جوارك (أنا) حين تخبر عن نفسك بقولك فعلت ورأيت وسمعت ونهضت واشتريت ونحيت وتذكرت . (لأننا أشار إليه بهذه الإشارة ليس هو هذه البنية لوجوه (الأول) أن المشار إليه بجوارك (أنا) قد يكون معلوماً حال ما تكون هذه البنية المخصوصة غير معلومة ، والمعلوم غير ما هو غير معلوم (الثاني) أن هذه البنية ، بدلاً الأجزاء والمشار إليه بجوارك (أنا) غير متبدل ، لأن أعلم بالضرورة أن أنا الذي كنت موجوداً قبل هذا اليوم بمئتين سنة ، والمتبدل غير ما هو غير متبدل ، فإذا ثبتت النفس عبارة عن هذه البنية ، ونقول : قال قوم إن النفس ليست بحجم لأنها قد تفعل المشار إليه بقوله (أنا) حال ما أكون غائلاً عن الجسم الذي حقيقته المخفص بالحيز المذهب في الطول والعرض والعرض . والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ، وجواب المعارضة بالنفس مذكور في كتابنا المنسحق باب الإشارات ، وقال آخرون بل هو جوهر جسماني لطيف صاف بعيد عن مشابهة الأجرام المتصرفة نوراني صافى مختلف بالمساهدة لهذه الأجسام التسفافية ، فإذا صارت مشابهة لهذا البدن فكيف صار البدن حياً وإن عارفته صار البدن ميتاً ، وعلى التفسير الأول يكون وصفها بالحي . والرجوع بمعنى التدبير وتثبته ، وعلى التفسير الثاني ، يكون ذلك الرصف حقيقة .

في المسألة الرابعة : من القدماء من زعم أن النفوس أزلية ، واحتجوا بهذه الآية ومن قوله (ارجعي إلى ربك) فإن هذا إنما يقال لما كان موجوداً قبل هذا البدن . واعلم أن هذا الكلام يضرع على أن هذا الخطاب متى يوجد ؟ وفيه وجهان (الأول) أنه إنما يوجد عند الموت ، ومنها نفوي حجة القائلين بتقدم الأرواح على الأجساد ، إلا أنه لا يلزم من تقدمها عليها فنعلم (الثاني) أنه إنما يوجد عند القيامة ، والمعنى : ارجعي إلى ثواب ربك ، فادخلي في عبادي ، أي ادخلي في الجسد الذي خرجت منه .

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣٦﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٣٧﴾

في المسألة الخامسة في الجملة تمسكوا بقوله (فادخلني) (فادخلني) وكلمة إلى لانهاء الثابتة (وجوابه) إلى حكم ربك ، أو إلى ثواب ربك أو إلى إحسان ربك (والجواب) الخلق المخرج على القاعدة الدينية التي قررناها ، أن القوة العقلية بسيرها العقل تترقى من موجود إلى موجود آخر ، ومن سبب إلى سبب حتى تنتهي إلى حضرة واجب الوجود ، فهناك انتهاء القابات وانقضاء الحركات ، أما قوله تعالى (راضية مرضية) فالمعنى راضية بالثواب مرضية عنك في الأعمال التي عملتها في الدنيا ، ويدل على صحة هذا التفسير ، ما روي أن رجلاً قرأ عند النبي ﷺ هذه الآية ، فقال : أوبرك ، ما أحسن هذا القول عليه الصلاة والسلام ، أما إن الملك سيقولها لك .

قوله تعالى : ﴿ فادخلني في عبادي ، وادخلني جناتي ﴾ وفيه مسائلان :

في المسألة الأولى ﴿ قبل ذلك في مرة بن عبد المطالب ، وقيل في حديث بن عدي الذي صنفه أهل مكة ، وجمهوا وسهوا إلى المدينة . قال : اللهم إن كان في عندي خير فادخله وجي نحر بلدك ، فادخله إن ربه يحرمها . ثم يستطعم أحد أن يقول ، وأنت قد عرفت أن الديرة بعصرم الذهب لا ينحصر من الذهب .

في المسألة الثانية ﴿ قوله (وادخلني في عبادي) أي انضم إلى عبادي القومين ، وهذه حالة شريفة ، وذلك لأن الأرواح الشريفة القدسية تكون كالأرواح الصرفة ، فإذا انضم بعضها إلى البعض جعلت معها حالة شبيهة بتلك الخاصة عند تعاقب الأرواح المتعاقلة من التماسك الأشعة من بعضها على بعض ، ويظهر في كل واحد منها كل ما ظهر في كلها ، وبالحلة فيكون ذلك الانضمام سبباً لتكامل تلك الدعوات ، وتضاف تلك الدرجات الروحية ، وهذا هو المراد من قوله تعالى (فأما إن كان من أصحاب الجحيم ، فسلام تلك من أصحاب الجحيم) وذلك هو السعادة الروحية ، ثم قال (وادخلني جناتي) وهذه إشارة إلى السعادة الجسدية ، ولما كانت الجنة الروحية غير متراخية عن الموت في حق السعداء ، لا جرم قال (فادخلني في عبادي) فذكر جناته تشويقاً ، ولما كانت الجنة الجسدية لا يحصل العود بها إلا بعد أيام ثلاثة شمسية ، لا جرم قال (وادخلني جناتي) لذكره بالروا لا بالتعذر ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(٩) سِجْرَةُ النَّبِيِّ لَا تَكُونُ
وَأَنْتَ أَهْلُ عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَيْدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَيْدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَيْدِ : رَأَيْتَ حِلَّ بِهَذَا الْبَيْدِ ، وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَدٍّ ① أَجْمَعَ الْمُتَسَرِّعُونَ عَلَى أَنْ ذَلِكَ الْبَيْدُ هِيَ مَكَّةُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مَكَّةَ مَعْرُوفَةً ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهَا حَرَمًا تَبَاتًا ، فَقَالَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِيهَا (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) وَجَعَلَ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ قِبْلَةً لِأَعْيُنِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . قَالَ (وَبِحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) وَشَرَفَ مَقَامَ زُرَّاعِهِمْ بِقَوْلِهِ (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَثَلًا) وَأَمَرَ النَّاسَ بِحَيْثُ ذَلِكَ الْبَيْتُ فَقَالَ (وَفَعَلَ عَلَى الْكَاسِ حِجَابًا) وَقَالَ فِي الْبَيْتِ (وَبِذِذْ بَعْثًا لِنَاسٍ وَأَمْنًا) وَقَالَ (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) وَقَالَ (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) وَحَرَّمَ فِيهِ الْعَبَدَةَ ، وَجَعَلَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ إِزَازَةً ، وَدَحِيضَةً لِلدِّينِ مِنْ تَحْتِهِ ، فَهَذِهِ الْفَضَائِلُ وَأَكْثَرُ مِنْهَا مَا اجْتَمَعَتْ فِي مَكَّةَ لَا جَرَمَ أَقْسَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ، فَأَمَّا قَوْلُهُ (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَيْدِ) فَالْمُرَادُ مِنْهُ أُمُورٌ (أَحَدُهَا) وَأَنْتَ مُقِيمٌ بِهَذَا الْبَيْدِ تَنْزِيلٌ فِيهِ حَالٌ بِهِ كَأَنَّهُ تَعَالَى عَظُمَ مَكَّةَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ طَلِبَةُ الصَّلَاةِ وَاتِّسَالُ مَنْزِلِهِمْ بِهَا (وَثَانِيهَا) الْحِلُّ بِمَعْنَى الْحَالِ ، أَيْ أَنَّ الْيَكْفَارَ بِمَعْتَرِفٍ بِهَذَا الْبَيْدِ وَلَا يَتَكَبَّرُونَ فِيهِ بِالْحُرْمَاتِ ، ثُمَّ انْبَهَوْا بِمَعْنَى ذَلِكَ وَمَعَ (كَرَامِ اللَّهِ تَعَالَى) إِذَاكَ وَالْبُيُوتَ يَسْتَحِلُّونَ إِذَاكَ وَلَوْ تَعَبَّدُوا لَكَ لَتَعْبُدُوا ، فَأَنْتَ حِلٌّ لِمَنْ فِي اخْتِلَافِهِمْ لَا يَرَوْنَ لَكَ مِنَ الْحُرْمَةِ مَا يَرَوْنَهُ لِقَبْرِكَ ، عَنْ شَرِّ حَبِيلٍ يَجْعَلُونَ أَنْ يَتَّقُوا مَا صَدَأَ أَوْ يَعْضُوا مَا نَجَسَ ، وَيَسْتَحِلُّونَ بِخُرَاجِكَ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ ، وَطَبِخَ تَبِيْعَتِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِئْسَ عَلَى احْتِمَالٍ مَا كَانَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَفِي حُجُوبٍ لَهُ مِنْ حَالِهِمْ فِي عَدَاوَتِهِمْ لَهُ (وَثَالِثُهَا) قَالَ خُذَاهُ (وَأَنْتَ حِلٌّ) أَيْ لَسْتَ بِأَهْلٍ ، وَجَدَّ أَنْ تَقْتُلَ بِكَ مَنْ شِئْتَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى دَخَلَ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَأَحْلَاهُ لَهُ ، وَمَا فَتَحَتْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَأَحْلَى مَا شَاءَ وَحَرَّمَ مَا شَاءَ وَفَعَلَ مَا شَاءَ ، فَتَقَاتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ وَهُوَ مَعْتَلِقٌ بِأَسْطَرِّ الْكَلْبَةِ ، وَبَغِيضُ بْنُ صَبَاةٍ وَغَيْرُهُمَا ، وَحَرَّمَ دَارَ أَبِي سَلَفٍ ، وَجَعَلَ

قال : إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبله ، وإن نحل لاحد بعده ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، فلا يصعد شجرها ، ولا يخلل خلاها ، ولا يضر مبدعها ، ولا نحل لقطتها إلا أنشد . فقال العباس : إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لبوننا وفورنا ، فقال (إلا الإذخر) .

فإن قيل هذه السورة مكية ، وقوله (وأنت حل) اخبار عن الحال ، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة ، فكيف اجتمع بين الأمرين ؟ فتشاهد بكم اللفظ للحال والمضى مستقبلا ، كقوله تعالى (إليك ميت) وكذا إذا قلت من تبعه الإكرام والجليل : أنت محرم محبو ، وهذا من الله أحسن ، لأن الله قبل عنده كالأضر بسبب أنه لا يفتنه عن وعده مانع (ورأيها) (وأنت حل هذا البلد) أي وأنت غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيما منك لهذا البيت ، لا كالمتركن الذين يرتكبون فيه الكفر بآفة ، ونكذب الرسل (وسامعها) أنه تعالى لما أقسم بهذا البلد دل ذلك على غاية فضل هذا البلد ، ثم قال (وأنت حل هذا البلد) أي وأنت من حل هذه البلدة المأهولة المشركة ، وأهل هذا البلد يرفعون أصواتك وتسليك وفلأهلك وراثتك ما لم يحرك من الأفعال القبيحة ، وهذا هو المراد بقوله تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) وقال (اقتضوا حكم رسول من أنفسكم) وقوله (فقد بعث إليكم محمدا من قبله) فيكون العرض شرح . نصب رسول الله ﷺ بكونه من هذا البلد . أما قوله (وما ولد) فاعلم أن هذا معطوف على قوله (لا أقسم بهذا البلد) وقوله (وأنت حل هذا البلد) معترض بين المعطوف والمعطوف عليه ، والفرسين فيه وجوه (أمدها) الولد آدم وما ولد ذريته ، أقسم بهم إذ هم من أعجب خلق الله على وجه الأرض ، لما فهم من البيان والطق والتدبير واستخراج العلوم وفهم الانبياء والدعاة إلى الله تعالى والأصهار لذريته ، وكل ما في الأرض مخلوق لهم وأمر الخلائكة بالجود لآدم وعليه الأسماء كلها ، وقد قال الله تعالى (ولقد حكمتنا بين آدم) فيكون القسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم ، لما ذكرنا من ظهور الجانب في هذه البنية والتركيب . وقيل هو قسم آدم والصالحين من أولاده ، بناء على أن الطالبين كانوا من أولاده وكانهم بهايم . كما قال (إن هم إلا لأصنام يلتم أهل ميلا) : (سمعكم عنهم لا يرجون) (رأيناها) أن الولد إبراهيم وإسماعيل وما ولد محمد ﷺ وذلك لأنه أقسم بمكة وإبراهيم وإسماعيل وإسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها ، وقائدة التذكير الإبهام المستقل بالمسح والتعجب ، وأما قوله (وما ولد) ولم يقل ومن ولد ، لفائدة الموجودة في قوله (وأنت أعلم بما وضعت) أي بأى شيء وضعت بيني موضوعا عجيب الشأن (ونالها) الولد إبراهيم وما ولد جميع ولد إبراهيم بحيث يشمل العرب والعجم . فإن جملة ولد إبراهيم هم سكان البقاع الفاضلة من أرض الشام ومصر ، وبيت المقدس وأرض العرب ومنهم الروم لأنهم ولد عيص بن إسحق . ومنهم من ذمهم فذلك بولد إبراهيم من العرب

ومنه من خص ذلك بالعرب المسلمين ، و[عنا فلنا أن هذا القسم واقع بولد إبراهيم المؤمنين لأنه قد شرع في التثنية أن يقال « كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم » رم المؤمنين (ورائهما) دوى عن ابن عباس أنه قال : الولد الذي ولد . وما ولد الذي لا يلد ، فإيهما يكون الحق ، وهل هذا لا بد عن اختيار الموصول أي ولد الله ، والذي ما ولد ، وذلك لا يجوز عند البحرين (وخامسا) يعني كل والد ومولود ، وهذا مناسب ، لأن حرمة الخلق كلها داخل في هذا الكلام .

قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ فیه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في الكبد وجوه (أحدها) قال صاحب الكشف إن الكبد أصله من فولك كبد الرجل كبداً فهو كبد إذا وجعت كبده وانفتحت ، فاتسع فيه حتى استعمل في كل ثوب ومشقة ، ومنه اشتقت المشكبة وأصله كبد إذا أصاب كبده . وقال آخرون : الكبد شدة الأمر ومنه تكبد اللين إذا غلط واشتد ، ومنه الكبد لأنه دم يعلف ريشته ، والفرق بين القولين أن الأول حمل اسم الكبد موضوعاً للكبد ، ثم اشتق منه الكبد ، وفي الثاني جعل المفظ موضوعاً للشدة والغلط ، ثم اشتق منه اسم الكبد (أوجه الثاني) أن الكبد هو الاستواء والاستقامة (الوجه الثالث) أن الكبد شدة الخلق والقوة ، إذا عرفت هذا فنقول لما على الوجه الأول فيحصل أن يكون المراد شدائد الدنيا فقط ، وأن يكون المراد شائد التكليف فقط ، وأن يكون المراد الآخرة فقط ، وأن يكون المراد بكل ذلك .

أما (الأول) فنوله (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي خلقناه أطواراً كلها شدة ومشقة ، فإيه في بطن الأم ، ثم زمان الإرضاع ، ثم إذا بلغ في الكبد في تحصيل المعاش ، ثم بعد ذلك الموت . وأما (الثاني) وهو الكبد في الدين ، فقال الحمين : يكابد الشكر على السراء ، والصبر على العسراء ، ويكابد الحزن في أداء العبادات .

وأما (الثالث) وهو الآخرة ، فإياه ومسألة انكس وظنة فقير ، ثم أبعث وأعرض على الله إلى أنه يستغربه القرآن إما في الجنة وإما في النار .

وأما (الرابع) وهو يكون المفظ محملاً على الكل فهو الحق ، وعندي فيه وجه آخر ، وهو أنه ليس في هذه الدنيا لذة البتة ، بل ذلك يظن أنه لذة فهو خلاص عن الألم ، فإن ما ينجلي من اللذة عند الأكل فهو خلاص عند ألم الجوع ، وما يتحول من اللذة عند الحبس فهو خلاص عن ألم الحر والبرد ، فليس للإنسان ، إلا ألم أو خلاص عن ألم وانتقال إلى آخر ، فهذا معنى قوله (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ويظهر منه أنه لا بد للإنسان من شدة والعبادة ، لأن الحكيم الذي دبر خلقه الإنسان إن كان مطبوع به أن يتألم . فهذا لا يلبث بالرحمة . وإن كان مطبوع به أن لا يتألم ولا يلد ، ففي تركه على عدم كفاية في هذا المطلوب ، وإن كان مطبوع به أن يلد ، فقد يتألم ، فليس في هذه الحياة لذة ، وأنه خلق الإنسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة وعناء ، فلذا لا بد

أَلَيْسَ لَكَ بِغَيْرِ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿١٧﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ مَا لَا تُبْنِي ۝ أَلَيْسَ لَكَ

بِغَيْرِهِ أَحَدٌ ﴿١٨﴾

بعد هذه الدار من دار أخرى ، لتكون تلك الدار دار السعادة والنعمة .
وأما على (الوجه الثاني) وهو أن يفسر "الكبد بالاستواء" ، فقال ابن عباس : في كبد ، أي قائداً
متصباً ، والمجرباءات الأخر تسمى مكبة ، فهذا امتداد عليه به الحنفية .

وأما على (الوجه الثالث) وهو أن يفسر الكبد بشدة الخلق ، فقد قال الكلبي : ولت هذه الآية
في رجل من بني حنظلة يكنى أبا الأشد . وكان يحمل تحت يديه الأديم العكاظي ، فيجذبونه من
تحت قدميه فيشترق الأديم ولم تزل قدماءه ، وأعلم أن اللاحق بالآية هو الوجه الأول .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : خرف في اللام متقاربان . تقول إنما أنت للنار ، والتعب ، وإنما أنت في
النار ، والتعب ، وبه وجه آخر وهو أن قوله (في كبد) يدل على أن كبد قد أساط به إضافة
الطرف بالمحذوف ، وفيه إشارة إلى ما ذكرناه من أن الدنيا إلا الكبد والمخ .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ : منهم من قال : المراد بالإنسان إنسان معين ، وهو الذي وصفناه بالقوة ،
والآخرون على أنه عام يدخل فيه كل أحد رأيت كتاباً لا نتج من أن يكون ورد عند فعل
فعله ذلك الرجل .

قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَكَ بِغَيْرِ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ أعلم أننا إن فسرنا الكبد بالشدة في القوة ، فلهي
أليست ذلك الإنسان الشديد أنه لشدة لا يقدر عليه أحد ، وإن فسرنا المحنة والبلاد كان المعنى
تسبيل ذلك على القلب ، كأنه يقول وهب أن الإنسان كان في النعمة والتقدير ، أيظن أنه في تلك
الحالة لا يقدر عليه أحد ؟ ثم اختصوا فقال بعضهم إن يقدر على دمه وبهذا أنه فكانه عذاب مع
من أسكر بدمه . وقال آخرون : المراد أن يقدر على تغيير أمره ظناً منه أنه قوي على الأمور
لا يدفع من مراده . وقوله (أليست) استفهام على سبيل الإنكار .

قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ أَهْلَكَ مَا لَا تُبْنِي ۝ ﴾ قال أبو عبيدة : ليد ، فعل من اليبس وهو التبال
للكثير بعضه على بعض . قال الزجاج نزل لكثرة يقال رجل حطيم إذا كان كثير الحطيم . قال
القيرواني : واحدة ليد وليد جمع وجمله بعضهم واحداً ، وتظهر ندم رحطهم وهو في الوجهين جميعاً
الكثير . قال الثعلبي : ليد لا يخاف غايته من كثرة . وقد ذكرنا في هذا الحرف عند قوله
(يكرنون عليه ليد) والمعنى أن هذا الكافر يقول أهلك في عداوة محمد مالا كثيراً ، وأمره
كثرة ما أفضت فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكابم ، ويدعونه بمال ومفاخر .

قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَكَ بِغَيْرِهِ أَحَدٌ ﴾ به وجوب (الأول) قال قتادة : أيظن أن الله لم

أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ ١٠ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۖ ١١ وَهَدَيْتَهُ النُّجْدَيْنِ ۖ ١٢ فَلَا

أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۖ ١٣

بره ولم يسأله عن حاله من أين اكتسب وزعم أنفه (الثاني) قال الكلبي كان كاذباً لم ينفق شيئاً ، فقال الله تعالى : أَيْضاً أَنْ أَلَهُ تَعَالَى عَارِىَ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَعَلَّ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ ، أَتَفَى أَوْ لَمْ يَتَفَى ، بَلْ رَأَى وَعَلِمَ مِنْهُ خِلَافَ مَا قَالَ .

واعلم أنه تعالى لما حكي عن ذلك الكافر قوله (أُنْصِبَ أَنْ لِي يَفْعَلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ) الخاتم الدلالة على كمال قدرته فقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْتَهُ النُّجْدَيْنِ ﴾ وبجواب هذه الاعتناء المذكورة في كتب التفسير ، قال أهل العربية : النجدة الطريق في ارتفاع مكانه لما وصفت الدلائل جعلت كالطريق فمرقعة العاليه يسبب أنها واضحة لا تقول كوضوح الطريق العالي للأبصار ، وإلى هذا التأويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو أنها سبيل الخير والشر ، وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال : إنما هما النجدان ، نجداً للخير ونجداً للشر ، ولا يكون نجداً للشر ، أحب إلى أحدكم من نجداً للخير ، وهذه الآية كالأية (هل أتى على الإنسان) لئلا قوله (لَجَعَلْنَاهُ مَعِيّاً بِصِرَافٍ) إنما هديناه الدليل ، إنما شأنا كزاً (وإما كقوله) وقال الحسن . قال (أَمْ لَكَ الْإِلَهَاءُ) فمن الذي يحاسبني عليه ؟ فقيل الذي قدر على أن يخلق لك هذه الإعتناء قادر على عبادتك ، وروى عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ، أنها التبيان ، ومن قال ذلك ذهب إلى أنها كالطريقين لجلاء التولد ورواه . والله تعالى هدى العاقل الصغير حتى ارتقى بها ، قال الفصيح : والتأويل هو الأول ، ثم قرر وجه الاستدلال به ، فقال إن من قدر على أن يخلق من الماء المهيئ نلباً عقولاً ولساناً قولاً ، فهو على إحلاك ما خلق قادر ، وبما خلقه يخلق عالم ، فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه وما الحاجة في الكفر بالله من قضاة نفسه ، وما الصلة في التعزيز على الله وعلى أنصار دينه بأفعال وهو المفضل له ، وهو الممكن من الانتفاع به .

ثم إنه سبحانه وتعالى دل عباده على الرجوع الفاضلة التي تنفق فيها الأموال ، وعرف هذا الكافر أن إغناقه كان طليداً وبغير غيد ، فقال تعالى ﴿ فَلَا تَفْحَمُ الْعَقَبَةَ ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الإقحام الدرس في الأمر الشديد يقال نعم بأنعم نعماً ، واتقهم اتقاهم واتقهم تنحساً إذا ركب القهم ، وهي المالك والامور العظام والعقبة طريق في الجبل وعبر واجمع الدب والغاب ، ثم ذكر المفسرون في العقبة ههنا وجهين (الأول) أنها في الآخرة وقال عطية يريد عقبة جهنم ، وقال الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار ، وقال ابن عمر هي جبل زلال في جهنم وقال مجاهد والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم ، وهو معنى قول الكلبي أنها عقبة الجنة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقُوبَةُ ۖ ⑩ قُلْ رَقِيبَةٌ ۖ ⑪

والنظر، قال: أحدهما تفسير فيه نظر لأن من المعلوم أن [بني] هذا الإنسان وغيره لم يقتضوا عبادة جبههم ولا حاوروها فعمل الآية عليه يكون [بعضاً] من أوضاعها، وبذلك عليه أنه لما قال (وما أدرى الناس العاقبة) صدره تلك الرغبة والإطعام (الروح الثاني) في تفسير العقبة هو أن ذكر العقبة هنا مثل حثه الله بمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر، وهو قول الحسن ومثقال قال الحسن عقبة أمة شديدة، هي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن، وأقول هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى بضاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بنيه وبناها غفبات حامية دوسها صواعق حامية، ويجوزها صعبة والقرى إليها شديدة. في المسألة الثانية (أن في الآية إشكالاً) وهو أنه لما أورد لا الداعية على الماضي إلا منكراً، تقول لا يجني ولا (بـ) قال تعالى (فلا صدق ولا عمل) وفي هذه الآية ما جاء التكرير في السبب به (أجيب عنه من رجاء (الآية) قال الزجاج إنها منكرات في المعنى لأن معنى (فلا اتقوا العقبة) فلا تترك رقبته ولا أطامه مكياً، إلا ترى أنه غير المتعاطف العقبة بذلك، وقوله (ثم كان من الذين آمنوا) يدل أيضاً على معنى (فلا اتقوا العقبة) ولا آمن (الثاني) قال أبو علي (ثم كان من الذين آمنوا) لا يجني لا بمعنى لم كان التكرير غير واجب كما لا يجب التكرير مع لم، فإن تكررت في موضع نحو (فلا صدق ولا عمل) فهو تكرير ولم؛ نحو (لم يصرفوا ولم يقتروا).

﴿السؤال الثالث﴾ قال اغضال قوله (فلا اتحمم العقبة) أى هلا أغضى ماله بما فيه اتحمم العقبة ؟ وأما قانون بنهم أجروا فمضط على ظاهره وهو الإخبار بأنه ما اتحمم العقبة ثم قال تعالى (وما أدراك ما العقبة) فلا بد من تقدير محذوف ، لأن العقبة لا تكون فك رقعة ، فالمراد وما أدراك ما اتحمم العقبة ، وهذا يقتضى لأمر التزام الدين .

بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والمقصود أن اقتحام العقبة هو ذلك أو الاستعانة، وفيه مسائل:

في المسألة الأولى : أنك مرفق بزبل المنع كقنك الغيد والقمل ، ولك الرغبة فرق بينها وبين صفة الفرق بإيجاب الحرية وإبطال العبودية ، ومنه لك الرحمن وهو إزالة خلق الرحمن ، وكل شيء أطننت فقد عكسته ، ومنه لك المكتاب ، قال المصنف : فكما يفكها فكلا بتدريج الفارق والمصادق ولا تغفل بكسرهما ، وبالحال كانت عادة العرب في الأسارى شد رقابهم وأيديهم بخرى ذلك فميم وإن لم يبدد ، ثم سمي إطلاق الأسير فكلا ، قال الأختل :

ابن كليب إن عمي الظفا فلما مالوك وفككتك الأغلال

المسألة الثانية: عليك الرغبة قد يكون بأن يمتنع الرجل رغبة من الرق، وقد يكون بأن يمتنع

أَوْ اطْعَمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٩﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٢٠﴾

مكافأة ما يصره إلى جهة فسلك نفسه ، روى الترمذي بن عازب ، قال وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ذنب على عمل يدعي إلى الجنة ، قال عني الصدقة وفك الرقبة قال يا رسول الله أو ليس واحدكم ذل لا عني السمعة أن تنفرد بعقبتها ، وفك الرقبة ، أن تدفن في ثيابها وفيه وجه آخر وهو أن يكون المراد أن يفك المرء رقبته نفسه بما يشكاه من العبادات التي يصر بها إلى الجنة فهي الحرية الكبرى ، ويتخلص بها من النار .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قرئ : (فلك رقبة) أو إطعام ، والتقدير هي فلك رقبة أو إطعام وقرأ : (فلك رقبة أو إطعام) على الإبدال من اتعهم الصدقة . وقوله (وما أدراك ما المسغبة) اعتراض ، قال الفراء : وهو أشبه الوجهين يصبح العربية لقوله (ثم كان) لأن فك وإطعم فعل ، وقوته كان فعل ، وينبغي أن يكون الذي يعطف عليه الفعل فعلا ، أما لو قيل : ثم إن كان (١) كان ذلك مناسبا لقوله (فلك رقبة) بالرفع لأنه يكون عطفاً للاسم على الاسم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ عند أبي حنيفة العتق أفضل أنواع الصدقات ، وعند صاحب الصدقة أفضل ، والآية أدل على قول أبي حنيفة ، تقدم العتق على تصدقة فيها .

قوله تعالى : ﴿ أو اطعم في يوم ذي مسغبة ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ يقال سغب سغاباً إذا جاع وهو ساقب ومنبان ، قال صاحب التكميل : المسغبة والغربة والمنزلة مخلات من سغب إذا جاع وقرب في السغب ، يقال فلان ذو قرابي وذو مقربي وترب إذا انفقر وسماه الصدق بالقراب ، ولما أنزب فاستغنى ، أي صار ذامال كالترباب في الشكيرة ، قال الواحدي : المنزلة مصدر من قولهم ترب ترباً ومقربة مثل مسغبة إذا انفقر حتى لصق بالتراب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ حاصل القول في تفسير (يوم ذي مسغبة) ما غاله الحسن وهو ندم يوم محروص فيه على الطعام ، قال أبو علي : وسماه ما يقول التجوون في قولهم : نيل نائم وهزار صائم أي ذو غرم ومصرم .

وإعلم أن إخراج المسأل في وقت النقص والضرورة أغنى عن النقص والوجوب للأجر ، وهو كقولهم (وآف الدال على سبه) وقال (ويضعون الطعام على حبه مسكناً) وقرأ الحسن (ذا مسغبة) نصبه إطعام ومناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة .

قوله تعالى : ﴿ يتيمًا ذامقربة ﴾ قال الزجاج ذامقربة قول زيد ذو قرابي وذو مقربي ، وزيد

(١) أو العتق (أو الكف) ومنه الآية القرآنية .

أَوْ مَسْكِينٌ ذَامئِرَةٌ ﴿١١﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا

بِالْمَرْحَةِ ﴿١٢﴾

قرايى فبح لأن القراءة مصدر ، قال مقاتل يعنى فيما بينه وبينه قراءة ، فقد اجتمع فيه حقان
بم وقراءة ، فأما ما أفضل ، وقيل يدخل فيه القرب بالجرار ، كما يدخل فيه القرب بالنسب .

أما قوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذامئرة ﴾ أى مسكيناً قد لعن بالتراب من فقره وضره ، فليس
قوله ما يستره ولا تحه ما يورثه ، روى أن نبر عباس مر بمسكين لاصق بالتراب فقال : هذا الذى
قال الله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذامئرة ﴾ واحتج الشافعى بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث
يملك شيئاً ، لأنه لو كان لفظ المسكين دليلاً على أنه لا يملك شيئاً البتة ، لكان تنبيده بقوله (ذامئرة)
شكراً وهو غير جائز .

أما قوله تعالى ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ أى كان مفتحم العقبة من الذين آمنوا ، فإنه إن
لم يكن منهم لم ينتفع بشئ من هذه الطاعات ، ولا مقبلاً للعقبة (فان قيل) لما كان الإيمان
شرطاً لتأدية هذه الطاعات وجب كونه مقدماً عليها ، فما شيب في أن الله تعالى أخره عنها بقوله
(ثم كان من الذين آمنوا) ؟ (والجواب) من وجوه (أحدها) أن هذا الترخى في الذكر لا في
الوجود ، كقوله :

إِن مِّن سَاحِدٍ مِّن سَاحِدٍ لَّوِءٌ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدٌ

لم يرد بقوله ، ثم ساد لواء التأخر في الوجود ، وإزاء المعنى ، ثم اذكر أنه ساد لواء ، كذالك في
الآية (أو ثانياً) أن يكون المراد ، ثم كان في عاقبة الأمر من الذين آمنوا وهو أن يموت على الإيمان فإن
الموت شرط لانقضاء الطاعات (وثالثاً) أن من أتى هذه القرب قريباً إلى الله تعالى قبل إيمانه جمع
﴿ ثم آمن بعد ذلك ﴾ بحمد عليه الصلاة والسلام ، فشد بعضهم أنه يتأب على تلك الطاعات ، قالوا
ويدل عليه ما روى أن حكيم بن حزام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نأتى
بأعمالنا الخيرة في الجاهلية فهل لها من شئ ؟ فقال عليه السلام أسألت على ما قدمت من الخير
(ورابعاً) أن المراد من قوله (ثم كان من الذين آمنوا) تراخى الإيمان وتباعد في الرتبة
والفضيلة عن الفتن والصدقة لأن درجة ثواب الإيمان أعظم بكثير من درجة ثواب سائر الأعمال .

أما قوله تعالى ﴿ وتووصوا بالصبر والمرحمة ﴾ فلفظي أنه كان يوصى بعضهم ببعضاً
بالصبر على الإيمان والتأب عليه أمر الصبر على المعاصى وعلى الطاعات والمعن التى يتلى بها المؤمن
ثم صم إليه التواضع بالمرحمة وهو أن يحث بعضهم بعضاً على أن يرحم المظلوم أو الحقير ، أو يرحم
المقدم على منكر فينبذه منه لأن كل ذلك داخل في الرحمة ، وهذا يدل على أنه يجب على المؤمن أن

(٩١) سُوْرَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ وَأَمَّا هِيَ خَمْسٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَنُجُجَهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ②

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الشمس ونججها والقمر إذا تلاها ﴾ قبل الخوض في التفسير لابد من مسائل :
 ﴿ المسألة الأولى ﴾ المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي .
 واعلم أنه تعالى يبه عباده دائماً بأن يذكر في انفسهم أنواع مخلوقاته المنعمه للناسع المنظمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها ، لأن الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب ، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قد عرفت أن جماعه من أهل الأصول قالوا : انشيد رب الشمس ورب
 سائر ما ذكره إلى تمام القسم ، واستج قوم على بطلان هذا المذهب ، فقالوا إن في جملة هذا القسم
 قوله (والسماء وما بناها) وذلك هو الله تعالى فيلزم أن لا يكون المراد ، ورب السماء وربها
 وذلك كالمبتدأ ، أجاب القاضي عنه بأن قوله (وما بناها) لا يجوز أن يكون المراد منه هو الله
 تعالى ، لأن ما لا تستعمل في عائق السبأ إلا على ضرب من المجاز . ولأنه لا يجوز منه تعالى أن يقدم
 قدمه بنيره على قسمه بنفسه . ولأنه تعالى لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه ، فإذا لابد من
 التأويل وهو أن (ما) مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير : والسماء وما بناها ، اعترض صاحب
 الكشف عليه فقال لو كان الأمر على هذا الوجه لزم من عطف قوله (ما علمها) عليه فساد النظم .
 ﴿ المسألة الثالثة ﴾ القراء مختلفون في فواصل هذه السورة وما أشبهها نحو (والليل إذا برش) ،
 والصبح والليل إذا برش ، وهاتورة بالإمالة ونارة بالتفخيم ونارة بعضها بالإمالة وبعضها بالتفخيم ،
 قال القراء : يكسر ضحاها ، والآيات التي بعدها وإن كان أصل بعضها الرواوي نحو : تلاها ، وطلحها
 ودسها ، فكذلك أيضاً . فنه لما ابتدئت السورة بحرف الياء أتبعها بما هو من الواو لأن
 الآلف المتغلبة عن الواو قد توافقت المتغلبة عن الياء ، ألا ترى أن تلوت وطلحت ونحوهما
 قد يجوز في أصلها أن تغلب إلى الياء نحو : نلى ودسى ، فلما حصلت هذه المرافقة استجازوا إماتة

كما استجازوا إمالة ما كان من اليا ، وأما ربه من ترك الإمالة مطلقاً فهو أن كثيراً من لغويي العرب لا يملون هذه الألفات ولا يحرّون فيها نحو اليا ، ويقولون ترك الإمالة للألف أن أنوار في مومس منقبة عن اليا ، واليا في مولات وميزان منقبة عن أنوار . ولم يلزم من ذلك أن يحصل فيه ما يدل على ذلك الاختلاف ، فكذلك هنا ينبغي أن يترك الألف غير عمالة ولا ينحى بها نحو اليا ، وأما إمالة البعض وترك إمالة البعض كما فعله حمزة وخس أيضاً ، وذلك لأن الألف إذا تعال نحو اليا . فندل على اليا إذا كان انقلاباً عن اليا ولم يكن في نلها وطعها ودعها ألف منقبة عن اليا إنما هي منقبة عن أنوار ثلاثاً فلو ت ودحوت .

المسألة الرابعة : أن الله تعالى قد أقدم بمبدء أشياء إلى قوله (قد ألقاهم) وهو جواب القسم ، قال الزجاج : الذي أقدم ، لكن اللام حذف لأن الكلام طال فصار طوله مجزئاً منها . قوله تعالى (والشمس وضحاها) ذكر المفسرون في ضحاها ثلاثة أقوال ، قال مجاهد والسكبي ضوؤها ، وقال قتادة هو تباركها ، وهو اختيار الهراء وابن خزيمة ، وقال مقاتل هو حر الشمس ، وتقرير ذلك بحسب اللغة أن يقول ، قال الليث : الضحى ارتفع النهار ، والضحي غريق ذلك ، والضحا محدوداً عند النهار ، وقرب أن ينصف . وقال أبو الخيثم : الضحى نقبض الظل وهو نور الشمس على وجه الأرض وأصله الضحى . فاستدلوا بالياء مع سكنون الحاء فقلوها وقالوا ضح . فالضحى هو حر الشمس ونورها ثم صي به الوقت الذي تشرق فيه الشمس على ما في قوله تعالى (إلا عشية أو ضحاها) فمن قال من المفسرين في ضحاها ضوؤها فهو على الأصح ، وكذا من قال هو التبارك ، لأن جميع النهار هو من نور الشمس ، ومن قال في الضحى إنه حر الشمس فكان حرماً ومورحاً مثلاً زمان ، فمن اشتد حرها فقد اشتد ضوؤها وبالعكس . وهذا أصعب الأقوال . وأعم أنه تعالى إنما أنسم بالشمس وضحاها لكثرة ما قدان بها من المنافع ، فإن أهل العلم كانوا كالأموات في الليل ، فلما ظهر أثر الصباح في المشرق صار ذلك كالصور الذي يضيئ قوة الحياة ، وسارت الإلوات أحياناً . ولا تزال تلك الحياض في الازدياد والقوة والتكامل ، ويكون غاية كمالها وقت الضحوة ، فذهت الحالة تشبه أحوال القيامة . ووقت الضحى يشبه استقراء أهل الجنة فيها ، وقوته (وانفهم إذا نلها) قال الليث : نلأ يتلو إذا تبع شيئاً وفي كوف القصر قالياً وجود (أهدأ) بقلة القمر طائناً عند غروب الشمس . وذلك إنما يكون في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس ، فإذا انقمر فيها في الإضاءة ، وهو قول عطاء عن ابن عباس (واللهما) أن الشمس إذا غربت فالقمر يذهبها ليلة الهلال في الغروب ، وهو قول قتادة والسكبي (واللهما) قال القمري المراد من هذا التلو هو أن القمر يأخذ الضوء من الشمس بنال فلان يبع فلاناً في كذا أي يأخذ منه (زور اللهما) قال الزجاج نلها حين استدار وكل ، فكانت يتلو الشمس في الضياء والنور يعني إذا كمل ضوؤه وهو كالقمر مقام الشمس في الإضاءة ، وذلك في الليالي

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا ② وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ① وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا ③

البيض (وغامض) أنه يظنهما في كثير الجرم بحسب المحس ، وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركة ، ولقد ظهر في علم النجوم أن بينهما من المناسبة ما ليس بين الشمس وبين غيرها .

قوله تعالى : ﴿ والنهار إذا جلتها ﴾ معنى التحلة الإظلم ، والكشف والضمير في جلتها إلى حاداً يعود ، فيه وجهان (أحدهما) وهو قول الزجاج أنه تأخذ إلى الشمس وذلك لأن النهار عبارة عن نور الشمس . فكذلك كان النهار أبجل ظهوراً كانت الشمس أحل ظهوراً ، لأن قوة الأثر وكأه تدل على قوة المؤثر . فكان النهار يبرز الشمس ويظهرها . كقوله تعالى (لا يعلمها لو أنها إلا هو) أي لا يفرحها (الثاني) وهو قول الجمهور . أنه تأخذ إلى الغائبة ، أو إلى الدنيا ، أو إلى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر . يقولون : أصبحت باردة يريدون الغدوة ، وأرسلت يريدون السماء .

قوله تعالى : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ يعني بغي الليل الشمس فيزيل ضوءها . وهذه الآية تحوى القول الأول في الآية ثنى قلوباً من وجهين (الأول) أنه لما جعل الليل يمشي الشمس ويزيل ضوءها حسن أن يقال الليل يجلها ، على ضد ما ذكر في الليل (والثاني) أن الضمير في يغشاها للشمس بخلاف ، فكذلك في جلتها يجب أن يكون للشمس حتى يكون الضمير في الفواصل من أول المودة إلى هنا قسمين ، قال أقصا : وهذه الأقسام الأربعة ليست إلا بالشمس في الحقيقة لكن بحسب أوصاف (أودى) (ألها) الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار . وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس والبشر . ومنها نوال العصر لما أخذوا الضوء عنها . ومنها تكامل طلوعها وبروزها حتى النهار . ومنها وجود خلاف ذلك بمعنى الليل ، ومن تأمل قليلاً في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله فيها أثر المصنوعة والمخوقة من المقدار المتناهي ، والتركيب من الأجزاء المنفردة إلى عظمة عائلها ، فسبحانه ما أعظم شأنه .

قوله تعالى : ﴿ والسماء وما بينها ﴾ فيه سؤالات :

(السؤال الأول) أن الذي ذكره صاحب الكشف من أن (ما) هي ناتو كانت مصدرية أكان صلت (فاعلمها) عنه بوجوب فاعداً ظم حتى ، والذي ذكره القاضي من أنه لو كان هذا ضمياً بمفاتيح السماء . 1. كان يجوز تأخير عن ذكر الشمس ، فهو إشكال جيد . والذي يحظر يقال في (الجهراب عنه) أن أعظم الحسوسات هو الشمس ، فذكرها سبحانه مع أوصافها الأربعة الدالة على عظمتها . ثم ذكر ذاته المقدمة بعد ذلك ووصفها بصفات الالفة وهي تدبره سبحانه سبحانه . والآرض والمرتبات ، ونحوه على المركبات بذكر أشرافها وهي الشمس ، والارض من هذا الترتيب هو أن يتوافق العقل والمحس على عظمة حرم الشمس ثم يحس العقل الساذج بالشمس ، بل بجميع السائر بالآرضيات والمركبات على إثبات حديها . لما لجئنا بحضرة العقل هذا بأدراك

وَالْأَرْضُ وَمَا طَعْنَهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾

جلال الله وعظمته على ما يلحق به . والنفس لا يبارعه فيه . فكان ذلك كالطريق إلى جذب العقل من حيزه من عالم المحسوسات إلى بياض عالم الزمكية . وبداء كبرياء الصمدية . فسيبان من عظمت حكمته وكلفت كآبته .

(الدوال الثالث) ما القائمة في قوله (والسواء ما بناها) ؟ (الجواب) أنه سبحانه لا يوصف بالشمس بالصفات الأربع الدالة على عظمتها . أتيمه ببيان ما يدل على حدودها وحدوث جميع الأجرام السماوية . فبه هذه الآيات على تلك الدلالة . وذلك لأن الشمس والسواء متناهية ، وكل متناه فإنه مختص بمقدار معين . مع أنه كان يجوز في العقل وجود ما هو أعظم منه ، وما هو أصغر منه . فخصائص الشمس وسائر السماويات بالمقدار المعين ، لا بد وأن يكون لتقدير مقدر وتقدير مقدر . وكان أن يأتي اليت يتيه بحسب مشيئته . فكيفما مدبر الشمس وسائر السماويات قدرها بحسب مشيئته . فقوله (وما بناها) كالنفي ، على هذه الدققة الدالة على حدوث الشمس وسائر السماويات .

(الدوال الثالث) لم قال (وما بناها) ولم يقل (ومن بناها) ؟ (الجواب) من وجهين (الأول) أن المراد هو الإشارة إلى الوصفية . كأنه قيل : والماء وذلك الشيء العظيم تقادير الذي بناها . ونفس والتحكم الباهر الخبوة الذي سواها (والثاني) أن ما أتت به في موضع من كقولها (ولا تسبحوها) ما نتج آثاركم من ذلك) والاعتناء على الأول .

(الدوال الرابع) لم ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الأشياء الثلاثة وهي السماء والأرض والنفس ؟ (والجواب) لأن الاستدلال على العائب لا يمكن إلا بالثناء ، والثناء ليس إلا العالم الجسماني وهو قربان بسيط ومركب . والسميع فسيان العلوية وإليه الإشارة بقوله (والسواء) والصفية وإليه الإشارة بقرنه (والأرض) والمركب هو أفسام . وأشرفها دوات الأرض وإليه الإشارة بقوله (ونفس وما سواها) .

قوله تعالى : ﴿ والأرض وما عليها ﴾ فبه مدلول :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إنما أخر هذا عن قوله (والسواء وما بناها) بقوله (والأرض وما عليها) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الأبي : تعلو كالدحوا وهو بسيط . ولإدال الفاء من الدال جاز ، والمفعول وسدما . قال عطاء وشكلى : يعلوها على النار .

قوله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها ﴾ إن معناه النفس على الجسد . فسويتها بتدبير أعضائها على ما ينمده علم أنشراح ، وإن حادها على القررة الدورية ، فسويتها بفضائها أغوى الكثيرة

فَأَنْزَلْنَاهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٥٠﴾

كالفرد السابعة والباصرة والخيلة والمفكرة والمذكورة ، على ما يشهد به علم النفس (١) فإن قيل لم ذكرت النفس ؟ قلنا فيه وجهان (أحدهما) أن يريد به نفساً خاصة من بين النفوس ، وهي النفس القدسية النبوية ، وذلك لأن كل كثره ، فلا بد فيها من واحد يكون هو الرئيس ، والمركبات جنس تحت أنواع ورثتها الحيوان ، والحيوان جنس تحت أنواع ورثتها الإنسان ، والإنسان أنواع وأصناف ورثتها التي ، والأصناف كالأكثر كثيرين ، فلا بد وأن يكون هناك واحد يكون هو الرئيس المطلق ، بقوله (ونفس) إشارة إلى تلك النفس التي هي رئيسة لعالم المركبات ربابة بالذات (الثاني) أن يريد بكل نفس ، ويكون المراد من التكثير "تكثير على الوجه المذكور في قوله (علقت نفس ما أحضرت) وذلك لأن الحيوان أنواع لا يهوى عددها إلا الله على ما قال بعد ذكر بعض الحيوانات (ويخلق ما لا تعلمون) ولكل نوع نفس مخصوصة متميزة عن سائرها بالفصل المقوم لماهيتها ، والخواص اللازمة لذلك الفصل ، فمن الذي يحيط عنه بالقليل من خواص نفس البقي والبعوض ، فضلاً عن التورغل في بحار أسرار الله سبحانه .

أما قوله تعالى : فأنزلها فجورها و تقوئها ، فالمنى المحصل فيه وجهان (الأول) أن نظام الفجور والتقوى ، (فأنزلها) (عطفها) ، وأن أسدوها حسن والآخر قبيح وبمكاتب من اختيار ما شاء منها ، وهو كقوله (وهديناه النجدين) وهذا تأويل مطابق لمذاهب المتأثرين ، قالوا وبذلك عليه قوله بعد ذلك (قد أنزل من ذكاهم ، وقد ساب من دسأهم) وهذا الوجه مروى عن ابن عباس وعن جمع من أكابر المفسرين (والوجه الثاني) أنه تعالى ألم المؤمن المتقي تقوياً وأعلم الكافر الجوراً ، قال سعيد بن جبير : أنزلها فجورها وتقوئها ، وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيق إياها للتقوى وخذلانه لإياها بالفجور ، واختار الزجاج والواحدى ذلك ، قال الواحدى التذمير والتعريف والتبيين ، غير والإلهام غير ، فإن الإلهام هو أن يوقعه في قلبه الهدى شيئاً ، وإذا أوقع في قلبه شيئاً فقد أنزلها . وأصل معنى الإلهام من قولهم : لهم لشيء ، والنعمه إذا أجلسه . وألهمه ذلك الشيء أي أبذنه ، وهذا هو الأصل ثم استعمل ذلك فيها بقوله الله تعالى في قلبه الهدى ، لأنه كالإبلاغ ، فالفسير الموافق لهذا الأصل قول ابن زيد ، وهو صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقوياً ، وفي الكافر فجوراً ، وأما التذكير بقوله (قد أنزل من ذكاهم) فتدبر لأن المروى عن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والباكي أن المعنى قد أفلحت وسعدت نفس ذكاهم الله تعالى بأصلها وطهرها ، والحق وفيها نصاعة ، هذا آخر كلام الواحدى وهو تمام . وأقول قد ذكرنا أن الآيات الثلاثة ذكرت البدلالة على كونه سبحانه مدبراً الأجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة ، فهذا لم يبق شيء مما في عالم المحسوسات إلا وقد بحث بقضى ذلك التذمير أنه واقع بتخييفه وتوبيخه ، حتى شيء .

(١) - علم النفس بها . ثم التفرع . لا علم نفس بل نفس الله مرة الأولى لأن الله تعالى يقول ما ذكره .

قَدْ أَطْلَعَ مِنْ ذِكْلِهَا ⑤ وَقَدْ حَاطَ مِنْ دَسْنِهَا ⑥

واسد يحتاج في الغالب أنه هل هو فضائه وقدره وهو الأفعال الحيوانية الاختيارية ، وفيه سبحانه قوله (فألهما فجورهما ونقاها) على أن ذلك أيضاً منه وبه وبفضائه وقدره ، وجبته ثبت أن كل ما سوى الله فهو واقع بفضائه وقدره . ودخل تحت إجماله وأمره . ثم الذي يدل على أن المراد من قوله (فألهما فجورهما ونقاها) هو الخذلان والتوقي ما ذكرنا مراراً أن الإفعال الاختيارية مرفوعة على حصول الاختيارات ، فصورها إن كان فاعل قد استغنى الحدث عن الفاعل ، وفيه تنصاع ، وإن كان عن فاعل هو العبد لزم التأسس ، وإن كان عن الله فهو المقصود ، وأيضاً المحرّب بمقتضى حقه فله وبما كل الإنسان غافلاً عن شيء ، فذبح ضرره في قلبه دفعة ، وبترتب على وقوع تلك الصورة في القلب بسبب إليه ، وبترتب على ذلك الجلب حركة الأعضاء وصمود الفعل ، وذلك يفيد القطع بأن المراد من قوله (فألهما) ما ذكرناه لا ما ذكره المدخلة . قوله تعالى : قد أطلع من ذكاهما فاعلم أن التوكية عبارة عن التظهير أو عن الإلقاء ، وفي الآية قولان (أحدهما) أنه قد أدرك مغايرته من ذي نفسه بأن طوره من الذوب بفعل الطاعة ومحابة المعصية (والثاني) قد أطلع من ذكاهما أنه ، وقيل المعنى هذا التأويل ، وقال المراد منه أن الله حكم بتركيبها وصنعها بذلك ، كما يقاس في العرف : إن فلاناً يرى فلانة ، ثم قال والاول أقرب ، لأن ذكر النفس قد تقدم ظاهراً ، فرد التضمير عليه أول من رده على ما عرفت في حكم المذكور لأنه مذكور .

واعلم أن ما قد دللنا بالبرهان القاطع أن المراد ، فألهما ما ذكرناه ، فوجب حل القدر عليه . وأما قوله أن هذا محمول على الحكم والتسمية فهو ضعيف ، لأن بدء الغيبيات على الشكوك . ثم إن مدلتك تلك نسك ما حكم الله به ينتج تغيره ، لأن تغير المحكوم به يستلزم تغير الحكم من الصدق إلى الكذب ، وتغير العلم إلى الجهل ، وذلك محال ، والمقصود إلى انحلال محال . أما قوله ذكر النفس قد تقدم ، فلما هذا بالمعكس أولى ، فإن أهل الحق انفردوا على أن عود الضمير إلى الأقرب أول من عوده إلى الأبعد . وقوله (فألهما) أقرب إلى قوله (ما) من إلى قوله (وأنفس) فسكان المرجح لما ذكرناه ، وما يؤكد هذا التأويل ما رواه أنس بن مالك ، في الحديث عن سعيد بن أنس هلال أنه عليه السلام كان إذا قرأ (قد أطلع من ذكاهما) وقف وقال : اللهم أنت نفسى فنزلها ، أنت وليا وأنت مولاهما ، وإن كرا أنت خير من ذكاهما .

قوله تعالى : قد غاب من دسها ⑥ فقالوا (دسها) أصله دس من التيسير ، وهو إخفاء الشيء عن الشيء . فأدلت إحدى الدليلات بما . فحصل دس دس ، كما أن أصله نفسي البازي تخضع البازي . وكما قالوا البت والأصل لبس ، وما في الأصل ملب ، ثم يقول : أما

كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴿١٦﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهُ ﴿١٧﴾

استغزته فذكروا، جرعا، نوافي قومهم (أحدهما) في أهل الصالح يظهر أن أنفسهم، وأهل النفس يجمعون أنفسهم وبسرورها في المراضع الخمرية، كما أن أجرا إذا عرِب يقولون الربا حتى تشهر أداكتهم ويقصد المخاصمون، ويوقنون البيران بالثبيل للطارقين، وأما النكاح فليس يجمعون أباكهم عن الطالين (والثاني) (حاش من دسها) أي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم (أو قالها) (من دسها) في الدخيل حتى يقدس فيها (رواهها) (من دسها) من دس في نفسه لدمور، وذلك حسب موطنة عايد وثبت مع أهلها (وخالفها) أن من أحرص عن الطاعات واشتغل بالعلمي صار حاملا من ركا منسيا، فصار كالشوة المدسوس في الاجتماع وانخرط، وأما النكاح فقولنا: الخمر ساءت ونسوت نفس أمة الله تعالى وأمرها وألحقها وأعطها والحكماء، هذه أمة الله في نفس (نداه) قال الكواشي رحمه الله: إنك إن سبحت أمة وأتصرف على ما على فلاح من الزرع وخسار من حدة حتى لا ينال أجدادك هو الذي يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها، فلهذه من غير من مقدور وهذا سابق.

قوله تعالى: ﴿١٦﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١٧﴾ قال الفراد الطبعين والظنوى مصدران، إلا أن الظنوى أشبه من الأيت فادخر الخلق، وهو كالمعنى من النعم، وفي التفسير وجهان: (أحدهما) أنها دلت على الكذب بضمها، كما تقول خالتي بجرانه على لغة قبائل، والمعنى أن طغيانهم جعلهم على التكذيب به بضمها، أقول المشير: (والثاني) أن الظنوى السر لادانهم الذي أهلكوا به، المعنى كذبت بضمها أي لم يصدقوا رسولهم فيها أنذرهم بمن العذاب، وهذا لا يبعد لأن معنى طغيانهم في الله لا ورع الغر ففساد دهرهم أن يسي العذاب الخبي حارهم شعري لأنه كان صبيحة ثم ورع لادانهم أهداه أو يكون التفسير كذبت بضمها أو عدت به من العذاب ذي الظنوى وبش على هذا الأثريل قوله تعالى: (كذبت ثمود وعاد كفيرة) أي بالعذاب الذي حل بها، ثم قال: (فأما ثمود فأهلكوا بالغصة) فسمى ما أهلكوا به من آداب طارئة.

قوله تعالى: ﴿١٧﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهُ ﴿١٨﴾ طالع، فكيف يقال فشت خلا، على الأثر فاشت له، والمعنى أنه كذبت ثمود بغير طغيانهم حين استأثروا وهو عفر الزاوة وفيه قولان (أحدهما) أنه خمس مئة وأربعة مئة من أمة، ويضرب به المثل يقال: إنهم من قدام، وهو أشقى الآدميين عذري وجور، الله صلى الله عليه وسلم (والثاني) بمرأى أن يكونوا جماعة، وبما جاء على لفظ الواحد أن يذكرك في أقوال المتصدين إذا أفضت بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنر، فنقول: هذا أن فصل الناس ومزلاذمهم، وهذا بنا كذبت بضمها (وكذا هو مقروء) وكان يجوز أن يقال أشقوها كما يقال أفاضهم.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَحُتِّمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذَّيْبِهِمْ فُسُوْنَهَا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ فيه مسائل :

﴿المسألة الأولى﴾ المراد من الرسول صالح عليه السلام (ناقة الله) أى أنه أشار إليه لما مررا بعقرها ولحقه ما عجزوا عليه ، وقال لهم هي (ناقة الله) وأثبت الناقة على ترجيده وعلى نبوتى ، فاحذروا أن تغرموا عليها يسوء ، واحذروا أيضاً أن تتبعوها من سقياها ، وقد بينا في مواضع من هذا الكتاب أنه كان فما شرب يوم ولحقه ولمواشيهم شرب يوم ، وكأوا يستخفرون بذلك في أمر مواشيهم ، فهموا بعقرها ، وكان صالح عليه السلام يحذرهم حالاً بعد حال من عذاب ينزل بهم إن أقدموا على ذلك ، وكانت هذه الحادثة منصورة في نفوسهم ، فاختصر على أن قال لهم (ناقة الله وسقياها) لأن هذه الإشارة كافية مع الأمور المتقدمة التى ذكرناها .

﴿المسألة الثانية﴾ (ناقة الله) نصب على التحذير ، كقولك الأسد الأسد ، ونهى النصى بإظهار ذمها وعقرها واحذروا سقياها ، فلا تتبعوها عما ، ولا تستأجروا بها عليها .

ثم بين تعالى أن الذم لم يقعها عن تكذيب صالح ، وعن عقر الناقة بسبب العذاب الذى أنشأه الله تعالى به ، وهو المراد بقوله ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ مجر مجر أن يكون المنكر للعقر واحداً وهو قدار ، يضاد الفعل إليه بالمشقة ، كما قال (قوله تعالى ذفر) ووصف الفعل إلى الخرافة (صام) من ذلك الواحد ، قال قتادة : ذكر لنا أنه أى أن يعقرها حتى ياتيه صغيرهم وكبيرهم وذكركم وأنثاهم ، وهو قول أكثر المفسرين ، وقال نمراد : قيل إنها كانت اثنين .

قوله تعالى : ﴿فَحُتِّمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذَّيْبِهِمْ فُسُوْنَهَا﴾ فاعلم أن فى الدمدمة رجوها (أدعها) قال الزجاج - معنى أدعها أطبق عليهم العذاب ، يقال دمدت على الشيء إذا أصبغت عليه ، ويقال ناقة مدومة : أى قد أشبهت الشجر ، فإذا كررت الإتيان قلت دمدت عليه ، قال الواحدى : الدم فى اللغة اللطخ ، ويقال لشجر السجين كأنه دمد بالدمع دماً ، لطعل الزجاج دمد من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكو وأباه ، فاعلم هذا معنى دمد عليهم ، أطلق عليهم العذاب وعهيم كالشيء الذى يطبخ به من جميع الجوانب (الوجه الثانى) تقول للشئ يذفر دمدت عليه ، أى سويت عليه ، فيجوز أن يكون معنى فددم عليهم ، ضوى عليهم الأرض لأنهم أهلكهم بعضهم تحت التراب (الوجه الثالث) قال أبو الأنبارى : دمد غضب ، والدمدمة الكلام الذى يزعج المرء (رابعاً) فددم عليهم أرجف الأرض بهم دله أغلب عن أبرز الأعرافى ، وهو قول نمراد ، أى قوبه (فساها) يحتمل وجهين - وذلك لأننا إن قدرنا الدمدمة بالإطباق والمسموم ، كان معنى (موسى)

وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا ﴿٥٠﴾

الدمعة عليهم ومهم بها ، وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلام ، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعاً ، فاستوت على صخورهم وكبيرهم ، وإن هزناها بالقنوية ، كان المراد غسوت عليهم الأرض .

قوله تعالى : ﴿ ولا يخاف عقابها ﴾ فيه وجوه (أولها) أنه كناية عن قرب تعالى إذ هو أقرب الله كوراث ، ثم اخلفوا فقال بعضهم لا يخاف ثيمة في العاقبة إذ القبي والمصيبة سواء ، كأنه بين أنه تعالى يفعل ذلك متى وكل ما فعل ما يكون حكمة وحذاً فإنه لا يخاف عاقبة فعله . وقال بعضهم ذكر ذلك لأعلى وجه التحقيق لكن على وجه التفسير لهذا الفعل ، أي هو أقرن من أن تخشى فيه عاقبة ، والله تعالى يحسن أن يوصف بذلك ، ومنهم من قال المراد من الآية على أنه بالغ في التعذيب ، فإن كل ملك يخشى عاقبة ، فإنه متى فعله لا يفلح . والله تعالى لما لم يخف شيئاً من العواقب ، لا جرم ما انتفى شيئاً (وثانيها) أنه كناية عن صالح الذي هو المرسل أي ولا يخاف صالح يحسى هذا العذاب الذي يزل بهم وذلك كالرد لتصره ودفع المكروه عنه . لو حاول محول أن يؤذبه لأجل ذلك (وثالثها) المراد أن ذلك الآتي الذي هو أجبر محمود . فيما أقدم من عقر الناقة (لا يخاف عقابها) وهذه الآية وإن كانت متأخرة لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم ، كأنه قال (إذ ثبت أشقاهما) ولا يخاف عقابها والمراد بذلك ، أنه أقدم على عقرها وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقره فصل مع هذا الخوف الشديد قبل من لا يخاف البتة ، فنسب في ذلك إلى الجهل والحق ، وفي قراءة النبي عليه السلام (ولم يخف) وفي مصاحف أهل المدينة والعمامة (فلا يخاف) والله أعلم . روى أن صالحاً لما وعدهم العذاب بسد ثلاث ، قال النعمة الذين عقروا الناقة . هلوا بلفظ صالحاً . فإن كان صادقاً فأنجلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً الخلفناه بناتنه . فأنوه ليبيته فدمعتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطلوا على أصحابهم أنوا منزل صالح ، فوجسوم قد دسحوا بالحجارة فقالوا للصالح أنت قتلتهم لم هموا به فقامت عشرين سنة ليسوا بالإصلاح وقالوا لهم والله لا نقدره قد وعدكم أن العذاب نازل بك في ثلاث ، فإن كان صادقاً زدتم ويحكم عليكم غضباً ، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون ، فأنصرفوا عنه تلك الغيلة فأمجدوا وجوههم مصفرة فأبقوا بالعذاب فطلبوا صالحاً فميتوا ، فهرب صالح ورجعاً إلى سيد بعض بطون ثمود وكان مشركاً فغيب عنهم فلم يقدروا عليه ثم شغلهم عنه ما زل بهم من العذاب ، فهذا هو قوله (ولا يخاف عقابها) والله أعلم . وصل الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سورة الليل مجيد وأيامها اخذني وعشرون

قال القفال رحمه الله : نزلت هذه السورة في أبي بكر ، وإخائه على المسلمين ، وفي أبيه من خلف وبخلة وكفره بالله ، إلا أنها وإن كانت كذلك لم تكن معانيها عامة للناس ، ألا ترى أن الله تعالى قال (إن سبعكم لشيء) . وقال (فأبذر نكحاً أراد نكحاً) ، وبروى عن علي عليه السلام أنه قال : وعرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فهدى رسول الله ﷺ ويحيى فهدىنا حوته فقال : ما منكم من أحد منكم إلا وقد علم الله مكانها من الجنة والنار ، قلنا يا رسول الله ! لا نكحل ؟ فقال لا تعلموا فكل من شاء فشا خلق له (ولما من أعلنى واثقى ومصدق بالحسن مسيسره بهيمى) فبان بهذا الطبع صوم هذه السورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ .

اعلم أنه تعالى أقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه وبسكن الخلق عن الاضطراب ويفتادهم النوم الذي جعله الله راحة لأبدانهم وغذاء لأرواحهم ، ثم أقدم بالليل إذا تجلَّى ، لأن النهار إذا جاء انكشف بصفوه ما كان في الدنيا من الغلبة ، وجاء الوقت الذي ينصرف فيه الناس لمعادهم وتحرك الطير من أوكارها وأفئدة من مكانها ، فلو كان الدهر كله ليلاً لهدم المداين ولو كان كله نهاراً لبطلت الراحة ، فكان المصلحة كانت في قفاها على ما قال سبحانه (وهو الذي جعل الليل والنهار حلقاً) . (وسخر لكم الليل والنهار) أما قوله (والليل إذا يغشى) فاعلم أنه تعالى لم يذكر مفعول يغشى ، فهو إذا شمس من قوله (والليل إذا يشتاع) وبما النهار من نوم (يغشى الليل والنهار) وإنما كل شيء يورثه بظلامه من قوله (إذا ذهب) وقوله (والنهار إذا تجلَّى) أي ظهر يزول ظلمة الليل ، أو ظهر وانكشف بطول الشمس .

قوله تعالى : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في تفسيره وجوه (أحدها) أي والنفاد العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد ، وقبلهما آدم وحواء (وثانيها) أي وخلقهم الذكر والأنثى (وثالثها) أي بمعنى من أي ومن خلق الذكر والأنثى ، أي والله خلق الذكر والأنثى .

إِنْ سَعَيْكُمْ لَثْنَى ① فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ② وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ③
فَسْتَبْسِرُهُمْ لِقَائِهِمْ ④ وَأَمَّا مَنْ يَحْسِلُ وَأَسْتَفَى ⑤ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑥
فَسْتَبْسِرُهُمْ لِلْعُسَى ⑦

﴿ المسألة الثانية ﴾ : قرأ النبي ﷺ (والذكر والاثني) وغر ابن مسعود (والذكر والثنى) وعن النكسائي (وما دنى الذكر والاثني) بالجر . ووجهه أن يكون معنى (وما دنى) أي وما حقه أنه أعلى ، أي محمول في الله ، ثم يحول الذكر والاثني بدلالة ، أي ويعبى الله الذكر والاثني . وجوز أيضاً اسم الله لأنه معلوم أنه لا حائل إلا هو .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ : تنقسم بالذكر والاثني بذلول القسم بجميع حوى الأذراع الذين هم أشرف المخلوقات ، لأن كل حيوان فهو إما ذكر أو أنثى والثنى فهو في عبادة لا بد وأن يكون إما ذكراً أو أنثى ، بدليل أنه لو حلف بالعلاق ، أنه لم يبق في هذا اليوم لا ذكر ولا أنثى . وكان قد اتفق على أنه يعتق في بيته .

قوله تعالى : ﴿ إن سعيكم لثنى ﴾ : هذا الجواب تقسيم . فأقسم تعالى بهذه الأشياء . أن أنعم عباده على أي علة في الجزاء وثنى جمع شئت مثل مرضى ومرض . وإنما قيل المختلف شتى . لتباين ما بين بعضه وبعضه . والثبات هو التباين والافتراق . فكأنه قيل إن علمكم لتباين بعضه من بعض ، لأن بعضه ضلال وبعضه هدى . وبعضه يوجب الجنان . وبعضه يوجب النيران . فثنان ما بينهما . وبقر من هذه الآية قوله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) وقوله (لئن كان مؤمناً كن كان فاسقاً لا يستويون) وقوله (أم حسب الذين أخرجوا من الدنياه أن يجعلهم كأولئك الذين آمنوا وعلوا الصلوات سوادهم وجههم سواد ما يحسبون) وقال (ولا الظل والمطر) قال المفسرون رأت هذه الآية في أبي بكر وأبي سفيان .

ثم إنه سبحانه بين معنى اختلاف الأحوال فيما قلناه من العادة المحمودة والمذمومة والتميز والعتاب . فقال ﴿ فأما من أعطى واتقى ، فسنبسره للحسنى . وأما من عصى واستفى ، فكذب بالحسنى ، فسنبسره للعسرى ﴾ .

وقوله أعطى وجوانه : (أحصاه) لأن يكون أفراد الثنائى المائل في جميع وجوه الخير من عنى الرقاب ذلك الأعداء وتقوية المسلمين على عدوهم كما كان يفعله أبو بكر سواء كان ذلك واجباً أو نقلاً . وإطلاق هذا الكلام في قوله (وما أرقام يفتقرون) فإن المراد منه كل ذلك إنفاقاً في سبيل الله سواء كان واجباً أو نقلاً . وقد مدح الله قوماً فقال (ويطمعون الطعام على

حب مكنتاً وربانياً وأسيراً) وقال في آخر هذه السورة (وسبحننا الأنتي ، الذي يؤتي مائة يذكي ،
 ربما لأحد عنده من نعمة تجزي ، (لا ابتداء وجه به الأنتي) ، (وثانها) أن قوله (أعطى)
 يأمر بإعطاء حقوق المساك وإعطاء حقوق النفس في طاعة الله تعالى ، يقال : فلان أعطى الطاعة
 وأعطى السعة وقوته (ورائي) فهو إشارة إلى الاعتزاز عن كل مالا يقبض ، وقد ذكرنا أنه هل من
 شرط كونه متقباً أن يكون محترماً عن السعائر أم لا في تفسير قوله تعالى (هدى الفتنين) وقوته
 (وصدق بالحسنى) فالحسنى فيها رجز (أحدها) أنها قول لا إله إلا الله ، والذي : طابا من أعطى
 ورائي وصدق بالوحيد والبدن حصلت له الحسنى ، وذلك لأنه لا ينفع مع التكبر إعطاء مال
 ولا اعتناء عارم ، وهو كقول (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) إلى قوله (ثم كان من الذين آمنوا)
 (وثانها) أن الحسنى عبارة عما مرده الله تعالى من العبادات على الأبدان وفي الأمور كإياه قبل
 أعطى في سبيل الله ورائي الحرام وصدق بالشرائع . فلو أنه تعالى لم ينزعهما إلا لما فيها
 من وجوه الإصلاح والحسن (وثانها) أن الحسنى هو الحلف الذي وعده الله في قوله (وما أنفقتم
 من شيء فهو يخلفه) والمضى : أعطى من ماله في طاعة الله بعدد ما وعده الله من الخلف
 الحسن ، وذلك أنه قال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) فكان الخلف لها ككن
 زائد أصبح إطلاقاً لفظ الحسنى عليه ، وعلى هذا المعنى (وكذب بالحسنى) أي لم يصدق
 بالخلف ، فيخل بآله لسوء طه بالمعبود ، كما قال بعضهم : منع الموحود . سوء حال بالمعبود .
 ويرى عن أبي البرداء أنه قال : ما من يوم غربت فيه الشمس إلا ومكث بنهران يسبحهما خلق
 الله كلهم إلا اثنين ، اللهم أعط كل منفق مثقاله وكل مدك ناعاً (ورايدها) أن الحسنى هو الشراب ،
 وقيل إنه الجنة ، والذي واحد ، قال قتادة صدق بوعود الله فعل ذلك الموعود . قال الفراء :
 وبالجنة أن الحسنى نفقة تسح كل خصلة حسنة . قال الله تعالى (قل هل نرضونكم بما لا [يهدى
 المحمدين]) يعني النصر أو الشهادة ، وقال تعالى (ومن يقترف حسنة زدناه فيها حسناً) فسمى
 مضاعفة الأجر حسنى . وقال (يؤدى الله الحسنى) .

وأما قوله ﴿ غنيمته للبسرى ﴾ ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في تفسير هذه اللفظة وجوه (أحدها) أنها أخت (وثانها) أنها الخبير
 وقالوا في البسرى أنها التبرك (وثانها) المراد به أن يسئل عليه كل ما كلف به من الأمان
 والتبرك ، والمراد من البسرى تصوير كل ذلك عليه (ورايدها) البسرى هو الدرد إلى الطاعة التي
 أتى بها أولاً ، فكانت قاله بيسره لأن يعود إلى الإعطاء في سبيل الله ، وقالوا في البسرى ضد
 ذلك أي بيسره لأن يعود إلى البخل والامتناع من أداء الحقوق المشايبة . قال الفراء ولكن هذه
 الوجوه مجاز من الامة . وذلك لأن الأفعال لا واجب . وكل ما أدت عاقبته إلى بئر راحة
 وأمور محمودة ، فإن ذلك من البسرى : وذلك وصح كل الطاعات ، وكل ما أدت عاقبته إلى عسر

وتعب فهو من اليسرى ، وذلك وصف كل المعاصي .

في المسألة الثانية في التأنيث في لفظ اليسرى ، ولفظ اليسرى فيه وجوه (أحدها) أن المراد من اليسرى واليسرى إن كان جماعة الأعمال ، فوجه التأنيث ظاهر ، وإن كان المراد عملاً واحداً أرجح التأنيث إلى الحقة أو الفعلية ، وعلى هذا من جعل يسرى هو تيسير الدود [هـ] إلى ما فعله الإنسان من الطاعة رجوع التأنيث إلى المرد [ز] ، وكأنه قال فسبحه للمرد [هـ] التي هي كذا (وثانيها) أن يكون مرجع التأنيث إلى الطريقة فكأنه قال للطريقة "يسرى" وليسرى (ولثالثها) أن العبادات أمور شاقة على البدن ، فإذا علم المكلف أنها تنعش إلى الحنة . جعلت تلك الإعمال الشاقة عليه ، بسبب توفيق اللجنة ، فيسمى أنه تعالى ألقته يسرى . ثم عطف حصول اليسرى في أداء الطاعات بهذه اليسرى وقوته (فسبحه لليسرى) . الضد من ذلك .

في المسألة الثالثة في معنى التيسير لليسرى واليسرى وجوه : وذلك لأن من فسر اليسرى بالجنة فسر التيسير لليسرى بإدخال الله تعالى (ياهم في الجنة بصولة وإكرام) ، على ما أخبر الله تعالى عنه جنوهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) (ورأه) (صم فادخلوها خالدين) وقوله (سلام عليكم) بما صدر بهم ففهم معنى الدار) وأما من فسر اليسرى بأعمال الخير فالتيسير لها هو تيسيرها على من أراد حتى لا يمتريه من الشغل ما يمتري المراتبين والمتقين من الكسل ، قال الله تعالى (ولها لكثرة على الخاشعين) وقال (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسلاً) وقال (ما كنتم إذا قبل لكم أخروا في سبيل الله أنافذة إلى الأرض) فكان التيسير هو التيسيط .

في المسألة الرابعة في استدلال الأصحاب بهذه الآية على صحة قواطع في الترتيب والحدولان ، فقالوا إن قوله تعالى (فسبحه لليسرى) يدل على أنه تعالى خص المؤمن بهذا الترتيب ، وهو أنه جعل الطاعة بالنية إليه أرجح من المنصية ، ورواه (فسبحه لليسرى) يدل على أنه خص الكافر بهذا الحدولان ، وهو أنه جعل المنصية بالنية إليه أرجح من الطاعة ، وإذا دلت الآية على حصول الرجحان لزم انقراض ما لا واسطة بين الفعل وتركه ، ومعلوم أن حال الاستواء يمنع الرجحان . فقال المرسوخة أولى الاستناع ، وإذا امتنع أحد الطرفين وجب حصول الطرف الآخر ضرورة أنه لا خروج عن مل في التيقض . أوجب الفضل رحمه الله عن وجه الحثك بالآية من وجوه (أحدها) أن تسمية أحد العندين باسم الآخر جائز مشهور ، قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلياً) وقال (فتشرهم بغلاب أليم) فلبسوا على الله فسل الإلطاف المذموم إلى الممانات تيسيراً ليسرى ، سمى تركه هذه الإلطاف تيسيراً لليسرى (وثانيها) أن يكون ذلك على جهة إضافة الفعل إلى السبب له دون الفاعل . كما قيل في الأصنام (رب إنهن أضلل كثيراً من العباد) (وثالثها) أن يكون ذلك على سبيل الحكمة والإخبار عنه (والجواب) عن الشكل أنه عدول عن الظاهر ، وذلك غير جائز . لأنها إنما أتت أن الظاهر من جانت متأكد بالدليل العقلي "قاطع" ثم

وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿٦٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿٦٧﴾

إن أصحابنا أكدوا ظاهر هذه الآية بما روى عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نفس مغفرة إلا وقد علم الله مكانها من الجنة والنار ، قلنا : أفلا ينكل ؟ قال : لا ، عملوا ففعل ما خلق له ، أجاب القائل عنه بأن الناس كلهم خلقوا ليعبدوا الله ، كما قال (وما خافت الجن والإنس (لا يعبدون) راعى أن هذا ضعيف لأنه عليه السلام (إنما ذكر هذا جواباً عن سؤالهم ، يعنى عملوا ففعل ما وافق معلوم الله ، وهذا يدل على قولنا أن ما قدره الله على العبد وعلمه منه فانه يتبع الخير والله أعلم .

﴿ المسئلة الخامسة ﴾ في دخول السين في قوله (فسدوده) وجوه (أحدها) أنه على حيل الزيف والتلطيف وهو من أقدم نعال قطع توبتين ، كما في قوله (أعبدوا ربكم) إلى قوله : لعلكم تنفون (ثانياً) أن يحصل ذلك على أن المطيع قد يصير عاصياً ، والعاصي قد يصير بالثبوت مطيعاً ، فهنا المدب كان التغيير فيه عكساً (وثالثاً) أن الثواب لما كان أكثره وأما في الآخرة ، وكان ذلك ما لم يأت وقته ، ولا يقف أحد على وقته إلا الله ، لا يجرم دخله تراخ ، فأدخلت السين لاجل حرف التراخي ليدل بذلك على أن الموعد أجل غير حاصر ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وما يعنى عنه ماله إذا تردى ﴾ فاعلم أن ما هنا يستعمل أن يكون استهماً بمعنى الإنكار ، ويحتمل أن يكون نفيًا . وأما (تردى) ففيه وجهان (الأول) أن يكون ذلك مأخوذاً من قولك : تردى من الجبل : قال الله تعالى (والمنزلة والطاعة) فيكون المعنى : تردى في الحفرة (إذا فبر ، أو تردى في فرجه) ، وتفسير الآية : إنما إذا بدراه للمعنى ، وهي النار تردى في جهنم ، فإذا يعنى عنه ماله الذي يخل به وتركه لو ارثه ، ولم يصعب منه إل آخرته ، التي هي موضع فقره وحاجته شيء ، كما قال (وانفسد جئتمونا فرادى كما خلفناكم أول مرة ونزكنكم ما عولناكم وراء ظهوركم) وقال (وزنه ما يقول ويأخذ فراداً) أي أن الذي ينفع الإنسان به هو ما يقدسه الإنسان من أعمال البر و إعطاء الأموال في حقهم ، دون المال الذي يتخلله على ورثته (الثاني) أن تردى فعل من الردى ، وهو الملاك جريد الموت .

قوله تعالى : ﴿ إن علينا للهدى ﴾ فاعلم أنه تعالى لما عرفهم أن سعيهم شئ في الدواب وبين ما للمحسن من اليسرى واليسرى ، ما عسى أن قد غشى ما عليه من اليأس والدلالة والترغيب والترهيب والإرشاد والهداية فقال (إن علينا للهدى) أي إن الذي يحب علينا في الحكمة إذا حاجتنا الخلق للعبادة أن نبين لهم وجه التعبد وشرح ما يكون المقصد به مطيعاً عما يكون به عاصياً . إن كذا (عما يغفلهم الله) وزعمهم وتوهمهم القوم المنيب ، فقد هذا ما كان

وَأَن لَّكَ لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۚ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٦

هذه واجبا علينا في الحكمة ، والمأمور احتجوا بهذه الآية على صحة مذهبهم في مسائل (إحدها) أنه تعالى أبلغ الأعداء وما كلف المكاف إلا ما في وسعه وطاقته ، فثبت أنه تعالى لا يكلف بما لا يطاق (وثانيها) أن كلمة على للرجوب ، فعدل على أنه قد يجب للعد على الله شي . (وثالثها) أنه لو لم يكن الصد مستغلا بالإيجاد لما كان في وضع الدلائل قائمة . راجوبة أصحابنا عن شي هذا . الوجوه مشهورة ، وذكر الواحدى رحمه الله عن الفراء قال الشئى : إن طلبا للهدى والإضلال . فترك الإضلال كما قال (سرايل تترككم الخ) وهى تى البحر والبرد . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، قال يريد أن يرشد أو يأنر إلى التمسك بباطنى ، وأخرج ابن عبد الله بن وهب عن ابن عباس قال ، قال الله تعالى هذا التأويل ما طعنوا قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز) فبين أن قصد السبيل على الله ، وأما جور السبيل فبين أنه ليس على الله ولا منه . واعلم أن الاستغناء قد بسى في الآية .

قوله تعالى : ﴿وإن لنا الآخرة والأولى﴾ فيه وجهان (الأول) أن تنا كل ما في الدنيا والآخرة فليس بضر ، ترككم للاعتداه دائما ، ولا يريد في ما كنتم اعتدواكم . من يقع ذلك وضرة عائدان عليكم ولو شئنا فعداكم من الغد من غير أن أدلة الدنيا والآخرة وليكن لا يمتكم من هذا الوجه ، لأن هذا الوجه يعنى بالكف ، بل عنكم باليق والعرىف . وهو عدو الوعيد (الثانى) أن لما لك الدارين تعطى ما شاء من شاء ، فمصاب دعاءة الدارين حيا . والأول أوفق لقول المفسر ، والثانى أوفق لقولنا .

قوله تعالى : ﴿فأندرتكم نارا تالظى﴾ لا يضل إلا الأشقى ، الذى كذب وتولى ﴿تظلى أى توشد وتطلب وتوابع﴾ يقال تظلى النار تالظا . ومنه سميت جهنم تظلى . ثم بين أنها إن هى بقوله (لا يضل إلا الأشقى) قال ابن عباس : زلت فى أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا عمداً والابتداء لله ، وأما إن الأشقى يعنى الشقى كما يقال : لست قوماً لو جد أى بواحد . فالتقى لا يدخلها إلا الكافر الذى هرسق لأنه كذب بآيات الله . وتولى أى أعرض عن طاعة الله . واعلم أن المرجحة يتمسكون بهذه الآية فى أنه لا رعب إلا على الكفار . قال القاضي : ولا يمكن إخراج هذه الآية على ظاهرها ، ويدل على ذلك ثلاثة أوجه (أحدها) أنه يقتضى أن لا يدخل النار (إلا الأشقى الذى كذب وتولى) فوجب فى الكافر الذى لم يكذب ولم يقول أن لا يدخل النار (ثانيها) أن هذا إغراء بالمعاصى ، لأنه بمنزلة أن يقول الله تعالى : لمن صدق بالله ورسوله ولم

يكذب ولم يشؤ : أي منصبة أئمت عليها ، فل تترك ، وهذا يتجاوز حد الإغراء إلى أن تصير كالإباحة ، وتعالى الله عن ذلك (وثالثهم) أن قوله تعالى : من بعد (وسببها الآتي) يدل على ترك هذا الظاهر لأنه معلوم من حال الناسق ، أنه ليس بأنقي ، لأن ذلك صالحة في التقوى ، ومزير تركب عظام الكفار لا يوصف بأنه أنقي ، وإن كان الأول يدل على أن الناسق لا يدخل النار ، فهذا الثاني يدل على أن الناسق لا يحب النار ، وكل مكاتب لا يحب النار ، فلا بد وأن يكون من أهلها . ولما ثبت أنه لا بد من التأويل ، فنقول : فيه وجهان (الأول) أن يكون المراد بقوله (نارا ظلي) نارا محصورة من النيران ، لأنها دركات قوله تعالى (إن المشاقيق في الدرك الأسفل من النار) فالآية تدل على أن تلك النار المحصورة لا يصلحها سوى هذا الآشقي ، ولا تدل على أن الناسق وغيره من هنا صفة من الكفار لا يدخل سائر النيران (الثاني) أن المراد بقوله (نارا تامل) النيران أجمع ، ويكون المراد بقوله (لا يصلحها إلا الآشقي) أي هذا الآشقي ، أي ، وثبت هذه الزيادة في الاستثنائي غير حاصل إلا لهذا الآشقي . واعلم أن رجوع القاضي ضمنية .

وأما قوله (أولا) يلزم في غير هذا الكافر أن لا يدخل النار (لجرأه) أن كل كافر لا بد وأن يكون مكذبا لله في دعواه ، ويكون مثليا عن الشر في دلالة صدق ذلك النبي ، فيصدق عليه أنه أشقي من سائر المصنفين ، وأنه (كذبيح تولى) وإذا كان كل كافر داخلا في الآية سقط ما قاله القاضي . وأما قوله (ثانيا) إن هذا إغراء بالمعصية فضعف أيضا ، لأنه يمكن في الزجر عن المعصية حصول الخدم في الساجل وحصول غضب الله بمعنى أنه لا يكرمه ولا يظلمه ولا يقطع الثواب ، والله يظلمه بطريق آخر ، فلم يدل دليل على انحصار طريق التعذيب في إدخال النار .

وأما قوله (ثالثا) (وسببها الآتي) فهذا لا يدل على حال غير الآتي إلا على حيلتي انقهرهم ، والناسك بدليل الخطاب وهو يتكرر ذلك فكيف تمسك به ؟ والذي يؤكد هذا أن هذا يقتضي ليس بأنقي دخول النار ، فإلزم في الصديق والمؤمنين أن يدخلوا النار وذلك باطل . وأما قوله (رابعا) المراد منه أن محصورة ، وهي النار التي تلتقي بضعف أيضا ، لأن قوله (نارا ظلي) يحتمل أن يكون ذلك صفة لكل النيران ، وأن يكون صفة النار محصورة ، لكنه تعالى وصف كل نار بهذه الصفة في آية أخرى ، فقال (كلا إنما الظلم للذين ظلموا)

وأما قوله : انفراد إن هذا الآشقي أحق به بضعف لأنه ترك لظاهر من غير دليل ، فثبت ضعف تجرؤه الذي ذكره القاضي ، فإن قيل فما الجواب عنه على قولكم ، فأنكم لا تطعمون منهم وعيد الغنائم ؟ (الجواب) من وجهين : (الأول) ما ذكره الواحدي وهو أن معنى (لا يصلحها) لا يلزم في حقيقة الآفة ، يقال صلى الكافر النار إذا لم يمتها مائيا شتت حرها ، وبعد أن هذه الملازمة لا تثبت إلا للكفار ، أما المشاقيق وإذا لم لا يدخلها أو إن دخلها فخلص منها (الثاني) أن بعض عموم هذا الظاهر بالإيات الدالة على وعيد المشاقيق ، وأنه أعلم .

وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقُ ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ

نِعْمَةٍ يُحْزَى ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وسيجزيها الآتي ﴾ الذي يؤتي ماله يزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴿ يعني سيجزيها إلى ما يستحقه من ماله ﴾ جازي حاب يقال جيزته الشيء أي بعينه وجزمه عنه ، وفيه مسألتان :
 ﴿ المسألة الأولى ﴾ : أجمع المفسرون مذا على أن المراد منه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، وأعلم أن الشيعة يأثمهم بتكرير هذه الرواية ، ويقولون ﴿ إنما تضمن في حق علي بن أبي طالب عليه السلام والدليل عليه قول تعالى ﴿ يؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ فقوله ﴿ الآتي ﴾ الذي يؤتي ماله يزكى ﴿ إشارة إلى ماله الآية من قوله ﴿ يؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ وإذا ذكر ذلك بعضهم في محضرى قلت : أجم الدلالة القوية على أن المراد من هذه الآية أبو بكر وتفرعها : أن المراد من هذا الآتي هو أفضل الخلق ، فإذا كان كذلك ، وجب أن يكون المراد هو أبو بكر ، فهاتان المقدتان في اختصاص المقصود ، إنما هما من المراد من هذا الآتي أفضل الخلق لقوله تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، والأكرم هو الأفضل - فمن على أن كل من كان آتياً ، وذلك لا يقتضي أن كل من كان آتياً كرم ، فكذا وصف كرم الإنسان آتياً ، بل هو مشاهد ، ووصف كرمه أفضل غير مدلول ولا مشاهد ، والإخبار عن المعلوم بغير المعلوم هو تعلق الحسن ، أما عكسه بغير مفيد ، فتصريح الآية كأنه وقعت الشبهة في أن الأكرم عند الله من هو ؟ فقبل ظهر الآتي ، وإذا كان كذلك كان التقدير أتمكم أكرمكم عند الله ، ثبت أن الآتي الله كرمهمنا لابد وأن يكون أفضل الخلق عند الله ، فنقول : لابد وأن يكون المراد به أبو بكر لأن الآية تحتم على أن أفضل الخلق بعد رسول الله ، إما أبو بكر أو علي ، ولا يمكن من هذه الآية على علي بن أبي طالب ، فثبت حملها على أبي بكر ، وإنما قلنا أنه لا يمكن حملها على علي بن أبي طالب لأنه قال في صفة هذه الآتي ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ وهذا الوصف لا يصدق على علي بن أبي طالب ، لأنه كان في زبينة " النبي ﷺ لأنه أخذه من أبيه وكان يطمسه ويصبه ، وبكسوه ، ويرببه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم عليه نعمة نجيب جرائها ، أما أبو بكر فلم يكن يطمسه عليه الصلاة والسلام عليه ذنوبية ، بل أبو بكر كان يقف على الرسول عليه السلام بل كان للرسول عليه السلام عليه نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين ، إلا أن هذا لا يجزى ، لقوله تعالى ﴿ ما أكرمكم عليه من أمر ﴾ والله كورهما ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى ، فثبت أن هذه الآية لا تصح على علي بن أبي طالب ، وإذا ثبت أن المراد بهذه الآية من كان أفضل الخلق ، ثبت أن ذلك الأفضل من الأمة ، إما أبو بكر أو علي ، وثبت أن الآية غير صالحة لكل من

﴿لَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (١٠٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (١٠١)

حمل على أبي بكر رضي الله عنه ، وثبت دلالة الآية أيضاً على أن الماتر أفضل الأمة ، ولما الرواية فمن أنه كان بلال [عبداً] لعبد الله بن جدعان ، فقلع على الإصنام بشكا إليه المشركون فضله ، فرمىهم ، ومات من الإبل ينحرونها لأهلهم ، فأخذوه وجعلوا يعذرونه في الرمضاء وهو يقول : أحد ، أحد ، فربه رسول الله ، وقال : ينبغي أحد ، أحد ، ثم أخبر رسول الله أن بكر أن بلال يعذب في الله ، فحمل أبو بكر رجلاً من ذهب فباعه به ، فقال المشركون ما من ذلك أبو بكر إلا أنه كانت بلال هذه ، فنزل (وما لأحد عنده من نعمة تجزي) إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، وقال ابن الأثير : وهو على الخبر : كان أبو بكر يشد في الضعفة من العبد ويستقيم ، فقال له أوره : يا بني لو كنت ابتاع من صنع ظهرك ، فقال : ما عظمى أريد ، فتركت هذه الآية .

المسألة الثانية : قال صاحب الكشف في محل (يزكي) وجهان : إن جعلت دلالة من يؤتي فلا حل له ، لأنه داخل في حكم الصلة ، والصلوات لا تؤتى غسلاً ، وإن جعلت حالاً من الضمير في (يؤتي) جعله العصب .

قوله تعالى : ﴿لَا ابْتِغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ، والمعروف بـ رضي : فيه مسائل :

المسألة الأولى : ﴿ابتغاء وجه ربه﴾ مسقون من غير حاشية وهو التمسك (أي مالا أحد عنده) بعبادة (الابتغاء وجه ربه) كقولك : في الدار أحد (إلا حراماً) ، وذكر الزمخشري وجه آخر وهو أن يصير الإغراق على تقدير : ما يوفق إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، كقوله (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) .

المسألة الثانية : قل أنه تعالى : ﴿لَا ابْتِغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ الذي يؤتي ماله يزكي (لا يؤتيه مكافأة على هدية أو نعمة ساعة ، لأن ذلك يجري مجرى أداء الدين ، فلا يكون له دخل في استحقاقه) يريد : لو أنما يستحق الثواب إذا فعله ، لأجل أن الله أمره به وحده عليه .

المسألة الثالثة : الحمد تسكروا بلفظة الوجه والمقدمة تسكروا بلفظة (وجه الأعلى) وإن ذلك يفتى وجوده بآخر ، وقد تقدم الكلام على كل ذلك .

المسألة الرابعة : ذكر الناصبي أبو بكر الباقلاني في كتاب الإمامة ، فقال : الآية الواردة حق على غاية السلام (إنا نطمعكم لوجه الله لا رب ستمكم جزاء ولا شكوراً) ، إنا نخاف من ربنا يوم عودكم فطرباً (والآية الواردة في حق أبي بكر : ﴿لَا ابْتِغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ، ولـ سوف يرضى) غداً لا يسأل على أن كل واحد منهما مأمور لوجه الله إلا الآية على نيل على أنه فعل ما فعل لوجه الله ، ونخوف مريوم الغيبة على ما قال : إنا نخاف من ربنا يوماً عموماً فطرباً ، وأما آية أن بكر فإنها دللت على أنه فعل ما فعل غرض وجه الله من غير أن يشوبه طمع فيما يرجع إلى رغبة في ثواب

أو ربه من عقاب ، فكان مقام أبي بكر أعلى وأجل .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ من الناس من قال : ابتغاه الله بمعنى ابتغاه ذاته وهي محال ، فلا بد وأن يكون المراد ابتغاه ثوابه وكرامته ، ومن الناس من قال لا حاجة إلى هذا الإفتقار ، ومقتضى هذه المسألة راجعة إلى أنه هل يمكن أن يجب العبد ذاته لله ، أو المراد من هذه المحبة ثوابه وكرامته ، وقد تقدم الكلام في هذه المسألة في تقدير قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) .

﴿ المسألة السادسة ﴾ فرأى يحيى بن وثاب (إلا ابتغاه وجهه) بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد (إلا حولاً) وأشد في الثنتين ، قوله :

وطلة ليس بها أبس إلا اليناثير وإلا العيس

أما قوله (وسوف يرضى) فالمعنى أنه وعد أن يرضى في الآخرة بثوابه ، وهو كقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم (وسوف يعطيك ربك فترضى) وفيه عندي وجه آخر ، وهو أن المراد أنه ما أفتق إلا اطلب رضوان الله . وسوف يرضى الله عنه ، وهذا عندي أضعف من الأول لأن رضاه عن عبده أكل قبيح من رضاه عن ربه ، وبالجملة فلا بد من حصول الأكرام على ما قال (راضية مرضة) والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

(٣) سُوْرَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ
وَرَأْسُهَا الْبَحْرُ عِشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا يَجَى ②

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ والضحى ﴾ والليل إذا جى ﴿ لأعل تفسير في قوله ﴾ (والضحى) وجهان : (أحدهما) أن المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتشرق شعاعها (وثانيها) الضحى هو النهار كله بدليل أنه جعل في مقالة الليل كله .

وأما قوله ﴾ (والليل إذا جى) فذكر أعل الله في (جى) ثلاثة أوجه متخاربة . سكن وأعلم وغلط (أما الأول) فقال أبو عبيد والبرد والواجب : جى أى سكن يقال ليلة ساجية أى ساكنة الأرج . وحين ساجية أى طارة الطرف . رجى فبحر إذا سكنت أمرأته ، وقال في الدعاء :

يا مالك أبحر إذا البحر جى

(وأما الثاني) وهو تفسير جى بأظم . فقال الفراء : جى أى أظم وركب في طونا .

(وأما الثالث) وهو تفسير جى بغطى . فقال الأصمعي وأن الأعرابي جى انقبل تعطلت النهار . مثل ما يجرى الرجل بالثوب . وأعلم أن أقوال المفسرين فيه خارجة عن هذه الوجوه الثلاثة . فقال ابن عباس : غطى الدنيا بالليل . وقال الحسن : أليس الناس خلافة . وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : إذا أظلم الليل غلب كل شيء . وقال مجاهد وقادة والسدي وابن زيد : سكن بالناس ولسكونه عيان (أحدهم) يكون الناس غائب إليه كما يقال ليل نائم ونهار حادثم (والثاني) هو أن يكونه عبارة عن استقرار خلافة واستمراره فلا يزداد مدد ذلك . وهو ما سألنا :

(السؤل الأول) ما الحكمة في أنه تعالى في السورة الماضية قدم ذكر الليل . وفي هذه السورة أخره ؟ قلنا : به وجوه (أحدها) أن بالليل والنهار ينظم صاخر الكافرين ، والميل له فضيلة السؤل لقوله (وجملي الليلات والنور) ونهار فضيلة النور . بل الليل كاللبنيا والنهار كالآخرة ، فلهذا كان لكل واحد فضيلة ليست للأخر . لا يجرم قدم هذا على ذلك تارة وذلك . على هذا أخرى

ونظيره أنه تعالى قدم السجود على الركوع في قوله (واسجد واركع) ثم قدم الركوع على السجود في قوله (اركعوا واسجدوا) (وثانيها) أنه تعالى قدم التيسل على الهمار في سورة أن بكر لأن أما بكر سبقه كفر ، وهما قدم الضحى لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ما سبقه تيب (وثالثها) سودة ونجبل سودة أن بكر ، وسورة قصص سورة عاب الصلاة والسلام ثم ما جعل بينهما واسطة ليعلم أنه لا واسطة بين محمد وأن بكر ، فإذا ذكرت نابل أولا وهو أبو بكر ، ثم حدثت رجعت بعده تنهار وهو محمد ، وإن ذكرت وتخصي أولا وهو محمد ، ثم تركت وجودت بعده ، والليل وهو أبي بكر ، ليعلم أنه لا واسطة بينهما .

(السؤال الثاني) ما الحكمة فيها في الخاف بالضحى والليل فقط ؟ (والجواب) لوجوه (أحدها) كأنه تعالى يقرئنا الزمان ساعة ، فداعة ساعة ليل ، وساعة نهار ، مجزئ ذواته تزداد ساعات الليل ونقص ساعات النهار ، وسورة العنكبوت فلا تتكون الزيادة غيري ولا نقصان لقصي . بل للحكمة ، كذا الرسالة وإخوان الرحي بحسب المصالح فترة إزال وسرة حبس ، فلاك الإزال عن هوى ، ولا كان الحبس عن قلى (وثانيها) أن العالم لا يؤثر كلامه حتى يحصل به ، فذا أمر الله تعالى بأن البيعة على الهدى واليمين على من أشكر ، لم يكن بد من أن يدل به ، فالكفار لما ادعوا أن ربهم وقته وغلا ، قال هاتوا الحجة ومجروا الزمة للبعين وأنه مألودته منه وما نلاه (وثانيها) كأنه تعالى يقول : انظروا إلى جوانب الليل مع أنها لا تبطل أحدهما عن الآخر بل الليل قارة يعلب وتارة ينقلب فتكيف فطعم أن أصل على الخفاق

(السؤال الثالث) لم يخص وقت الضحى بذلك كره ؟ (الجواب) فيه وجوه (أحدها) أنه وقت اجتماع الناس وكان الأتس بعد الاستنجاش في زمان الليل ، يشعرون أن بعد استيقاظك بسبب احتباس النوحى بظهر صحن نزل الوحي (وثانيها) أنها الساعة التي تكلم فيها موسى ربه ، وأتى فيها الحجره بحدراً ، فأكسى الزمان صفوة مائة مئة لكونه طرفة ، فكيف طالع الطاعة ؟ وأما أيضاً أن الذى أكرم موسى لا يدع لك كرامك ، والذى قاب طوس بالحجرة حتى سعدوا يقاب قلوب أعداك .

(السؤال الرابع) ما السبب في أنه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار ، وذكر الليل بكتبه ؟ (الجواب) فيه وجوه (أحدها) أنه إشارة إلى أن ساعة من نهار توافى جميع الظليل كأنهم محبوا إذا وزن يرفى جميع الأنبياء (والثاني) أن النهار وقت السرور والراحة ، والليل وقت الوحشة ونغم فهو إشارة إلى أن محرم الدنيا أديم من سرورها ، فإن الضحى ساعة والليل كذا ساعات ، يرى أن الله تعالى لما خلق العرش أطلس عمامة سوداء من يسارة ، وثلاث حاداً أسطراً ؟ فأجيب أن أسطرى المصوم والأحران مائة سنة ، ثم اكتشفت فأسرت مرة أخرى بذلك وهكذا إلى تمام ثلاثمائة سنة ، ثم بعد ذلك أطلس من بين العرش غمامة بيضاء ، وثابت : ماذا أسطراً ؟ فأجيب أن أسطرى سرور ساعة : فهذا السبب ترى انعموم والأحران دائماً ، والسرور غلباً

مَا وَدَّعْتَ رَبَّنَا وَمَا قَلَىٰ ﴿٥﴾

وَنَادُوا (وَنَادُوا) أَنْ وَدَّعَ النَّحْيَ وَفَتْ حَرَكَةُ النَّاسِ رَتَابَهُمْ فَصَارَتْ تَغْيِيرُ وَقْتِ الْحَشْرِ ، وَالْقَلَىٰ إِذَا سَكَنَ تَغْيِيرُ سَكُونِ النَّاسِ فِي ظِلِّ الْقُبُورِ ، فَكَلَامُهَا حَذْوٌ وَضْعُهُ لَكِنَّ التَّغْيِيلَ لِلْحَيَاةِ عَلَى الْمَوْتِ ، وَلَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ عَلَى مَا قَبْلَهُ ، فَهَذَا السَّبَبُ قَدَّمَ ذَكَرَ النَّحْيَ عَلَى ذِكْرِ الْقَلَى (وَرَأَيْتُمْ) ذَكَرُوا النَّحْيَ حَقًّا لَا بِحَصْلِ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِهِ ، ثُمَّ عَقِبَ بِالْقَلَى لِتَحْصِيلِ الْأَمْرِ مِنْ مَكْرِهِ .

(السؤال الخامس) هـ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْمَدْحُورِينَ فَرَضَ النَّحْيَ حُجَّةً وَمُحَرِّقًا بِشَعْرِهِ ؟ (وَالْجَوَابُ) هـ نَعَمْ وَلَا اِشْتِبَاهَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ زَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَالنَّحْيُ ذِكْرٌ أَهْلُ يَتَهُ وَالْقَلَى إِتَائِهِمْ ، وَبِحَصْلِ النَّحْيِ وَمَا قَبْلَهُ وَالْقَلَى إِذَا كَانَ اِشْتِبَاحُ الْوَحْيِ ، لِأَنَّ فِي حَالِ الْفُرُوقِ حَصَلَ الْاِسْتِمَاعُ فِي زَمَنِ الْاِحْتِيَاسِ حَصَلَ الْاِسْتِبْعَاشُ ، وَبِحَصْلِ النَّحْيِ تَوَرَّعَ عَلَيْهِ الَّذِي بِهِ يَعْرِفُ الْمَشْهُورُ مِنَ التَّعْيُوبِ : وَالْقَلَى عَفْوُهُ الَّذِي بِهِ يَسْتَرْجِعُ الْعُيُوبَ ، وَبِحَصْلِ أَنَّ النَّحْيَ إِقْبَالُ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ كَلَّ غَرِيبًا وَالْقَلَى إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَمُوْدٌ غَرِيبًا ، وَبِحَصْلِ وَالنَّحْيِ كَيْلُ الْعَقْلِ ، وَالْقَلَى حَالُ الْمَوْتِ ، وَبِحَصْلِ اَنْتَسَامِ بَعْدَ اَلْيَدِ اَلَّتِي لَا يَرَى عَلَيْهَا اَلْحَقْلَ عِبَادًا ، وَامْرُكُ اَلَّذِي لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ عَالَمُ الْعِيبِ عِبَادًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ فِيهِ سَائِلٌ :

﴿ السَّأَلَةُ الْأُولَى ﴾ قَالَ أَبُو عَيْدٍ : وَالدَّوْعُ تَرْكُكَ مِنْ التَّرَدُّعِ كَمَا يَدَّوْعُ الْفَاعُزُ ، وَفَرَى : اَلتَّخْفِيفُ أَيْ مَاتَرُكَ . وَالدَّوْعُ بَعْدَ بَعَادَةِ فِي الدَّوْعِ ، لِأَنَّ مِنْ وَدَّعَكَ مَعْرَافًا عَقْدَ الْبَلْغِ فِي تَرْكِكَ وَالْقَلَى الْبَعْضُ ، يَقَالُ غَلَا بَعْلَهُ فَيُرْمَى إِذَا اُنْقَضَ ، قَالَ الْفَرَّاءُ : يَرِيدُ وَمَا قَلَاكَ ، وَفِي ذَلِكَ اَلْكَافُ وَجُوهٌ (أَحَدُهُمْ) حَذَفَ اَلْكَافَ اَلْكَافُ اَلْكَافُ اَلْأُولَى فِي وَدَّعَكَ ، وَلِأَنَّ دَوَّسَ الْآيَاتِ بِالْأَلِفِ ، فَأَوْجِبَ اِتِّخَافَ الْفَرَاصِلِ حَذْفَ اَلْكَافِ (وَنَادُوا) مُبْدَأَةٌ لِإِطْلَاقِ اَلْمَعْنَى فَلَكَ وَلَا [عَلَا] أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَلَا أَحَدًا مِنْ أَوْلِيائِكَ إِلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ ، فَغَرِبَ اَلْعَوَاءُ وَالْمَدْحُ مِنْ أَصْحَابِكَ .

﴿ السَّأَلَةُ الثَّانِيَّةُ ﴾ قَالَ اَلْمُفَسِّرُونَ أَبْعَادُ حَمِيدٍ عَلَى اَلَّذِي مَضَى إِلَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ اَلْمُفَسِّرُ كَرُونَ قَدْ قَلَا اَللَّهُ وَوَدَّعَهُ . فَأَيُّ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ . وَقَالَ السُّدِّيُّ : أَبْعَادُ عَلَيْهِ اَلرَّبِّي لَيْتَهُ فَشَكَ ذَاكَ إِلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَتْ اَللَّهُ رَيْكَ اَنْتَ لَوْ اَتَلَاكَ ، وَفَرِحَ إِنْ أُمَّ حَبِيبًا أَمْرًا كَبِيرًا لَمْ يَلْبِ فَالْتِ لَهُ : وَاعْتَمَدَ اَلرَّأْيَ شَيْطَانِكَ وَلَا هَذَا تَرْكَكَ ، وَرَدَّوْهُ عَنْ اَلْحَقْلِ اَلَّذِي قَالَ أَبْعَادُ عَلَى اَلرَّسُولِ عَلَى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلْوَحْيَ ، فَقَالَ اَلْخَدِيجَةُ وَإِنْ دَرَيْتَ وَدَّعَنِي وَقَلَاكَ ، وَشَكَرَ رَأْيَهَا . فَقَالَتْ كَلَامُ اَلَّذِي بِذَلِكَ بِالْحَقِّ : اَلْأَبْعَادُ اَللَّهُ هَذِهِ اَلتَّكْرَارُ اَللَّهُ اَلْأَوَّلُ اَلَّذِي يَدَّوْعُ أَنْ يَتَّهَمَ اَللَّهُ ، وَدَرَى (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) وَضَعْنَ اَلْأَصُولِيُونَ فِي هَذِهِ اَلزُّوْرَاةِ . وَقَالُوا اَللَّهُ لَا يَلِيزُ اَلرَّسُولَ بِشَيْءٍ أَنْ يَبْلُغَ أَنَّ اَللَّهُ تَعَالَى وَدَّعَهُ وَقَلَاهُ ، وَلِأَنَّ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اَلَّذِي عَنِ اَلْمَوْتِ نَحْبُ حَاضِرٌ فِي حَكْمَةِ اَللَّهُ تَعَالَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ حَزْنَ اَلْوَحْيِ يَكُونُ بِحَسَبِ اَلْمُفَصَّلَةِ ، وَرَبِّ اَلْكَانِ اَلْمُصْلَاحِ تَأْخِيرُهُ ، وَرَبِّ مَا كَانَ حَلَالًا فَذَلِكَ : فَيَبْتَغِي أَنْ هَذَا

وَلَا أُخْرَىٰ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٠﴾

السلام خير لاني بالرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم إن صح ذلك جعل على أنه كان مقصودا عليه الصلاة والسلام أن يجرها ليصرف قدر جلها ، أو ليصرف الناس قدر عليها ، واختلوا في قدر مدد الانتفاع الموحى ، فقال ابن جرير اثنا عشر يوماً ، وقال الكلبي خمسة عشر يوماً ، وقال ابن عباس خمسة وعشرون يوماً ، وقال لبيد وبقائل أربعون يوماً ، واختلوا في سبب احتساب جبريل عليه السلام ، وذكر أكثر المفسرين أن ابنة اليهود سألت رسول الله ﷺ عن الروح وذي القرنين والصحف والكهف ، فقال : ما أخبركم فعدوا لم يقل إن شاء الله ، فاحتبس عنه الموحى ، وقال ابن زيد : السبب فيه كونه حرواً في بيته لشحنه والخيل . فلما نزل جبريل عليه السلام ، عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : وأما عليت فأما لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ، وقال جندب بن سميان تروى التي عليه الصلاة بخبري (صحة) ، فقال :

هل أنت إلا أصح حديث . وفي نسخة الله ما أتيت

وأبطل عنه الموحى ، ويرى أنه كان ميم من لا يقرأ الاظهار وهم اسوان .

(المسألة الأولى) الروايات التي ذكرتم يدل على أن احتباس الروح كان عبرة (قلنا) أنه ما في الباب من ذلك كان تركاً للأفضل والأولى ، وحاجته لا يكون تموتاً ولا مبعثاً ، ويرى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل : ما جئني حتى انتهت إليك ، فقال جبريل : كنت إليك أشرق ولكي عدا مأدود ، وثلاً (وما تقول إلا أمر بك) .

(المسألة الثانية) كيف يحسن من السلطان أن يقول لأعظم الملوك قوماً عنده : إني لا أبتغىك تشريعاً له ؟ (الجواب) أن ذلك لا يحسن انداد ، لكن الإعداد إذا التوا في الآلة أن السلطان يعضه ، ثم تأسف ذلك المقرب فلا اقتض أقرب إلى تشريفه من أن يقول له : إني لا أبتغىك ولا أدعك ، وسوف ترى من ذلك عتدي .

(المسألة الثالثة) هذه الواقعة تدل على أن تقرأ من عند الله ، إذ لو كان من عنده لما امتنع . قوله تعالى : ﴿ ولاخرة خير لك من الأولى ﴾

وأنتم أن في انصاته بما تقدم وجوعاً (أعده) أن يكون الذي أن انتفاع الموحى لا يجوز أن يكون لأنه غير من الشرة . إن أنهى معنى الباب . أن يكون ذلك لا يحصل الاستغناء عن آخره ، وذلك لما في الموت فكذلك قال انتفاع الموحى متى حصل دل على الموت . لكن الموت خير لك . إن مالك عند الله في الآخرة خير وأفضل مما لك في الدنيا (وأيها) لما نزل (ما عليك ريبك) حصل له هذا التشريف عظيم . فكأنه استنظم هذا التقدير في قيل له (ولاخرة خير لك من الأولى) أي هذا التشريف وإن كان شغلياً إلا أن مالك عند الله في الآخرة خير وأفضل (ونالها) ما يحظر

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٤﴾

يأى ، وهو أن يكون المفق والأحوال الآتية غير لك من المساعدة كأنه تعالى وحده بأنه سيزيد كل يوم عزاً إلى عز ، ومنصباً إلى منصب ، فيقول : لا تظن أنى فليك بلى تسكرون كل يوم يأتي فإن أزيدك منصباً وجلالاً ، وهذا سؤالان :

(السؤال الأول) بأى طريق يعرف أن الآخرة كانت له غيراً من الأول ؟ (الجواب) لوجوه (أحدها) كأنه تعالى يقول له لك في الدنيا على غير ذلك فعمل فيها ما يزيد ، ولكن الآخرة غير لك لأننا نفعل فيها ما يزيد (وثانيها) الآخرة غير لك بجمع عندك أنتك إذا أئمة له كالإرلااد فإن تعالى (وأزواجها ، بهائم) وهرب فم ، وأنه في الجنة فيكون كأن أرلااد في الجنة ، ثم سعى الولد فرة أمين ، حيث حكى عنهم (هب لنا من أزواجنا وزوجاتنا فرة أمين) (وثالثها) الآخرة غير لك لأنك اشتريتها ، أما هذه ليست لك ، فبلى تقدر أن لو كانت الآخرة أقل من الدنيا لكانت الآخرة خيراً لك ، لأن لو كان غير لك ما لا يكون علوكا لك ، فكيف ولا فائدة للآخرة إلى الدنيا في الفضل (ورابعها) الآخرة غير لك من الأول لأن في الدنيا الكفار يطغنون عليك أما في الآخرة فأجعل أمك شهما ، على الأمم ، وأجعلك شهوداً على الأنبياء ، ثم أجعل ذاتك شهوداً لك كائن ، (وكفى بالله شهوداً محمد رسول الله) (وخامسها) أن خيرات الدنيا بقله مشوية ، ولذات الآخرة كثيرة عاصمة دائمة .

(السؤال الثاني) لم قال (والآخرة غير لك) ولم يقل غير لك ؟ (الجواب) لأنه كان في جهته من كانت الآخرة شراً له ، ولو أنه سبحانه عم السكان كذباً ، ولو خصص الطغيين بالذكر لاقتضح الذين والمخالفون ، ولهذا السبب قال موسى عليه السلام (كلا إن منى ربى سيدين) وأما محمد ﷺ فالذى كان معه المساكن من أهل السعادة فعلاً ، لا جرم قال (إن الله متم) إذ لم يكن ثم (لا نرى) وصديق ، وروى أن موسى عليه السلام خرج للإقامة ، وبه الألف ثلاثة أيام فلم يجدوا الإجابة ، فسأل موسى عليه السلام عن السبب الموجب لعدم الإجابة ، فقال : لا أجيبكم ما دام معكم سبع مائة ، فسأل موسى من هو ؟ فقال : (إني) أيقنت فكيف أعمل عمله ، فامضت مدة فبيلة حتى نزل الوحي ، أن ذلك التمام قد مات ، وهذه جنات في هـ ، كذا قدس موسى عليه السلام إلى تلك الفضل ، فإذا فيها سبعون من الجنات ، فمنا ستره على أعدائه فكيف على أوليائه ، ثم تأمل فإن فيه دققة لطيفة ، وهي أنه عليه السلام قال (لو لا شيوخ ركب) وفيه إشارة إلى زيادة فضيلة هذه الأمة ، فإنه تعالى كان به الألف للذهب واحد ، وهذا يرحم المذنبين لطيف واحد .

قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ . وأعلم اتصالاً بما تقدم من وجهين (الأول) هو أنه تعالى لما بين أن الآخرة (جيرة من الأول) ولكنه لم يبين أن ذلك تنفارت إلى أى حد

يكون . فحين هذه الآية مفاد ذلك للتفاوت ، وهو أنه ينهى إلى غاية ما يستأنه الرسول ويرفضه (الوجه الثاني) كأنه تعالى لما قال (وللآخره خير لك من الأولى) فقبل ولم قلت إن الأمر كذلك ، فقال لأنه يعطيه كل ما يريد ، وذلك ما لا تنسخ الدنيا له . ثبت أن الآخرة خير له من الأولى ، واعلم أنه إن حملنا هذا الوعد على الآخرة فقد يمكن حمله على المانع ، وقد يمكن حمله على التعظيم ، أما المانع ، فقال ابن عباس : ألف قصر في الجنة من ثواب أبي بكر رضي الله عنه فيها ما يليق بها ، وأما التعظيم فالمراد عن علي بن أبي طالب عليه السلام وإن عارض ، أن هذا هو الشفاعة في الآخرة ، بروى أنه عليه السلام لما نزلت هذه الآية قال : لا أرضى وواحد من أمي في النار ، واعلم أن أهل علي الشفاعة ممن ، ويحل عليه وجوه (أحدها) أنه تعالى أمره في الدنيا بالاستغفار فقال (استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فأمره بالاستغفار والاستغفار عبارة عن طلب المغفرة ، ومن طلب شيئاً فلا شك أنه لا يريد الرد ولا يرضى به وإنما يرضى بالإجابة ، وإذا ثبت أن الذي يرسله الرسول صلى الله عليه وسلم هو الإجابة لا الرد ، ودان هذه الآية على أنه تعالى يعطيه كل ما يرضيه . علينا أن هذه الآية دالة على الشفاعة في حق المؤمنين (والثاني) وهو أن مقدمة الآية متناسبة لذلك كأنه تعالى يقول لا أودعك ولا أبغضك بل لا أغضب (والثالث) الأحاديث الكثيرة الواردة في شفاعة دالة على أن رضا الرسول عليه الصلاة والسلام في المقبول من المؤمنين ، وهذه الآية دالة على أنه تعالى يفعل كل ما يرضاه الرسول فيحصل من مجموع الآية والخبر حصول الشفاعة ، وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : رضا جدي أن لا يدخل النار واحد ، وعن ثابتر ، أهل القرآن يقولون : أرجى آية قوله (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) وأنا أهل البيت نقول أرجى آية قوله (ولعلكم يعطونك) والله إنما يشفاعة لمعطاه في أهل لاله إلا الله حتى يقول ربي ، هذا كل ، إذا حملنا الآية على أحوال الآخرة ، أما لو حملنا هذا الوعد على أحوال الدنيا فهو إشارة إلى ما أعطاه الله تعالى من الغفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجاً ، والتغلب على فريضة والتغلب وإجلالهم وبث صاكرهم وسراياه في بلاد العرب ، وما فتح على خفاته المرتدين في أقطار الأرض من المذنبين ، و [ما] عدم بأيديهم من تلك الجبارة ، وأنهم من كنوز الإكساسة ، وما نفذ في أهل الشرق والغرب من الرعب ونهييب الإسلام وفشو الدعوة ، واعلم أن أول حل الآية على خيرات الدنيا والآخرة ، وهما سؤالات :

(السؤال الأول) لم يقل يعطيك مع أن هذه السماعات حصلت للمؤمنين أيضاً ؟ (الجواب) لوجه : (أحدها) أنه المقصود هم أتباع (وثانيها) أن إذا أكرمتم أصحابك فذلك في الحقيقة (كرام الله) ، لأن أهل الله بلس في الشفقة عليهم إلى حيث تخرج بكرامهم فوق

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴿١﴾

ما امرح يا كرام أصلك . ومن ذلك حيث تقول الأيتام : نفسى نفسى : أى أبدأ بمنزلى وثوابى قبل أمى . لأن طاعنى كانت قبل طاعة أمى . وأنت تقول : أبنى أمى ، أى أبدأ بهم . فإن سرورى أنه أراهم هازين بتراسهم (وقالتم) أملك عائلتى مدافعة حسنة ، فإنهم حين شعروا بوجوهك . قلت اللهم اهد قوس أروهم لا يملكون . وعين شريك يوم الحندق عن الصلاة . قلت اللهم املأ بطونهم بآراء . فتعلمت الشجة الخاصة فى وجه حديثك . وما تحملت الشجة الخاصة فى وجه حديثك . فإن وجه الدين هو الصلاة . فريحت حتى على حديثك . لا جرم فضلك . فقلت من ترك الصلاة مئين . أو حبس غيره عن الصلاة مئين لا أكفره . ومن أذى شره من شعرك . أو جزم من نطقك أكفره .

(السؤال الثانى) ما العائدة فى قوله (ولسوف) ولم لم يقل : وسيعطيك ربك ؟ (الجواب) فيه فوائد (إحداهما) أنه يدل على أنه ما قرب أجله . بل يمشى بمقد ذلك زمناً . (وثانيها) أن المشركون لما قالوا : ودعه ربه وقلاه . والله تعالى رد عليهم . بين تلك النقطة . فقال (ما ودعك ربك وما قلى) ثم قال المشركون : سوف يورث محمد . فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

(السؤال الثالث) كيف يقول الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ؟ (الجواب) هذه السورة من ألوهيا إلى آخرها كلام جبريل عليه السلام معه . لأنه كان شديد الالتفات إلى آية وفى كلامه كما ذكرنا . طراد الله تعالى أن يكون هو الخطيب له بهذه الكلمات .

(السؤال الرابع) ما هذه اللام الداخلة على سوف ؟ (الجواب) قال صاحب التفسير : هو لام الابتداء لما ذكره تضمنت الجملة . والابتداء عذوق تقديره : ولأنت سوف يعطيك ربك . والدليل على ما قلنا أنها إما أن تكون لام التسم . أو لام الابتداء . ولأن الاسم لا تدخل على استتار (إلا مع نون التوكيد . ففى أن تكون لام ابتداء . ولأن الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر . فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر . وأن يكون أصله : ولأنت سوف يعطيك . ففى قول ما معنى أخم بين حرفى التوكيد والتأخير ؟ فلما مداه : أن الكلمة كلان لا محالة . وفى تأخر لما فى التأخير من المصلحة .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾ فيه مسائل :

١ المسألة الأولى : أن اتصاله بما تقدم هو أنه تعالى يقول (ألم يجدك يتيماً) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ انظر ﴾ كانت طاعتك فى ذلك أروع أكرام الساعة ؟ فلا بد من أن يقال فى الساعة فيقول الله : حين كنت عبداً ضعيفاً ما تركناك بل ربناك وربناك إلى حيث صرت . شرفاً على

شرقات العرش وقتلناك . لولاك ما خلقنا الأفلak ، أنظرن ما بعد هذه الحالة نهجك وتركتك .

﴿ المسئلة الثانية ﴾ (ألم يجعلك) من الوجود الذى يعنى السلم ، والمصوبان مقمولا وجود والوجود من الله ، وللهى ألم يجعلك الله فيها فأوى . وذكروا فى تفسير التيمم (أمرين) (الأول) أن عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره أهل الأخبار نزل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به ، ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة ، فولدت أمه آمنة وهو ابن ست سنين فكان مع جده ، ثم حلت جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين . وكان عبد المطلب يرضى أبا طالب به لأن جده الله وأبا طالب كانا من أم واحدة . فكان أبو طالب هو الذى يكفل رسول الله بعد جده إلى أن يمته الله النبوة ، فقام بصرفه مدة مديدة ، ثم توفي أبو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله يتم أبته فأذكره الله تعالى هذه النسبة . روى أنه قال أبو طالب يوماً لأخيه العباس : ألا أخبرك عن محمد بما رأيت منه ؟ فقال لي فقال إن كنت إلى فكيف لا تأخره ساعة من ليل ولا نهار . ولأننا نحن عليه أحداً حتى أتى كنت أنومه فى فراشى ، فأمته ابنة أن يخلع ثيابه ويثامعنى . فرأيت الكراهة فى وجهه ليكنه كره . أن يخالفنى ، وقال : يا أمه انصرفي بوجهك عنى حتى أخلع ثيابي إذ لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى حسدى . فتعجبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفرائش فلما دخلت معه الفرائش إذا بيني وبينه ثوب رقيق ما أدركت فراشي فإذا هو فى غلابة القين وطيب الرائحة كأنه غس فى المسك . لمجهت لا أنظر إلى جسده فما كنت أرى شيئاً وكثيراً ما كنت أمتعه من فراشي فإذا فت لا طلبة ناداني ما أنا يا نعم أفرجع . ولقد كنت كثيراً ما أسمع منه كلاماً يوجبني وذلك عند معنى التيسل وكما لا تسمى على الطعام والشراب ولا يحمده بدمه . وكان يقول فى أول الطعام : بسم الله الواحد . فإذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله . فتعجبت منه ، ثم لم أؤمته كذبة ولا ضحكا ولا بهاءة ولا وقف مع صبيان يلعبون .

واعلم أن المجانب المروية فى حقه من حديث يعزى الراهب وغيره مشهورة .

(التفسير الثانى للذييم) أنه من قولهم ذرة بذية . والمعنى ألم يجعلك واحداً فى قريش عديم الظاهر فأراك ؟ أى جعل لك من تأوى إليه وهو أبو طالب . وأوى مأوى على معنيين : إما من أواه بمعنى آواه . وإما من أوى له إذا رحمه ، وهما سؤالان :

(السؤال الأول) كيف يحسن من المجرى أن يمس نسمة ، فيقول (ألم يجعلك بذياً فأوى) ؟ والذى يؤكد هذا السؤال أن الله تعالى حكى عن فرعون أنه قال (ألم نراك نبياً أولياً فى مرض النام فرعون ، فكان مدموماً من فرعون كيف يحسن من الله ؟ (المطوب) أن ذلك يحسن إذا قصد بذلك أن يقرى قلبه ويبدد بدوام النسمة ، وهذا يظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون ، لأن امتنان فرعون محبط ، لأن الغرض فيما بالك لا لغرض . وامتنان الله بزيادة نسمة ، كأنه يقول : مالك تقطع عن رحاك ألست شرعت فى تربيتك ، أنظرنى فما كلاً ما صنعت . بل لا بد

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

وَأَنْ أَتَمِّمَ عَلَيْكَ وَعَلَى امْتِكِ النِّعْمَةَ ، كَمَا قَالَ (وَلا تَمِّمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْخَاطِلَ الَّتِي تَسْقُطُ الْوَلَدُ قَبْلَ التَّامِّ مَعِيَّةِ تَرُدُّ ، وَلَوْ أَسْقَطَتْ أَوْ الرَّجُلَ أَسْقَطَ عَنْهَا إِعْلَاجَ نَجَبِ الْفِرَةِ وَتَسْتَحِقُّ الْمَلَامَ ، فَكَيْفَ يَحْسِبُ ذَلِكَ مِنْ أَلْحَى الْقَبُورِ ، لَمْ أَضْمِ الْفَرْقَى بَيْنَ مَا نُوِثَ . وَبَيْنَ مَا نُوِثَ . وَظَنِّيهِ مَا خَالَهُ بِهِمْ (ثَلَاثَةً وَارْبَعِينَ كَلِمَةً) فِي تِلْكَ الْأَمَةِ ، وَفِي أَمَةِ مُحَمَّدٍ (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ وَارْبَعِينَ) فَتَسْتَأْنِ بَيْنَ أَمَةِ وَارْبَعِينَ كَلِمَةً ، وَبَيْنَ أَمَةِ وَارْبَعِينَ رَجُلًا .

(السُّؤَالُ الثَّانِي) أَمَهُ تَعَالَى مِنْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ . ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَذْكُرَ نِعْمَةً رَبِّهِ دَقَّاهُ وَجْهَ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ؟ (الْجَوَابُ) وَجْهَ الْمُنَاسِبَةِ أَنْ تَقُولَ تَعَالَى الْفَرْدَ وَاجِبَ ، ثُمَّ الْفَرْدَ تَوَحُّدَ مَالِي وَرَبِّي (وَالثَّانِي) أَفْرَى وَجُوبًا . لِأَنَّ الْمَالِي قَدْ يَسْقُطُ بِالْإِبْرَاءِ (وَالثَّانِي) بِمَا كُنْتُ بِالْإِبْرَاءِ ، وَالْمَالِي يَقْضِي مَرَّةً فَيَنْجُو الْإِنْسَانُ مِنْهُ (وَالثَّانِي) بِحَبِّ عَالِيكَ فَضَائِرُهُ طَوَّلَ عَمَلِكَ ، ثُمَّ إِذَا تَعَذَّرَ تَعَالَى النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ مَنِّهِ هُوَ عَمَلُكَ ، فَكَيْفَ حَالُ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ النِّعْمِ الْعَظِيمِ ، فَكَيْفَ قَبْدُ يَقُولُ : إِنْهُ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ بِشَرٍّ أَوْ بَرٍّ ، طَاهِرٌ فَطَاهِرٌ نَجِسٌ فَسَاطِلٌ ، بِشَارَةٌ مِنْكَ أَمْكَ أَسْرَ عَلَى ذَنْبِي بِشَرِّ عَمَلِكَ ، كَمَا سَمِعْتَ نَجَاسَتِي بِالْجُلَّةِ الظَّاهِرِ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ تَعَالَى نِعْمَتَكَ الَّتِي لَا حِدَ لَهَا وَلَا حَصْرَ ؟ يَقُولُ تَعَالَى الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ تَعْمَلَ فِي حَقِّ عِبْدِي مَا تَحِلُّ فِي حَقِّكَ ، كُنْتَ بِبَيْتِهَا فَآرَبْتِكَ فَافْعَلْ فِي حَقِّ الْإِبْتِمَامِ ذَلِكَ ، وَكُنْتَ ضَالًّا فَهَدَيْكَ فَافْعَلْ فِي حَقِّ عِبْدِي ذَلِكَ ، وَكُنْتَ (ضَالًّا) فَأُفْعَلْكَ فَافْعَلْ فِي حَقِّ عِبْدِي ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ فَعَلْتَ كُلَّ ذَلِكَ فَافْعَلْ ذَلِكَ نَحْسًا فَتَأْتِيكَ يَوْفَى لَكَ وَاطْعَى وَرَشَادِي ، فَكُنْ أَبَدًا ذَاكِرًا لِهَذِهِ النِّعْمِ وَالْإِطْلَافِ .

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . فَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الشَّاسِ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ كَارَأً فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ هَدَاهُ اللَّهُ وَجَدَهُ نَبِيًّا ، قَالَ الْكَلْبِيُّ (وَجَدَكَ ضَالًّا) بِمَنْ كَارَأً فِي قَوْمِ ضَلَالٍ لِهَدَايِكَ لِقَوْلِهِ ، وَقَالَ الْبَدِيُّ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقَالَ تَجَاهِدُ (وَجَدَكَ ضَالًّا) عَنْ الْيَهُودِيِّ لِهَدْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ عَلَى ذَلِكَ بِآيَاتٍ أُخْرَى مِنْهَا قَوْلُهُ (مَا كُنْتُ نَذِيرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) وَقَوْلُهُ (وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) وَقَوْلُهُ (إِنْ أَشْرَكَكَ لَيَجْعَلَنَّ عَمَلُكَ) هَذَا بِمَنْ هَدَى هَذِهِ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَإِذَا دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّصْبَةِ وَجِبَ حَقُّ قَوْلِهِ (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) عَلَيْهِ ، وَأَمَّا الْخُجُورُ مِنْ قَوْلِهِ فَقَدْ انْفَقَرُوا عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كُنْزَ بَابَهُ لِحَقِّقَةِ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ الْمُعْزِلَةُ هَذَا غَيْرُ جَائِزٍ عَقْلًا لِمَا فِيهِ مِنَ التَّنْفِيرِ ، وَعَدَّ أَهْلُهَا هَذَا غَيْرَ مَتَّبِعًا لِأَنَّهُ جَائِزٌ فِي الْقَوْلِ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَخَصَّصَ كَلِمًا فَيُرْزَقُ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَيَكْرَهُه بِالْبُورَةِ ، إِلَّا أَنَّ الْبَدِيَّ السَّمِيَّ قَامَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجَائِزُ لَمْ يَجْعَلْ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ثُمَّ ذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَجْهًا كَثِيرًا (أَحَدُهَا) مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَالْأَشْعَثِ وَشُعْبَةَ بْنِ حَوْشَبٍ (وَجَدَكَ ضَالًّا) عَنْ مَعَالِمِ النِّعْمَةِ

وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهذا إلهي ، وهو المراد من قوله (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) وقوله (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) . (وثانيها) مثل عز مرشدك حليلة جنة أرادت أن ترده إلى جده حتى دخلت إلى هبل وشكت ذلك إليه ففاضت الإصنام ، وصحت صوماً يقول : إنما هلاكنا بيد هذا الصبي ، وفي حكاية طويلة (وثالثها) ما روي مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال : ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع ، كاد الجوع يقتلي ، فوجدني الله ، وذكره الضحك ، وذكر نفسه بأستار السكينة . وقوله :

يا رب رد ودي محمداً لردده ربّي وأصطنع عندي بدأ

فإنزل برده هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهم على ناقة وبين يديه محمد وهو يقول : لا تدري ما ذا نري من إلهك ، فقال عبد المطلب ولم ؟ قال : إني أبحث ناقة وأركب من خفي فأبث الناقة إذ تنرم ، فلما أركبته أداني قامت الناقة ، كأن لسانه يقول يا أحمق هو الإمام فكيف يقوم خلف القندي ؟ وقال ابن عباس رده الله إلى جده بدعوه كما فعل موسى حين خفضه على يد بلعام (وراجه) أنه عليه السلام لما خرج مع غلام جويعة مبصرة أخذ كافر بزمام صبره حتى ضل ، فأنزل الله تعالى جبريل عليه السلام في صورة آدمي . فهداه إلى القاف ، وقيل إن أبا طالب خرج به إلى الشام ففصل عن الطريق فهداه الله تعالى (وغاسها) يقال ضل الماء في الثمن إذا صار مضموماً ، ففني الآية كسب مضموراً بين التكفير بمكة فذاك الله تعالى حتى طهرت دينه (وسادسها) العرب تسمى الشجرة الفريدة في الغلاة ضالة ، كما قال تعالى يقول كانت تلك الآلاء كالمغارة ليس فيها شجرة تحمل ثمرة الإيمان بقله ومعرفته إلا أنت ، فأنت : شجرة فريدة في مغارة الجهول فوجدتك ضالاً فهديت بك الخلق . ونظيره قوله عليه السلام : الحكمة ضالة المؤمن ، (وسابعها) ووجدك ضالاً عن سيرة الله تعالى حين كنت طفلاً صبيّاً ، كما قال (والله أخرجكم من بطن أمهاتكم لانهلون شيئاً) خلق بك العقل والهداية والمعرفة ، والمراد من الجهال الخلق عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطأ (وثانيها) كنت ضالاً عن النبوة ما كنت تطعم في ذلك ولا خطرتي . من ذلك في فليك ، فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تعلم فيها كنه (وثالثها) أنه قد يخاطب السيد ، ويكون المراد قرينه بقوله (ووجدك ضالاً) أي وجدك ضالاً ، فهداه لك ويترعك (رابعها) وجدك ضالاً عن الضائع مفرداً عنهم مجانباً لهم ، فكلما كان بعدك عنهم أشد كان ضلالهم أشد ، فهداك إلى أن اغتنطت بهم ودعوتهم إلى الدين المبين (الخادى عشر) وجدك ضالاً عن الهجرة ، متجراً في بد فريش ضائعاً غرائفهم وكان لا يمكنك الخروج بدون إذهابهم ، فلما أذن له ووافقه الصديق عليه ومعه إلى خيمة أم عبد ، وكان ما كان من حديث سراه : وظهور غمرة في الهدى كان ذلك المراد بقوله (فهدى) . (الثاني عشر) ضالاً عن القبلة ، فله كان يهتدى أن يجعل التكبيرة قبله له

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿١﴾

وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا ، جده أنه يقوله (فلو لك ذمة فتمناها) فكأنه سمى ذلك العير بالضلال (الثالث عشر) أنه حين ظهر له جبريل عليه السلام في أول أمره ما كان يعرف أمر جبريل أم لا ، وكان يخافه خوفاً شديداً ، وربما أراد أن يأتى نفسه من الجبل فجداه الله حتى عرف أنه جبريل عليه السلام (الرابع عشر) الضلال بمعنى الضلالة كما في قوله (إليك لي صلاتك أقدم) أي عذرك ، ومعناه أنك عذب هديتك إلى التراجع التي بها تنصرف إلى خدمة عبدك (الخامس عشر) ضالا عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ولعمري ما هم هديتك حتى رجعت تجارتك ، وعظم رحمت حتى رجعت هديجتك ، والأمين أنه ما كان لك رقوف على الدنيا ، وما كنت تعرف سوى الدين ، فهديتك إلى صالح الدنيا بعد ذلك (السادس عشر) (ووجدك ضالا) أي ضالفا في قومك : كانوا يؤذونك ، ولا يرحضون بك رعية ، فقوى أمرك وهذا إلى أن صرت أسرا وألبا عليهم (السابع عشر) كنت ضالا ما كنت تهدي على طريق السموات فهديتك إذ رجعت بك إلى السموات ليلة المراج (الثامن عشر) ووجدك ضالا أي نسيا لقوله تعالى (أن تضل إحداهما فهديتك أي ذكرتك ، وذلك أنه ليلة المراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الحيلة ، فهداه الله تعالى إلى كيفية التراجع حتى قال (لا أحصى ثناء عليك) (التاسع عشر) أنه وإن كان علوماً بالله فله إلا أنه كانت في الظاهر لا يظهر لهم خلافاً ، وببر عن ذلك الضلال (العشرون) روى عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما سمعت بشيء مما كان أهل الجاهلية يسمون به غير مرتين ، بكل ذلك يقول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما سمعت بعدها بسوء حتى أكرمني الله برسلته ، وإني لبيت ليله للسلام من غريش ، كان يرعى مني ما على مكة ، فوحفظت في غنى حتى أدخل مكة ، فأمر ما كانا بسعد الشيبان ، فخرجنا ، أريد ذلك حتى أتيت أول دار من دور مكة ، فدمعت عروا بالدفوف والخراوير ، فقالوا فلان ابن ملان يزوج بفلانة ، فقلت أنظر إليهم وحسب الله علي أدنى تمت ما أبتغى إلا من الشمس ، قال فقلت صاعدي ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ، ثم أبيت به الخبير ، قال ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فغضب الله علي أدنى ، فأنظني ، لا من الشمس ، ثم ما سمعت بعدها بسوء حتى أكرمني الله فقال برسلته .

قوله تعالى ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾ فقيه معاني :

﴿ المسألة الأولى ﴾ العائل هو ذو القربة ، وذكرنا ذلك عند قوله (أن لا تقولوا) وبذلك عليه قوله تعالى (وإن نضم غنة) ثم أطلق العائل على الفقير ، وإن لم يكن له مال ، وهذا في تفسير العائل قولان :

(الأول) وهو المشهور أن المراد هو الفقير ، وبذلك عليه ما روى أنه في مصنف عبد الله

(ووجدك عثلاً) وقرئ: عثلاً كما قرئ: سجدت (١) ، ثم في كيفية الإغمار رجوه (الاول) أن الله تعالى أغمار بنية أبي طالب ، ولما احتلأ حوازي أبي طالب أغمار (الله) قال عذبة ، ولما احتل ذلك أغمار (الله) قال أبي بكر ، ولما احتل ذلك أمره بالهجرة وأغمار (إغاثة الأنصار) ، ثم أمره بالجهاد ، وأغمار بالقتال ، وإن كان (الله) جعل بعد نزول هذه السورة ، ولكن لما كان ذلك معلوم أو فرغ كان كالواقع ، روى أنه عليه السلام : دخل على عذبة وهو مضطرب ، فذاثته مائكة ، فقال : الزمان زمان فعدت إن أنا بدلت ، فقال بنفسه مائكة فاستحي منك ، وإن لم يبدل أعاف الله ، فعدت فريشاً وفهم الصديق ، قال الصديق : فأخرجت دنائير وصبتها حتى بانست مبلغاً لم يقع بصري على من كان جالساً قدامي لكثرة المشايخ ، ثم قالت : أشهدوا أنني هذا المال ماله إن شاء الله ، وإن شاء الله ، (الثاني) أغمار بأصحابه كانوا يبدون الله سرّاً حتى قال عمر بن الخطاب : أبوز أنبيد اللات جهراً وتعيد الله سرّاً ، فقال عليه السلام : حتى تكثر الأصحاب ، فقال : ذلك الله وأنا فقال تعالى (حببك الله ومن أنبيك من المؤمنين) فأغمار الله بمال أبي بكر ، وجبهة عمر ، (الثالث) أغمار بالمساعة حضرت بحال يفتوى عندك الحجر والذهب ، لا تجد في ذلك - روى ربك ، فربك غني عن الأشياء لا جسد ، وأنت بشايعك استغيت عن الأشياء ، وإن التمر الأعلى انتهى عن الشيء - لا به ، ومن ذلك أنه عليه السلام خير بين الغني والفقير ، فاحذر الفقر (الرابع) كنت عثلاً عن البراهين والخمسة ، فأقول الله عليك القرآن ، وعليك ما لم تكن تعلم فأغمارك .

(القول الثاني في تفسير العثال) أنت كنت كثير العيال وهم الإمة ، فكفاهك . وقيل فأغمارك لك لأنهم فقره بسبب جهلهم ، وأنت صاحب العلم ، فدرهم على يدك ، ومهنا - زالات :

(السؤال الأول) ما الحكمة في أنه تعالى اختار له النبي ؟ (ثانياً) فيه وجوه (أحدها) أن يعرف الله الذي يفهم بفهمهم ومصلاح أمرهم ، ومن ذلك كان يوسف عليه السلام لا يشبع ، قيل له في ذلك ، فقال أخاف أن أشبع فأفنى الخبيث (وثانياً) ليكون النبي مشاركا له في الإسم فيكرم لأجل ذلك ، ومن ذلك قال عليه السلام : إذا سميت الولد محمداً فأكرمه ، وسموا له في المجلس (وثالثاً) أن من كان له أب أو أم كان أغماره عليهما ، فسلب عنه الولدان حتى لا يعتمد من أول صباه إلى آخر عمره على أحد سوى الله ، فيصير في طوابعه متشبهاً بأبراهيم عليه السلام في قوله : حسبي من - وإلى ، عليه بحالي ، وكبراب مريم (أن لك هذا ، قالت هومن عند الله) . (رابعاً) أن العادة جارية بأن القيم لا تخفى سيو به بل تظهر ، وربما زادوا على الموجود فأختار تعالى له النبي ، ليشارك كل أحد في أموره ، ثم لا يجدوا عليه حياءً فيفتقون على نزاعته . فإذا اختاروه الله للرسالة لم يجدوا عليه - طاعتاً (وخامساً) جعله فيها ليعلم كل أحد أن فضيلته من الله ابتداء لأن الذي له أب ، فإن أبيه يسمى في تعليمه وتأديبه (وسادساً) أن النبي والفقير نقص في حق

(١) مثلاً في الآيتين (ووجدك عثلاً غافياً) مع كبره كما قرئ: (وجاهت) كذلك دخله تعالى (ماتاً) . والله اعلم

فَمَا الْبَنِيمَ فَلَا تَقْهَرُ ⑤ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ⑥

الخلق ، فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام ، مع هذين الوصفين أكرم الخلق ، لأن ذلك قلباً للمادة . فكان من جنس المعجزات .

(السؤل الثاني) ما الحكمة في أن الله ذكر هذه الأشياء ؟ (الجواب) الحكمة أن لا ينسى نفسه فيقع في التعجب .

(السؤل الثالث) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ربي مسألة وردت أني لم أسأله . قلت : اتخذت إبراهيم خليلًا . وكلمت موسى تكليمًا . وسجرت مع داود الجبال . وأعطيت سليمان حكماً . وكذا وكذا . وأعطيت بلالاً كذا وكذا . قال : ألم أجعلك بنياً فأرىك ؟ ألم أجعلك خالاً فهديتك ؟ ألم أجعلك مالاً فأعطيتك ؟ قلت بلى . فقال : ألم أخرجك من صلبك ؟ قلت بلى . قال : ألم أرهم لك ذكرك ؟ قلت بلى . قال : ألم أمصرم عنك وذكرك ؟ قلت بلى . ألم أؤلفك عالم أوت نبياً فبكك . وهي حوائج سورة البقرة ؟ ألم اتخذك خليلاً كما اتخذت إبراهيم خليلًا ؟ . فهل يصح هذا الحديث (قلنا) طس القاضي في هذا الخبر فقال إن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون مثل ذلك إلا عن إذن . فكيف يصح أن يقع من الرسول مثل هذا السؤل . ويكون منه فقال ما يجري مجرى الهاتية .

قوله تعالى : فَمَا الْبَنِيمَ فَلَا تَقْهَرُ . وقرئ . فلا تكبر . أي لا تعبس وجهك إليه ، والمعنى جامله بمثل ما جاملت به ، وتظلم به من وجهه (وأحسن يا أحسن الله إليك) و منه قوله عليه السلام و الله الله فمن ليس له إلا الله (روى) أنها نزلت حين صاح لقي صلى الله عليه وسلم على ولده خديجة و منه حديث موسى عليه السلام حين قال إلهي يم نلت ماتك ؟ قال أنت كرم حين هربت منك السفلة ، فلما هربت عليها قلت أنصبت نفسك ثم عذمتها . لهذا أسبب جعلك ولداً على الخلق . طذا قال موسى عليه السلام النبوة بالإحسان إلى الخلق فكيف بالإحسان إلى البنين . وإذا كان هذا للاتباع جرى الصباح أو العرسية في الزوجه . فكيف إذا أذله أو أكل ماله . عرأفس عن نبي عليه الصلاة والسلام و إذا بكى البنيم وقعت دموعه في كف الرحمن . ويقول تعالى : من أبكى هذا البنيم الذي وارىت والده في التراب . من أسكتته الجنة .

قوله تعالى : وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ . يقال نهى . واستمر . إذا استغلب بكلامه بجره . وفي المراد من السائل غولان (أحدهما) وهو اختيار أحسن أن المراد منه من يسأل العلم وتظلم به من وجهه (عيسى و تولى . أن جاءه الأعمى) وحينئذ يحصل الترتيب . لأنه تعالى قال له أولاً (ألم يجعلك بنياً فأرى . ووجدك خالاً فهدى . ووجدك مالاً فأعنى) ثم اعتبر هذا الترتيب . وأوصاه برعاية حتى البنيم ، ثم برعاية حتى من يسأله عن العلم والهداية . ثم أوصاه بشكر ذم الله عليه

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

(والقول الثاني) أن المراد مطلق السائل ولقد جاء في رسالة في شأن العنكبوت أن ثلاثة مواضع (أحدها) أنه كان جالساً رجوله متنازدة فريش ، إذ جاء ابن أم مكتوم الخريص ، فغطى رجلي الناس حتى جلس بين يديه ، وقال عليّ عما عليك الله ، فشق ذلك عليه فميس وجهه فزل (عيس وزل) ، (والثاني) حين قالت له فريش لو جعلت لنا مجلساً ولالعنكبوت مجلساً أصر فهم أن يفعل ذلك فزل قوله (واسم نفسك مع الذين يدعون ربهم) ، (والثالث) كان جالساً بأبيه عثمان بعدق من نمر فوضه بين يديه فأراد أن يأكل فوضع سائر بالباب ، فقال ربه الله عبيداً برحمتنا ، فأمر مدسه إلى السائل ففكر عثمان ذلك ، وأراد أن يأكله فأتى عليه السلام ففرج واشتراه من السائل ، ثم رجع السائل فقبل ذلك ثلاث مرات ، وكان يطعمه أتى عليه السلام إلى أن قال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك أنت أم بأمر ؟ فزل (وأمّا السائل فلا نهره) .

قوله تعالى ﴿ وما ينعمه ربك فحدث ﴾ وفي وجوه (أحدها) قال مجاهد تلك النعمة هي القرآن ، فإن القرآن أعظم ما أنعم الله به على محمد عليه السلام . ولا حديث به أن يؤلمه ويقرى . غيره ويدين حفاضة لهم (وثانيها) روى أيضاً عن مجاهد أن تلك النعمة هي النبوة ، أي لمع ما أنزل إليك من ربك (وثالثها) إذا وقعت الله فراعيت حق النبي والسائل ، وذلك الثواب في أمة من الله عليك فحدث بها ليقضى بك غيرك ، ومنه ما روى عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال : إذا علمت خيراً أخذت أخوانك ليقنوا بك . إلا أن هذا إنما يحسن إذا لم يتعين ربه ، وعن أن غيره يقضى به . ومن ذلك ما سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن "محاباة أئمة عليهم رذكر خصالهم ، فقالوا له تحدثنا عن نفسك فقال: هلا ، فقد نهي الله عن الفرية قبل له أليس الله تعالى يقول (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) فقال فاني أحدث ، كنت إذا سئلت . أعطيت وإذا سكنت ابتدئت ، وبين الجرائع علم جهم فأسألون ، فإن قيل فما الحكمة في أن أمر الله تعالى حتى نعمة عن حق النبي وأنه ؟ فلما فيه وجوه (أحدها) كأنه يقول أما غي وما يحتاجان وتقديم حق يحتاج أولي (وثانيها) أنه وضع في حظه ما قبل ورضى لنفسه بأعويل (وثالثها) أن المقصود من جميع المعلومات استنراق القلب في ذكر الله تعالى ، فبذل جماعة هذه الطاعات تحدث القلب واللسان بنعم الله تعالى حتى تكون ختم الطاعات على ذكر الله . وأشار قوله (فحدث) على قوله ما ذكر ، يسكون ذلك حديثاً عنه لا يشاءه ، ويبيده مرة بعد أخرى ، والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ ثم الجزء الحادي والثلاثون وبنوه الجزء الثاني والثلاثون ﴾

وأول تفسير سورة الإنشراح

فهرست

(الجزء الحادى والثلاثون من التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى)

صفحة	صفحة
قوله تعالى (وجعلنا مرجاً ومجاً)	٣ (تفسير سورة النبا)
• (وأزلى من المصبرات ماء)	قوله تعالى (هم يشاءون)
• (مجاً) الآية	بعت نحرى فى معنى (هم)
معنى المصبرات والمصبرات	ما فى هم من القراءات
قوله تعالى (لنخرج به حياً ونياً)	بجدة معنى ما
تفسير التيات	• معنى التيات
• الآية الأتات	من هم التياتون وما فيه من الاحتمالات
قوله تعالى (إن يوم الفصل كان ميثاقاً)	• قوله تعالى (ع التيات العظيم)
• (يوم يفتح فى الصدور فناءون)	معنى التيات
• (فوجاً)	اتصال هذه الآية بما قبلها
معنى الفتح فى المصور والامواج	• قوله تعالى (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون)
قوله تعالى (ونفخت اليا ففككت اوجاً)	معنى كفا (كلا)
• (ورد بيت الجان فكانت سرا)	ما فى (سيعلمون) من القراءات
• بيان احوال الجبال	قوله تعالى (ألم تحمل الأرض مائاً)
قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً)	• الآية طريق لإثبات الحشر
• (الخافين مائاً)	قوله تعالى (والجبال أوتاداً)
• (لاثنين نيا أحقاباً)	قوله تعالى (وخلقنا كم أزواجاً)
• (لا يذوقون نيا برداً ولا شرباً)	• (وجعلنا مكم سبائاً)
معنى نيا	طعن الملاحدة فى هذه الآية
• معنى الخيم والقفاق	• قوله تعالى (وجعلنا الليل لباساً)
قوله تعالى (لهم كافر لا يرجون حساباً)	أهل اللباس
• (وكذبوا بأياتنا كذاباً)	• قوله تعالى (وجعلنا النهار مائاً)
• (وكل شئ أحصيناه كتاباً)	• (وجعلنا نوركهم سبباً شهاداً)

صفحة	صفحة
٢٧	٢٠ قوله تعالى (فتدعوا لمن زيحكم (لا عذاباً)
وعدده بالآية	٢١ (إن التفتين مقارناً)
قوله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً)	معنى المقارن
الوجود التي في الآية	قوله تعالى (حذائق وعتبات)
(بابتدائه بعد الحشر والنقصان)	معنى الحذائق والاعتاب
(إنكار المعتزلة ذلك)	قوله تعالى (وكأناً دهاقاً)
معنى الآية عند بعض المتصوفة	أقوال القنوين في الدهاق
(تفسير سورة التازعات)	قوله تعالى (لا يسمعون فيها نقرا ولا كذاباً)
حل الصفات في الآية لنسب واداء أركانها	(إن لم يورد الضمير في قوله (فيها) ؟
صفات اللائكة	معنى الكتاب
قوله تعالى (والنازعات غرقاً) الآيات	قوله تعالى (جزاء من يربك عطفاً حساباً)
لم لم يشأ في تزيين أمورا ؟	معنى الجزاء ونظام والحساب
كعب أثبت ثلاثاً في تفسيره ؟	٢٣ قوله تعالى (رب السموات والأرض وما
عطف على سطر الاستفهام في تفسير الآية	بينهما الرحمن لا يعلم كون منه خطأ)
قوله الحسن البصري إنها صفات القصور	٢٤ قوله تعالى (يوم يقوم الروح والريح واللائكة صفاء) الآية
٣١ لقول بأن هذه صفات لأرواح	٢٥ قوله تعالى (ذلك اليوم الحق فن شاء انخذ
٣٢ القول بأنها صفات خيل القراء	(إلى دبر ما)
القول بأنها صفات الغزاة أنفسهم	الوجود التي وصف اليوم بالحق
القول بأنها الراتب الواقعة في الزجر	قوله تعالى (فن شاء انخذ إلى دبر ما)
إلى الله	احتجاج المفسرة بالآية على الاختيار
٣٣ لقول بأن أفساد الآية خمسة صفات	والنقيض
لأنها خمسة	قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت
قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة)	يداه)
تقدير الآية والدليل على	(ما) على هي استنبائية أم موصولة
لم نصب اليوم ؟	٢٦ المراد المرء المعلوم أو المخصوص ؟
معنى الراجفة في اللغة	
٣٥ لقول بأنها أحزان يوم القيامة	

صفحة	صفحة
٤٢	٣٦ قوله تعالى (فلوب يرمئ واجفة)
٤٣	٣٦ ما المراد بالفلوب ؟
٤٤	كيف يلق الاثداء بالسكره ؟
٤٥	كيف صحت [صاحه الاضمار ان الفلوب ؟
٤٦	قوله تعالى (يقولون) اما ترجمه دون فى
٤٧	(الحافرة)
٤٨	قوله تعالى (انما كذا) عطافاً لفرقة)
٤٩	٣٧ حامل تشبيهه الى فى الآية
٥٠	٣٨ قوله تعالى (ظالموا نك ذاكرك حاسرة)
٥١	٥ (ظالموا من ذبيرة واحدة)
٥٢	ما متعلق (فاذم)
٥٣	معنى السامرة
٥٤	٣٩ قوله تعالى (ما اناك سديت موسى)
٥٥	المناسبة بين منه قصص وما قبلها .
٥٦	قوله تعالى (اذا ناداه ربه بنواوى المقدس
٥٧	طوى)
٥٨	وجوه تفرقات فى (طوى)
٥٩	٤٠ قوله تعالى (اذهب الى فرعون انه طوى)
٦٠	معنى اظفبان
٦١	قوله تعالى (فبين ما بينك وبين ان ترك)
٦٢	٤١ معنى الوكي ثوما فيه تفرقات
٦٣	قوله تعالى (واحديك الى ملك)
٦٤	الفرقة لا تستعد الا من الهندى
٦٥	الفرقة مقدمة على تطاعة
٦٦	الحشية لا سكنون الا بالفرقة
٦٧	قوله تعالى (فابله الآية الكبرى)
٦٨	فى الآية الكبرى ثلاثة اقوال
٦٩	قوله تعالى (فكفب وعصى)
٧٠	٤٢ يجامع الطعن فى دلالة التلميح على العاصى
٧١	٤٣ ما تمثله فى قوله فكفب وعصى ؟
٧٢	٤٤ قوله تعالى (ثم ادير بسى)
٧٣	معنى الاذدار الثلاثة
٧٤	٥ (فخر فتادى)
٧٥	معنى فتاداة
٧٦	هل كان فرعون ممنوعاً كرمياً ؟
٧٧	٥ (فاختف لفتكالى الاخرى الاول)
٧٨	وجوه نصب نكالى
٧٩	٤٥ ما المراد بالاسرة والاولى ؟
٨٠	٥ (ان فى ذلك لطيفة لمن يحصى)
٨١	٥ (اتمر أشد غطككم الساء) الآية
٨٢	المقصود من هذا الاستدلال
٨٣	٥ (بنها)
٨٤	التحليل على ان الله ياتى الساء
٨٥	٤٦ (دفع حكما فسيما)
٨٦	المراد بالمسوية
٨٧	٤٧ (وانعشس اليها واخرج منها)
٨٨	الخطير الاذم والتمدى
٨٩	المراد من (اخرج منها)
٩٠	لم اصاب الخيل وشاء الى الساء
٩١	٥ (والارض بعد ذلك دعاها)
٩٢	معنى الدعوة
٩٣	٤٨ التوفيق بين الآية متاوية السجدة
٩٤	٥ (اخرج منها ماءها ومرهاها)
٩٥	المراد بقوله مرهاها
٩٦	٥ (والجلبان ارساها)

صفحة	صفحة
٥٧	٥٠ قوله تعالى (تاء السبح والثناءكم)
٥٧ قوله تعالى (وما يشدك الله بركي)	٥٠ (فإذا جاءته الطامة تكبرى)
٥٨ (وأما من استغنى)	مضى الطامة عند العرب
٥٨ (فأنت له تصدى)	٥١ (يوم يذكرك الإنسان ما سمى)
٥٨ (وما عليك ألا يركى)	(ويرى) (ويرى) (ويرى)
٥٨ (وأما من جاءك يسعى)	بكرادى (ويرى)
٥٨ (فأنت عنه تهوى)	(فأما من ملئ) (الآيات)
٥٨ (كلا)	٥٢ جواب قوله (فإذا جاءته الطامة)
٥٨ الضمائر (لها) (لمن) (من)	الكبرى)
٥٨ (ذكره)	المردية ملئ وأثر الحيازة
٥٨ اتصال الآية بما قبلها	الإشارة إلى فضاء القوة البغرية
٥٩ (فمن شاء ذكره) (الآية)	(وأما من طاف مقام وبه)
٥٩ (ما يدى سفره)	٥٣ (يدانك من الساعة إلى مرماها)
وصف اللامكة بثلاثة أنواع	(فم أنت من ذكرها)
٩٠ قوله تعالى (قل الإنسان ما أكفره)	(إلى ذلك منهاها)
الإنسان عبثية بن آدم دبعة أو غيره ؟	(إنما أنت مقدور من مجهاها)
قوله تعالى (من أى شيء خلق)	٥٤ (كانوا يوم يردنا لم يلبثوا)
(من خلقه خلقه خلقه)	(إلا عثية)
٦١ الأقوال في معنى قدره	٥٥ (تفسير سورة عبس)
(ثم السيل يبره)	(عبس وتولى)
المراد بالتفسير هنا	سبب نزول الآية
(ثم أماته فأجده) (الآية)	الأعشى ابن أم مكتوم
(كلا لما يقض ما أمره)	الأعشى كان يستحق التأديب ثم
(فليختر الإنسان إلى طمعه)	عزبه الرسول على تأديبه عزبه
(أنا صيدنا الله صيداً)	٥٦ "كتاب نعيم الأعشى ووصفه"
(ثم شفقتنا الأرض شفقا)	بالأعشى تحفراً لثباته
(فألقينا فيها صيداً)	الإنسان المرسون في معاملة أصحابه
(وجهها)	حسب الصلابة

صفحة	صفحة
٧٣ قوله تعالى: (والصبح إذا نفس)	٦٣ قوله تعالى: (وأنصباً)
• (لا تقول : سون كرم)	• (وزينوا ونفلا)
٧٤ • (ذي نوة عند ذي نمرق مكن)	• (وحداق غدا)
• (مطاع ثم أمين)	٦٤ • (وها كذا وها)
٧٥ • (وما سابعكم بعدون)	• (متاعاً لكم ولا ضاركم)
٧٦ • (زنى تاد منكم أن يستقيم)	• (وإذا حانت الساعة)
٧٧ • (تفسير سورة الانشقاق)	• (يرمي بعر المرء من أنهب)
قوله تعالى: (هذا آياتنا انظروا)	٦٥ • (لكل أمرئ منهم يومئذ شأن
٧٩ • (يا أيها الإنسان ما عرك	بغيبه)
• برك الكريم)	• (وجوه يومئذ مسفرة)
٨٢ • (فلا من تكذبون الدين)	٦٦ • (ووجوه يومئذ عليها غبرة)
٨٣ • (ولبي علىكم خاضعين)	• تحت لرجلة وأخوارج هذه الآية
٨٥ • (إن الأبرار في نعم)	٦٧ • (تفسير سورة التكاثر)
٨٨ • (تفسير سورة المطففين)	قوله تعالى: (إذا النجم كور)
٨٨ • قوله تعالى: (ولعل المطففين)	٦٨ • (وإذا النجوم انكثرت)
٩٠ • (ألا بطر أولئك أنهم	• (وإذا الجبال সরت)
• مبعوثون)	• (وإذا السحاب سفلت)
٩٢ • (كلا إن كتاب الفجار في	• (وإذا أبو حوش حشرت)
• صحت)	٦٩ • (وإذا البحار جرت)
٩٩ • (دن الأبرار في نعم)	٧٠ • (وإذا الغمام رويعت)
١٠٢ • (إن الذين أجروا الكلام	• (وإذا السحاب سفلت)
• من الذين أسروا بضمكوا)	٧١ • (وإذا السحاب سفلت)
١٠٤ • (تفسير سورة الانشقاق)	• (وإذا الجحيم سعرت)
قوله تعالى: (إذا السحاب انشقت)	• (عشت نفس ما سعرت)
١٠٥ • (يا أيها الإنسان لك كالج)	٧٢ • (فلا أنعم بالخص)
١٠٦ • (فأما من أرق كتابه بينه)	٧٣ • (البخاري الكنت)
١٠٧ • (وأما من أرق كتابه وراء ظهره)	• (والليل إذا يحضر)
١٠٩ • (على أن ربه كان به بصيرا)	

صفحة	صفحة
١٥١ (تفسير سورة العنكبوت)	١١٤ قوله تعالى (وإذا قرأ عليهم قلنا
قوله تعالى (عن أنك حديث الثانية) الآيات	لا يسجدون) الآية
١٥٢ (معنى نارا حامية)	١١١ (تفسير سورة البروج)
١٥٣ (معنى من عين آية)	قوله تعالى (وثبتنا ذات البروج)
١٥٤ (لا يسجد ولا يفر من جرح)	الآيات
١٥٥ (لعمري راجية)	١١٧ (قل أصحاب الأئمة) الآيات
١٥٦ (فيها عين جارية)	١٢٠ (وما نعزمهم إلا أن يؤمنوا)
١٥٧ (ألا ينظرون إلى الإبل)	الآية
كيف خلقت)	١٢١ (لمن الذين فشتوا المؤمنين
١٥٨ (نزول السماء كيف رزقت)	والمؤمنات) الآية
١٦٠ (فذكر إنما أنت مذكر)	١٢٢ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
١٦١ (إنك أنت أياهم)	١٢٣ (إن ينظرون لك شديد) الآيات
١٦٢ (تفسير سورة القمر)	١٢٥ (هل أنك حديث الجنود)
قوله تعالى (والقمر) الآيات	١٢٧ (تفسير سورة الطارق)
ما في القسم به من الفوائد	قوله تعالى (والسماء والطارق)
معنى القمر	١٢٩ (يظنر الإنسان من خلق)
١٦٣ قوله تعالى (وليل عشر)	١٣١ (إن على رجب لغامر)
ما وجه التفسير فيها ؟	١٣٢ (يوم تمل السراتر)
ما هي الليالي العشر ؟	١٣٦ (تفسير سورة الأهل)
قوله تعالى (والشفع والوزر)	(حجب اسم ربك الأهل)
الشفع والوزر عند العرب وعند العامة	١٤١ (سقرتك فلا تنسى)
اختلاف المفسرين في معنى الشفع والوزر	١٤٣ (ونعصرك نجسرى)
١٦٥ قوله تعالى (والقيظ إذا برى)	١٤٣ (فذكر أن نفسك كبرى)
معنى برى	١٤٥ (سبذكر من يحيى)
المقصود من الميل العموم أوليلة مضمرة	١٤٦ (ورجبها الأشقى)
١٦٥ وجه القراءة في برى	١٤٧ (ثم لا يموت فيها ولا يحيى)
قوله تعالى (هل في ذلك قسم لذي حجر)	١٤٩ (وذكر اسم ربك فصل)
معنى الحجر	١٤٩ (بل تؤثرون الحياة الدنيا)
١٦٦ المقصود من الاستفهام التأكيدي	١٥٠ (صف إبراهيم وموسى)

صفحة

١٦٨ الخطاب عام لكل من علم ذلك
الحكاية ذكرت لزجر
إدراج ثلاث قصص في الصورة
عالم تقيية نسبة لعاد بن عوص
قوله تعالى (يوم ذات العراد)
مدينة إرم وحصنة بناتها
قوله تعالى (لن يفتن مثلها في البلاد)
لن لم يورد التفسير في مثلها
قوله تعالى (وتعود الذين جاءوا المنصر
بالواد)

معنى الجواب

١٦٩ قوله تعالى (وفرعون ذي الأوتاد)
لم يسمي ذا الأوتاد
قوله تعالى (الذين خلفوا في البلاد)
مرجع التفسير في الذين
معنى خلفوا في البلاد
قوله تعالى (فأكثروا نيب الفساد)
معنى الفساد
قوله تعالى (فصب عليهم ربك سوط عذاب)
(إن ربك تبارك وتعالى)

١٧٠ قوله تعالى (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه)
حالة الإنسان في الدنيا
عبادة الدنيا والآخرة وشهادة الدنيا
والآخرة
١٧١ عبادة الدنيا والآخرة عند منكري البعد
المراء بالإنسان شخص معين

صفحة

لم يسم بسوط الرزق وتفسيره ابتلاء
لأنه يتوجه الزمر والردع بكلا
١٧٢ معنى قوله (فتدر عليه رزقه)
قوله تعالى (كلال لا تكفرون بالتيق)
تفسير ابن عباس للآية
وجوه القراءات في تكفرون
التيق وهل هو قدامة بن مطهر
١٧٣ قوله تعالى (ولا تخاضعون على خدم السكينة)
القراءات في تخاضعون
قوله تعالى (وأن تكون هيرت أكلالاً)
بأن معنى الترات
معنى الإ

قوله تعالى (وتعين المال حياً جاً)
(كلال إذا اكتسب الأرض ذلكال)
١٧٤ قول الخليل والابو في الهند
وجه تكرار في قوله (دكا دكا)
قوله تعالى (وجاء ربك)
معنى الجنى بالقلب إلى الله
١٧٥ قوله تعالى (والملك صفاً صفاً)
(وجى جومئ بهم)
١٧٦ قوله تعالى (يومئذ يذكّر الإنسان وأنى
في الذكرى)

التخلص من التناقض في الآية
رأى المتذلة وأهل السنة في وجوب قبول
الثوبة على الله سبحانه
١٧٦ قوله تعالى (يقول يا ليتني قد صدقتاني)
(فيومئذ لا ينسب هذا أحد)
(يا ليتني قد صدقتني)
(فادخل في صاى)
١٧٧
١٧٨
١٧٩

صفحة	صفحة
١٨٠	(تفسير سورة البقرة)
١٨٣	قوله تعالى (لا أقدم بهذا البلد) الآيات
١٨٤	(أحب أن لن يفتد) .
١٨٥	(ألم يجعل له عينين) .
١٨٦	(وما أدريك ما الساعة)
١٨٧	(وطعام في يوم ذى صنعة) .
١٨٨	(أو مسكيناً ذا ممر) .
١٨٩	(أولئك أصحاب الجنة)
١٩٠	(تفسير سورة البقرة)
١٩٩	قوله تعالى (والنفس والجبل إذا سمع)
١٩٩	قوله تعالى (إنا نبشئ)
٢٠٢	(وما نبشئ عنه مالاً) (الآيات)
٢٠٣	(وإذا نزلنا من السماء)
٢٠٤	(وسيجئنا الأنثى)
٢٠٦	(إلا ابتغاء وجهه الآخى)
٢٠٨	(تفسير سورة البقرة)
٢٠٩	قوله تعالى (والنفس والجبل إذا سمع)
٢١٠	(ما أدريك ما الساعة)
٢١١	(والأخرة خير لمن الأول)
٢١٢	(وليسوف يعطيك ربك فترضى)
٢١٤	(ألم يجعل يثياً قارى)
٢١٦	(ووجدك ضالاً فهدى)
٢١٨	(ووجدك مائلآ فأنشأ)
٢٢٠	(وأما يتيم فلا ظلم)
٢٢١	(وما أجنس ذك لك)